رواية

عاشقة الظلام

بقلم

مروان منير

سما
للنشر والتوزيع

عاشقة الظلام

مروان منير

الطبعة الأولى: يناير
1440هـ - 2019م

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية
دار الكتب المصرية
منير ، مروان
عاشقة الظلام
مروان منير - القاهرة: سما للنشر والتوزيع، 2019
328 ص؛ 13,7×19,5سم - (عاشقة الظلام)
تدمك 978-977-781-240-5
1 - القصص العربية.
أ. العنوان 813
رقم الإيداع: 2018/23599
تدمك 978-977-781-240-5

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة
لدار «سما» للنشر
يحظر طبع أو نشر أو تصوير أو تخزين أي جزء من هذا الكتاب
بأية وسيلة إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير
أو خلاف ذلك إلا بإذن كتابي من الناشر فقط.

دار سما للنشر والتوزيع
جمهورية مصر العربية
15 ش يوسف الجندي متفرع من شارع البستان - باب اللوق - القاهرة
تليفون: 24517300 202+ - 01271919100 2+
emil: samanasher@yahoo.com
publishing@sama-publishing.com

التوزيع

المجموعة الدولية
للنشر والتوزيع

80 ش طومان باي - الزيتون - القاهرة - جمهورية مصر العربية
تلفاكس: 24518068 202+ - 01099998240 2+
emil:aldawleah_group1@yahoo.com

التنفيذ الفني

درج
للاستشارات وخدمات النشر
ali@daraj-eg.com

عاشقة الظلام

مروان منير

تحسست حولها.. مدت يديها عن اليمين واليسار بشكل دائري.. لمسته.. التقطته.. الشال الأزرق.. ضمته بكلتا يديها وضعته على خدها.. تنهل من نعومته.. فهي تحن وترتاح إلى كل ما صنع من القماش المخملي.. تنهدت وهي تشتم رائحة الشال.. رائحة آخر عطر قدم إليها هدية.. كم تحب هذه الرائحة ولو كانت تبحث عن عطر في محلات العطور.. كانت ابتاعته بالتأكيد.. قريب من ذوقها فرائحته تعيد إليها ذكريات مضت.. لا تغيب عن مخيلتها..

والآن حان دور البحث عن عصاها التي تتكئ عليها.. فهذه العصا تمثل لها الصديق ورفيق الدرب والطريق.. آه.. ها هي العصا الخشبية ذات اللون البني الداكن.. تفحصت العصا بأصابعها.. وقربتها هي الأخرى من أنفها.. لتشتم فيها رائحة الطبيعة.. رائحة تشعرك أن الإنسان من تراب وذاهب إلى مآله ..إلى التراب..

حاولت النهوض ببطء من فوق سريرها الصغير.. قامت بتحريك عصاها في حركة لا إرادية جهة اليمين واليسار.. تتحسس طريقها لتفادي الاصطدام بأي من أثاث حجرتها.. ازدادت حركتها بطئًا حيث بلغ بها العمر وتخطي الخمسين عامًا بقليل هي مدام/ نورا.. أو نورا الخير ..كما كان يطلق عليها كل من تعامل معها وعرفها عن قرب.. وقفت متكأة على عصاها والشال

الأزرق على كتفيها في وسط حجرتها الصغيرة المرتبة.. حيث كل شيء قابعًا في مكانه بلا حراك منذ زمن طويل.. رفعت يديها إلى وجهها تتحسسه.. مرت بأطراف أصابعها على خطوط مائلة ومستقيمة في جبهتها وبعض الخطوط حول عينيها..

تنهدت بعد نفس عميق.. تنهدت ثانية بعمق.. وغاصت بذاكرتها إلى سنوات طويلة مضت.. ذهبت بذاكرتها أكثر وأكثر إلى ماضي.. عبرت به عشرات السنين..

ملمس الخطوط الطولي والمائلة على وجنتيها يشعرها بالكهولة.. فتحاول الهرب من شبح تجاعيد الكهولة بأن تتذكر أيام شبابها وجمالها.. كم كانت رائعة الجمال ..بيضاء.. ذات عينان واسعتان بلون بني فاتح أشبه بلون حبة البندق.. شعر بني مائل للاحمرار.. ناعم ينسدل على كتفيها.. ذات جسد ممشوق القوام.. وأجمل من كل هذا ابتسامتها الرقيقة التي كانت لا تفارق شفتاها..

تذكر ذات مرة أن رآها أحد الشعراء عندما كانت تتجول في معرض للكتاب لشراء بعض الكتب فاستوقفها ملقيًا عليها بيتًا من الشعر..

بنية.. بنية الشعر.. بنية العينين

ذات طلة مميزة كأنها ملك بل ملكين

أحمر وجهها خجلًا وشكرته وواصلت التجول في انحاء المعرض فرحة من الإطراء الرقيق..

سمعت صوت ساعة يدها الناطقة.. الساعة الآن العاشرة صباحًا.. فقد منحتها جمعية "بصيرتي" لرعاية المكفوفين هذه الساعة لتعينها على التعرف على الوقت حيث فقدت بصرها منذ سنوات مضت.. فلا تعرف نهارًا من ليل.. غير مدركة هل النوافذ مفتوحة أم مغلقة.. فهذه الساعة تعينها على التعرف على الوقت بدلًا من الانتظار لتسأل عن الوقت وتنتظر الإجابة.. يا له من اختراع مذهل.. سهل عليها متاعب الحياة كثيرًا..

اعتادت نورا على الحياة بعيون مفتوحة لكن لا تعمل.. يمكننا القول انها عيون ديكور.. جميلة واسعة بنية اللون.. جذابة تسحر الناظر إليها لكن للأسف عينان لا تعمل.. فقدت قدرتها على نقل الصور إلى المخ.. فيأتي هذا الجهاز الرائع.. الساعة الناطقة لتخبرها بالوقت وقتما أرادت بمجرد ضغطة زر.. فتسمع أجمل صوت محبب إلى نفسها «الساعة الآن ....."

بعد أن عرفت أنها الساعة العاشرة صباحًا في شهر نوفمبر.. أجمل شهور الخريف المحببة إلى قلب نورا.. سارت ببطء بين قطع الأثاث القليلة في غرفتها المحببة إلى نفسها فهي تعرف مكان كل قطعة بالتحديد ودائمًا ما تطلب من عطيات مسئولة النظافة والترتيب ألا تحرك أي قطعة من مكانها وإن أرادت تحريكها للتنظيف او مسح الأرض من تحتها.. أن تعيدها إلى مكانها بالتحديد.. سارت ببطء وبابتسامة على شفتاها الورديتان إلى النافذة..

رفعت يديها وامسكت بالمقبض وأدارته جهة اليمين فإذا بالنافذة تفتح بقوة من شدة الهواء البارد النقي.. نسمة من الهواء اللطيف البارد دفع شعر نورا إلى الخلف وفي كل اتجاه.. فتحت نورا رئتيها وأخذت نفسًا عميقًا مع

ابتسامة أجمل من ذي قبل.. وشيئًا فشيئًا.. سافرت بذاكرتها عبر الزمن.. خمسة وعشرون عامًا للوراء.. عندما كانت في أوج شبابها في الثانية والعشرين من عمرها..

تذكر كل ما مر بها ومرت به كأنه حدث بالأمس حيث كانت تقف أمام نافذة حجرتها في شهر نوفمبر.. فصل الخريف ما أجمله والنافذة مفتوحة.. يهب من خلالها هواء بارد نقي منعش.. يتلاعب بشعرها فيحركه في كل اتجاه.. تغمض نورا عينيها وتستنشق الهواء بأكبر كمية تستطيع أن تملأ بها رئتيها.. فتشم عبير زهور جميلة.. ما أجمل هذه الأيام حيث اتمت الثانية والعشرون..

سمعت طرقًا على الباب .. قالت: اتفضل.. فإذا بأمها.. كريمة .. أم طيبة حنون ..تعشق البيت وتربية الأولاد.. والإخلاص إلى زوجها العميد متقاعد: فؤاد صادق.. أب حنون لولد.. «شريف» طالب بالأكاديمية البحرية.. وبنت رائعة في جمال الشكل والخلق.. نورا.. تخرجت في كلية الفنون الجميلة.. تعشق الفنون بجميع أنواعها.. من رسم، وموسيقى، وشعر، ونحت..

صباح الخير يا نورا.. قالت مدام كريمة.. تعالي الإفطار جاهز..

ذهبت نورا فألقت تحية الصباح على أباها الذي تعشقه وتحترمه إلى حد كبير ليس فقط لكونه الأب الحنون ولكن لما قام به من خدمات جليلة إلى مصر إبان كان ضابطًا في الجيش وتحديدًا في حرب أكتوبر..

نهض الأب.. وطبع قبلة على جبين نورا وسألها بابتسامة حنون عما سوف تفعله اليوم.. بعدما ترك الجريدة التي كان ينهمك في قراءتها.. أجابته نورا أنها ليس لديها الكثير لتفعله.. سوف تذهب للنادي للدوران حول التراك..

وبعدها تشتري بعض الألوان وأدوات الرسم.. ثم تعود إلى البيت على موعد الغداء.. وبينما هي تتحدث فإذا بشريف يربت على كتفها في حنان قائلًا.. صباح الخير يا بابا.. صباح الخير يا نورا.. لم أرك منذ بضعة أيام.. حيث كنت في الأكاديمية في الاسكندرية وعدت بالأمس ليلًا وكنتِ أنتِ نائمة..

تجمعوا حول مائدة الإفطار في حجرة السفرة في البيت المكون من ثلاث غرف به أثاث أنيق ولكن قديم بعض الشيء.. تبادلوا الأحاديث الخفيفة وإذا بنورا تنظر إلى ابيها قائلة.. «ممكن يا سيادة العميد تحكلينا عن موضوع خطة الخداع التي سبقت الحرب إبان كنت ضابط صغير برتبة ملازم أول»..

نظر الأب وشاح بوجهه بعيدًا وغاص وأمعن النظر إلى السقف.. سرح بذاكرته.. يتذكر تفاصيل وكأنها تجري أمام عينيه كشريط سينمائي.. وتنهد تنهيدة عميقة قائلًا:

"آه يا نورا.. لو تعلمون كيف لعبت المخابرات الحربية، والمخابرات العامة، ورئاسة الجمهورية والصحافة والإعلام من دور عظيم في خداع العدو والإيحاء إلى قيادته وإيهامهم بعدم قدرة جيشنا ولا قيادتنا ولا اقتصادنا على تحمل ويلات الحرب أو الدخول حتى في مناوشات..

فالتفاصيل كثيرة.. وقد لعب الرئيس السادات اللعبة بدهاء وذكاء نادرًا ما يتكرر مثله..

أسهب العميد فؤاد صادق في سرد وحكي كثير من التفاصيل عن خطة الخداع وكيف إن العدو الصهيوني قد بلع الطعم.. وتحقق الهدف.. وجاءت ضربة البداية بدون الاستعداد الكامل من قبل جيش العدو المحتل..

كانت نورا تسمع باهتمام.. بينما كان شريف منهمكًا في الأكل وبين كل فترة وأخرى يقول لأمه «تسلم إيدك» أنا محروم طوال الأسبوع من أكلك الحلو ده.. باستنى العودة يوم الإجازة الأسبوعية لأتذوق من عمل يديك أحلى أنواع الطعام..

استعدت نورا بملابس رياضية خفيفة وتوجهت إلى النادي.. ذهبت إلى الممشى «التراك».. وبدأت في العد.. فهي تريد أن تلف حول التراك خمسة مرات.. وإن استطاعت أن تزيد فسوف تفعل..

ارتدت سماعة الموسيقى وأكدت على ربط حذائها وبدأت المشي..

أنهت اللفة الأولي والثانية وفي الثالثة بدأت تشعر بالتعب وإذا بها تتعثر وتسقط على الأرض.. امتدت إليها يدان لتحمي رأسها قبل أن ترتطم بالأرض الصلبة فتجرح أو تنزف.. يدان ظهرتها من حيث لا تدري وكأن السماء أو العناية الإلهية أرسلتها لتحميها وتلتقطها قبل أن تصاب في رأسها..

استمعت لكلمات مثل «حضرتك كويسة.. ألف سلامة.. على مهلك.. جاءت سليمة.. قدر ولطف..»

ساعدها بعض الأشخاص حتى أجلسوها على أقرب مقعد في حديقة النادي وجاءها النادل مسرعًا بكوب بارد من المياه ..

فتحت عيناها لترى وجهه.. وجه ضخم ذو بشرة سمراء.. رقبة عريضة ..عضلات في أماكن متفرقة من جسمه.. يشبه المصارعين المشهورين في التلفاز.. كان ينظر إليها في خوف حقيقي ولهفة وقلق.. رأت كل هذا واضحًا

جليًا في عينيه.. ابتسمت ابتسامة خفيفة كي يطمئن من تجمعوا حولها قائلة «ماتقلقوش أنا الحمد لله بخير»..

انفض الجمع من حولها ما عداه.. ظل قابعًا في مكانه مستمرًا في لهفة وقلق قائلًا «هل لي أن أكون بجانبك أو أن أقوم بإيصالك إلى أي مكان»

شعرت نورا بالشفقة عليه بسبب رد فعله المليء بالقلق والرعب عليها بالرغم أنه لا يعرفها ولم يسبق لهما التعارف مسبقًا..

حاولت النهوض ولكنها ماتزال تشعر ببعض الدوار.. تشعر بحرارة الشمس وحاولت النظر أمامها لكن عضلاته شكلت حاجزًا للرؤية..

***

دق جرس التليفون.. التقط العميد فؤاد السماعة مجيبًا.. فكان هناك من يسأل عن شريف.. حضر شريف وكان يحادث أحد أصدقاءه لكي يقوموا بترتيب لقاء الشلة.. شلة شريف حيث اعتادوا أن يلتقوا في عطلة نهاية الاسبوع منذ أن التحق شريف بالأكاديمية البحرية..

أنهى شريف المكالمة واتجه إلى المطبخ حيث أمه منهمكة في إعداد جميع الأصناف التي يحبها شريف.. فدخل إلى أمه كي يراجع معها لستة الطعام، وأنها لن تنسى شيئًا مما يحبه وينتظر العودة للمنزل لالتهام الطعام البيتي الذي لا يعلى عليه..

***

تناولت نورا رشفة من عصير الليمون بالنعناع المثلج المنعش.. وهي تستمع لذلك الشاب ذو العضلات.. لكن يبدو من نظرة عينيه أنها لا تعبر عن شكل جسده المنفوخ بعضلات في كل مكان.. جسد مرعب بعينين رقيقتين تحمل نظرة حانية.. وإذا به يتكلم بصوت رقيق مهذب لا يعبر أيضًا عن ما ترى عيناها من جسد هائل الحجم..

وبعبارات مهذبة قال: «هل حضرتك بخير.. بماذا تشعرين الآن هل لي أن استدعي الطبيب.. أو أن أبلغ أحدًا من أفراد اسرتك.. ماذا عساي أن أفعل أو أقدم لك من خدمات..

ابتسمت نورا في تعجب وهي لا تزال غير قادرة على استيعاب حجم عضلاته مع نظرات عينيه الحنونتان ونبرة صوته الدافئ المليء بالاهتمام فقالت: اطمئن.. أنا بخير.. كم أود أن اشكرك على كل ما قدمته لي من رعاية أنا كنت اشعر بما يحدث حولي حتى وإن كانتا عيناي مغلقتان.. احضرت لي كرسيا.. وظللت بجانبي واحضرت لي العصير المفضل لديّ «الليمون بالنعناع» كيف عرفت أني أحبه وأني كنت في أمسّ الحاجة لرشفة أو رشفات من ذاك المشروب المنعش..

ابتسم في خجل قائلًا" أنا لم أفعل إلا الواجب.. وأي شخص في مكاني كان فعل أكثر.. اسمحي لي أن أقدم نفسي.. مادًا يده مصافحًا نورا قائلًا: أنا ماجد محروس

ردت نورا وهي تردد هذا الاسم في سرها «ماجد محروس» قائلة:

أنا نورا.. نورا فؤاد.. عضوة في النادي ولا أمارس إلا رياضة المشي.. وأنت أي رياضة عنيفة تمارس..

ابتسم ماجد.. ولما رياضة عنيفة تحديدًا..؟؟!! دارت نورا بعينيها متجولة ومشيرة إلى عضلاته المنتشرة في انحاء جسده الفارع..

"أبعد كل هذا ولا تمارس رياضة عنيفة..؟!"

قال: لك كل الحق أنا ألعب كمال أجسام ورفع أثقال.. ومنذ ذلك اليوم.. بدأ عهد جديد في حياة نورا.. حيث استمرت في مواعدة ومقابلة ماجد مرتين في الاسبوع ثم اصبحت ثلاثة مرات إلى أن اصبحا يلتقيان تقريبا كل يوم..

أخذ العميد فؤاد رشفة من قهوته التركية حيث اعتاد من عشرات السنين ان يشربها من يد كريمة بعد أن يشتري البن المحوج من محلات البن البرازيلي حيث أنه زبون دائم هناك وقد ورث حب شرب القهوة عن أبيه الأستاذ صادق رحمة الله عليه فعلم أسرار تحويج القهوة وأنواعها وأماكن زراعتها والفرق بين البن اليمني، والأثيوبي، والبرازيلي، والكيني، والاندونيسي.. وكيفية عمل القهوة على الطريقة الإيطالية، الفرنسية، أو المصرية – التركية..

تذكر كيف كان والده يشرح له كل المعلومات عن القهوة وحبه وعشقه لها منذ طفولته وكم اشتاقت نفسه أن تمر السنين سريعًا ليكون رجلًا ويستطيع

تذوق هذا المشروب داكن اللون العجيب.. حيث كان ممنوعًا في طفولته عن شرب القهوة..

ومع الرشفة الثانية بدأ العميد فؤاد في كتابة بعض صفحات أخرى في أجندة خاصة قرر فيها منذ زمن أن يكتب مذكراته.. وكانت هذه المذكرات خاوية من أي شيء يذكر خارج الحياة العسكرية.. فقد كتب بعض الصفحات القليلة عن نشأته وأسرته ثم شرع على الفور في سرد بدايته الحقيقة لتكوين شخصيته والتي بدأت مع اتخاذه قرار التحاقه بالكلية الحربية قبيل امتحانات الثانوية العامة بأسابيع قليلة..

لم يكن العميد فؤاد أو نورا يدركان أن هذه المذكرات سوف يكون لها الأثر البالغ وتحويل مسار حياة نورا.. وتكون لها عونًا وسندًا في مواجهة ما تخوضه من تقلبات الزمان..

في إحدى المقابلات في النادي بين «نورا» و «ماجد» أبو عضلات.. هكذا كانت تسميه «مروة» صديقة نورا.. حيث تعرفت عليها نورا خلال إحدى الرحلات الجامعية.. بعدها صارتا صديقتان رغم فارق المستوى المادي والاجتماعي ولأن مروة ليست عضوة في النادي كانت تذهب بصحبة نورا..

أخذ ماجد يتردد ويتلعثم في الكلام وكأنه يبحث عن بعض جمل تائهة في خضم زحام الأفكار المليئة بها رأسها.. ونورا تنظر إليه نظرة المنتظر لسماع نتيجة امتحانه..

أخيرًا استجمع قواه وقال: نورا.. أنا كلمت ماما عنك.. وهي حابة تشوفك وتتعرف عليك.. فسكتت نورا ما بين فرح وقلق.. فرح لأنه بدأ

في اتخاذ خطوات جادة نحو طفو علاقتهما على سطح نظرة المجتمع.. وقلق مشوب بالخوف من تلك المقابلة..

هل تنال اعجابها وكيف تخبر أباها بذلك وتستأذنه.. وماذا ترتدي.. وهل تأخذ معها هدية أم ورد أم علبة حلوى.. وهل حقيقي هناك أم في المنزل أم ماذا؟؟ فهي رأت تلك الألاعيب كثيرًا في مسلسلات وأفلام التليفزيون..

عشرات الاسئلة تتلاحق وتدور في رأسها.. استفاقت على صوت «ماجد» يقول: أنا كلمتها عنك كثيرًا وهي أحبتك من كلامي قبل أن تراكِ.. فهي منذ زمن بعيد دائمة الحديث واللح في الطلب أن اتزوج ويكون لها أحفاد.. فبعد أن تزوجت أختي «هدى» ..وهي تعيش وحيدة وتشعر بالملل لأنني تقريبًا طوال اليوم خارج المنزل.. الصباح في العمل وبعد الغداء أتوجه للنادي لأداء التمرينات في الجيم.. في رفع الاثقال وبناء العضلات لكمال الأجسام.. حيث أنه من المفترض أن أمثل النادي أنا وبعض الزملاء في المسابقات المحلية والدولية..

"ها".. ما رأيك يا نورا؟!.. هل تحضرين لتناول الشاي والكعك مساء الغد..

اطرقت نورا برأسها إلى الأرض.. لا تدري بماذا تجيبه.. فهي فرحة جدًا لهذا العرض ولكن ما يقلقها هو سيادة العميد.. أباها.. هل تخبره وتستأذنه فهي تعلم أنه في الغالب سيرفض ويطلب منها العكس.. أنه من الأصول والمفروض أن يأتي «ماجد» لزيارتهم أولًا للتعرف عليهم وعليه.. وتكوين رأي فيه والاطمئنان إلى انه يليق بنورا زوجًا..

هذه هي الأصول التي دائمًا ما يتحدث عنها سيادة العميد وأنها من الصعب عليها.. بل من المستحيل إثناءه عن رأيه.. وإن لم تخبره.. فهي ترتكب جرم.. فهي تحبه وتحترمه للغاية وهو أقرب من لها في البيت.. اكثر من الأم كريمة أو الأخ شريف.. فأباها هو مثلها الأعلى في الحياة.. علمها الكثير ودائمًا تستمتع بأحاديثه خاصة في فترات حرب أكتوبر 1973 بكل تفاصيلها وأسرارها..

هي في مأزق حقيقي.. وفي نفس الوقت «ماجد» جالس أمامها ينظر إليها في ذهول.. ماذا تنتظر نورا لتجيبني وتقبل الدعوة.. ظنتها سوف تتهلل فرحًا وسعادة وأنها كانت تتمني اليوم كي يتم التعارف مع أسرتي ثم أسرتها..

أطالت نورا الصمت وأحست أنه من العيب ألا تقبل الدعوة ولكن الأصول التي تعلمتها من أبيها تملي عليها تأجيلها لحين زيارة «ماجد» إليهم في بيتها أولًا.. وإذا طلبت منه مهلة للتفكير.. ربما يغضب ويعتبر ردي هذا إهانة له ولوالدته.. وماذا إذا علمت الأم أنني طلبت مهلة للتفكير قبل الرد بقبول الدعوة فسوف تكوّن فيها رأيًا سيئًا وتغضب عليها قبل أن تقابلها..

يا إلهي.. ماذا عساي أن أفعل.. أنا سوف أقبل.. وسامحني يا أبي هذه هي المرة الأولي التي أخفي فيها عنك شيئًا هامًا كهذا في حياتي..

وقبل أن تجيب ماجد بقبول الدعوة وأنها آتية لزيارتهم في الغد حدث أن انقذتها العناية الإلهية.. فإذا بمروة صديقة نورا تنقض عليها.. نورا.. نورا.. هل تعلمين من دخل النادي لتوه الآن.. إنه مطربك المفضل "رامي حداد" هيا.. هيا.. لنلتقط معهم بعض الصور.. وقبل أن تجيبها نورا.. سحبتها من يدها وانهضتها من على المقعد وركضت بها نحو لفيف من الناس قد تجمهر حول المطرب المعروف..

تجمد «ماجد» في مكانه مذهولًا غير مصدق.. جاحظ العينين.. فاتح فمه مع ابتسامة باهتة وانفاس مخنوقة.. حبيسة رئتيه.. ما هذا الذي يحدث.. أجُنت هذه ..وأي مطرب مشهور هذا الذي تتركني لأجله.. أنا لا أصدق.. هذا درب من الجنون هل هذه نورا الرقيقة المهذبة التي تتحدث دائمًا عن الأصول.. تتركني بدون كلمة واحدة لأجل هذا التافه.. يكاد الدم أن ينفجر في عروقه من شدة الغيظ والحنق على هذا المطرب الذي لا يستحق إلا لقب «تافه».. أود أن أذهب إليه وألكمه عدة لكمات في وجهه وحنجرته.. فلا يستطيع الغناء بعد اليوم فيعلن اعتزاله ويحال إلى المعاش وهو في هذه السن الصغيرة فيريحنا من طلته غير المحببة إلى النفس.. ومن تهافت هؤلاء الفتيات حوله وكأنهن مسلوبو العقل والإرادة.. ونورا.. نورا.. نورا تتركني وتركض وراء هذا التافه.. وأمي.. ودعوتها.. ماذا عساي أن أقول لأمي غير أن أكذب وادعي عدم مقابلتي نورا.. لا أستطيع تحمل أن أكون سخريتها لنهاية العام..

هل نورا تتلاعب بمشاعري.. هل هي غير جادة ولا ترى في زوج لها.. هل هي غير مستعدة فاضطرت للهرب من الموقف..؟!

وأنا.. ماذا عساي أن أفعل الآن.. أأنتظر عودتها.. لعلها تتذكرني وتعود أم أذهب إلى البيت جارًا ورائي أذيال الخيبة والفشل في فهم أي شيء..

اختفت نورا بين جموع المعجبات بذلك المطرب الذي لم يسترعى انتباهها لا بشخصه ولا بأغانيه الخالية من جمال اللحن وعذوبة الكلمة..

استغلت هذا الجمع وانزوت جانبًا متخذة طريقها إلى بوابة النادي الخارجية..

***

كان شريف منهمكًا في التهام فطيرة اللحم الضخمة.. وأصدقاءه ينظرون إليه في تعجب وكأنه لم يرَ طعامًا في حياته قط..

فقال أحدهم: ألهذا الحد أنت جائع.. فأجاب بأنه ليس جائعًا، ولكنه يفتقد إلى الحرية وإلى تنوع الاختيار في كل تفاصيل يومه منذ الاستيقاظ إلى نهاية اليوم.. اقترب علاء صديق شريف من أذنه وهمس قائلًا.. "أريدك في أمر هام".. فأشار له شريف أن ينتظر حتى يفرغ من الطعام.. وبعدما انتهي شريف من التهام الفطيرة بأكملها استأذن أصدقاءه واضعًا يده على بطنه أن أصيب بالتخمة وأنه يريد أن يمشي قليلًا للمساعدة في هضم الفطيرة العائلية الحجم هذه.. واستغل هذا الموقف علاء معلنًا رغبته عن السير معه لتسليته..

وبالفعل قاما الاثنين بالسير بطول الشارع.. وما أن ابتعدا قليلًا حتى قال شريف مخاطبًا علاء.. ها.. كنت تريد أن تقول شيئًا يا علاء..

وكان علاء منتظرًا بفارغ الصبر أن يبدأ شريف بالكلام ويعيره انتباهه..

تعلم يا شريف أننا.. أي اسرتي نملك متجرًا للملابس ملكًا لأبي وأنا أقف معه نصف الوقت لأساعده.. فلقد أصبح يعتمد عليّ كثيرا وأوكل لي الكثير من المهام.. وبالأمس كنت من المفروض ان أكون في المتجر من العاشرة صباحًا حتى الخامسة مساءً.. ولكنني خرجت في نزهة مع صديقة لي.. المشكلة

أن أبي يطالبني أن أثبت له أين كنت.. فهو أصبح غير مصدق لما أقوله دائمًا وبالطبع أنا لا أستطيع أن أخبره أني قضيت الوقت وتركت العمل وجميع المهمات الموكلة لي لأتنزه مع فتاة.. وأنا أعلم جيدًا كم يحبك أبي ويثق فيك ودائمًا التحدث بالخير عن أخلاقك وحُسن تربية أبيك لك.. اخترتك أنت لتذهب إلى المتجر لنقابل أبي وتقول له أنني قضيت اليوم معك حيث أنك طلبت مساعدتي في أمر يخص أسرتك..

أرجوك.. أسدلي هذه الخدمة ولن أنساها أبدًا لك.. فعلاقتي بأبي تتدهور وهو قد أوشك على فقد الثقة بي..

أومأ شريف برأسه وأجاب علاء أن عليه أن يدخل إلى الحمام وأنه قريب من البيت فقال لعلاء انتظرني في المقهى مع بقية الأصدقاء.. سأذهب إلى المنزل وأعود سريعًا..

بالطبع لم يشعر شريف بالارتياح لما وقع على مسامعه من قصة علاء والكذب واللف والدوران وتأليف القصص للخروج من مأزق مع أبيه ليضعه هو في مأزق مع ضميره ومبادئه وتربيته المستقيمة.. لذلك اخترع احتياجه لدخول الحمام.. ليذهب إلى البيت ويستشير سيادة العميد الوالد فلقد كان شريف مليء بالعيوب مثل الكسل والإهمال وحب الطعام بشراهة واللامبالاة.. لكن كانت به أهم ميزة.. هي الضمير اليقظ والأمر الآخر هو رجوعه «للميزان» لأبيه سيادة العميد.. كما كان يطلق عليه شريف أن أباه هو «ميزان» البيت هو رمز العدل والاعتدال هو من يستطيع ان يقيس الاشياء بميزان مثل ميزان قياس الذهب.

صعد شريف إلى الطابق الثالث مسرعًا.. فتح الباب وهو ينادي.. أبي.. أبي.. يا سيادة العميد.. يا ميزان البيت.. أين حضرتك.. فأجابته الأم.. أهلًا يا شريف.. تتعشي يا حبيبي.. فأجاب شريف أنه أكل كمية من الطعام ربما تكفيه لمدة عام كامل.. واستطرد.. أين بابا.. بابا في البلكونة.. يقرأ..

تقدم شريف في هدوء.. بابا ممكن أخذ من وقت حضرتك دقائق اريدك في أمر هام وعاجل.. ترك الأب الكتاب من يده وخلع نظارته الطبية وتفحص وجه شريف بعناية قائلًا.. شكلك قلقان.. مالك يا ابني؟!

ابتسم شريف مازحًا.. دايمًا لديك القدرة على قراءة ما يدور في رأسي.. قص شريف على أبيه ما دار بينه وبين علاء..

سكت العميد برهة ثم قال: شوف يا شريف أنا حا أحكي لك حكاية صغيرة ومنها سوف تستخلص الإجابة على تساؤلاتك ولن تقع في هذه الحيرة..

فأنا أعلم أنك بين امرين كلاهما جلل.. الأول.. أن يكون لك موقفًا ايجابيًا مع صديقك أو بمعني آخر أن تتصرف من منطلق الشهامة ومساندة صديقك والثاني.. هو علمك انك لإنقاذ صديقك من الموقف غير اللطيف هذا.. هو أن تكذب من أجله..

أعلم ما يدور بداخلك.. ولكن اسمعني وبعدها ستعرف ما يجب عليك فعله «زمان قبل حرب اكتوبر ببضعة شهور..

في هذا الأثناء دخلت نورا المنزل مسرعة إلى حجرتها.. وهي في طريقها إلى الحجرة سمعت صوت أبيها وأخيها شريف وأيضًا سمع صوت خطواتها

سيادة العميد فنادها.. نورا.. نورا.. فذهبت اليهما وألقت عليهما التحية في الشرفة فقال الأب معاتبًا.. كده ماتجيش تسلمي على بابا يا نورا.. وأين قبلتي.. التي انتظرها منذ خروجك صباح اليوم..

ارتبكت نورا ولم تجد كلامًا مقنعًا تقوله.. فاعتذرت متعللة أن لديها بعض الصداع وأنها تفكر في أن تنام مبكرًا..

نظر إليها الأب بعين الأب المدرك لما يحدث لأولاده قائلًا.. حسنًا لكن هل لي أن أطلب إليك أن تجلسي معنا وتستمعي لما كنت أنوي أن أقصه على أخيك شريف.. فقال شريف اجلسي معنا يا نورا فأنا لم أرك منذ الصباح..

جلست نورا بجوار شريف الذي كان حائرًا بين أمرين.. أيمد يد العون والمساعدة ويقدم الدعم إلى صديقه ليخرجه من ورطة وضع هو نفسه فيها.. أم ينحاز إلى ما يرتاح اليه ضميره وإلى المبادئ والأصول التي تلقاها في بيت أبيه العميد..

بدأ العميد فؤاد حديثه شارد الذهن ناظرًا إلى أعلى نقطة في حجرة المعيشة التي جلسوا جميعًا فيها بعد أن كانوا في الشرفة..

بدأ حديثه بقوله كالمعتاد.. شوفوا يا ولاد.. زمان عندما كنت ضابط صغير برتبة ملازم أول.. قبل حرب اكتوبر العظيمة ببضعة أشهر.. حدث ان كنا في الكتيبة على الجبهة الغربية لشط قناة السويس حيثما كما تعلمون كان العدو في الضفة الشرقية المقابلة لنا.. وفي أحد الأيام جاء استدعاء إلى قائد الكتيبة للذهاب للقاهرة للاجتماع ببعض القيادات العسكرية.. وحل محله نائب قائد الكتيبة لحين عودة القائد وكان هناك اثنان من الضباط موكل لهما

مهمة مراجعة ومسئولية التعيين.. والتعيين هو مخزون الطعام والشراب لجميع افراد الكتيبة وكان من المفروض ان يحصل كل فرد في وجبة الغداء على علبة من اللحم المطهو «البلوبيف» كما يسمونه في تلك الأيام.. وإذا بنائب قائد الكتيبة يأمر الضابط المسئول عن التعيين أن يصرف له علبتان يوميًا من كل شيء وكان المخزون يكفي لصرف علبة واحدة من كل الأصناف لكل فرد..

حاول الضابط المسئول عن التعيين الاعتراض أو شرح الأمر ولكن النائب نهره وأخبره أن هذا أمر ويجب التنفيذ.. انصاع الضابط للأمر ونفذ المطلوب.. وبعد عدة أيام قل المخزون من الطعام وقارب على النفاد..

وفي اليوم التالي عاد قائد الكتيبة من مهمته في القاهرة وبدأ مباشرة عمله كقائد وعاد النائب لمكانه الأصلي نائبًا للقائد.. وبدأ القائد بعمل تفتيش ومتابعة كل التدريبات وكل ما دار في أسبوع غيابه.. وتنقل من موقع إلى موقع يتفقده حيث أنه كان من الشخصيات الحازمة التي تهتم بالتفاصيل وأنه يفضل متابعة ورؤية كل شيء بنفسه ولا يعتمد على التقارير المكتوبة وحسب..

وعندما توجه إلى المكان المخصص لتخزين المؤن والتعيينات «الطعام» وتحدث مع الضابطين المسئولين عن التعيينات.. أدرك ان مخزون الطعام قارب على النفاذ.. وبكل الحسابات كان من المفروض ان هذا المخزون يكفيهم على أقل تقدير اسبوعًا آخر.. عندها تعجب القائد وقرر استدعاء الضابطان إلى مكتبه لسؤالهما.. نظر كل منهما للآخر وشعرا أنهما مقدمان على موقف صعب وأنهما في أزمة حقيقية وربما يوجه إليهما اتهام بالإهمال أو التبديد أو ربما سرقة

طعام.. وهذا أمر مشين وخاصة ان كلاهما لم يرتكب جرمًا.. وبعد انصراف القائد حيث كانت أوامره صريحة.. «عايزكم في مكتبي بعد نصف ساعة»..

وجه الضابط الأول «أيمن» اللوم إلى زميله الضابط «عبد الحميد» واستطرد منتقدا سكوته وصمته قائلًا.. لم يكن ينبغي أن نطيع أوامر نائب القائد ونعطيه زيادة من الطعام.. فهو بالكاد يكفي ويجب أن ندرب أنفسنا على التقشف.. فنحن في حالة حرب..

رد «عبد الحميد» وماذا عساي أن أفعل كنت مضطرًا لإطاعة الأوامر.. أنت تعرف قوانين العسكرية.. وأنا أرى من الأفضل الالتزام بالصمت وإلا نفشي سرًا لنائب القائد وأنه هو من أخذ الزيادة من الطعام..

لم يشعر «أيمن» بالارتياح وأبدى اعتراضه على ما قاله زميله.. كيف لي أن أسكت عن خطأ.. وكيف لي أن اتحمل عقوبة لم ارتكبها بل قام بها واستفاد بها غيري فبالتأكيد أن القائد سوف يقوم بمجازاتنا واتهامنا إما بالإهمال أو الاختلاس.. لا أدري..

أنا غير مرتاح وضمير يملي عليّ أن أقول الحقيقة حتى لو غضب مني نائب القائد.. فاستوقفه عبد الحميد بإشارة من يديه أمام فمه.. والشهامة يا «أيمن».. أين الشهامة ووقوفك إلى جانب زملائك ولا تنسي أننا نحب نائب القائد فهو مرح ومتساهل معنا كثيرًا..

نظر إليه «أيمن» في حيرة واتفقا الاثنان على ألا يذكرا اسم النائب عند سؤالهما وأن يلتزما الصمت حين مثولهما أمام قائد الكتيبة في مكتبه بعد دقائق.. وأن يسلكا طريق الشهامة..

استمع قائد الكتيبة لكلام كلا الضابطين.. وابتسم وقال في هدوء طالما كان السمة الأساسية في أحاديثه رغم أنه قائد يتسم بالحزم والشدة.. ولكن إذا تحدث تشعر في حديثه بالهدوء، والوعي، والحكمة، والثقة بالنفس..

"أنا مدرك لموقفكما من نائب القائد.. انتم اردتم أن تكونوا أوفياء ومخلصين له لأنه زميل.. ولكن.. ثم سكت برهة وأخذ نفسًا عميقًا.. لا يصح إلا الصحيح.. الإنسان يحق له أن يخفي فعلة زميله إذا كان هذا يخص حقوقه وحده.. وليس حقوق الأخرين.. فأنت لك مطلق الحرية أن تعطي لكن مما تملك وهذا ما يدعوني اتعجب من الفهم الخاطئ لبعض الناس.. أنه إذا أبلغ عن خطأ ما وقع.. إنها فتنة أو أنها وشاية.. وإذا قال الحقيقة في شهادة وكأنه قلت نخوته ورجولته ولم يساند صديقه.. افهمونا قديمًا بعض القيم المغلوطة.. الشهامة صفة جميلة.. لكن كن شهمًا فيما تملك وليس على حساب المبادئ.. فكونك تبلغ عن خطأ فهذه ليست فتنة وإنما هو وضع الأشياء في نصابها والمساعدة في أن تستقيم الأمور.. فما فعلتموه أنا اتفهمه ولكن ليس هذا هو التصرف السليم..

ثم أضاف بهدوء.. أنا أعلم كل كبيرة وصغيرة في وجودي أو غيابي وليس بغرض التجسس وإنما بغرض القيادة.. القيادة الصحيحة للكتيبة.. الأمر يبدو بسيطًا وتافهًا إذا تحدثنا عن نقص في بعض معلبات البلوبيف أو التونا.. أو بعض قطع الجبن المثلثات.. ولكن الخطير في الأمر.. ألا وهو أننا تربينا على الإيثار والتقشف وتحمل الصعاب.. هذا هو قدر الجندي.. ونحن محتلون في جزء غالي من أرضنا ولابد من الحرب واستعادة هذ الجزء مهما كان الثمن..

فإذا فرطنا في ما تربينا عليه أو مبادئنا فسوف يكون من الصعب مواجهة عدو له جيش مسلح تسليح حديث وتسانده أعتى القوي العالمية..

اعذروني يا أولادي.. كما قلت لا يصح إلا الصحيح.. فلابد أن نتبع اللوائح.. النائب اخطأ.. ولا مجال للخطأ في هذه الأيام وتصرف بلا وعي وبشيء من الأنانية.. أدت إلى نقص في مخزون الطعام الذي من المفترض ان يكفينا لفترة طويلة..

أنتم كلكم أولادي ومسئولون مني.. فاعذروني في الإطالة في الحديث.. لكننا تعلمنا مما سبقونا.. والآن حقكم علينا أن نعلمكم ونعطيكم من خبراتنا ليس على المستوى العسكري فحسب ولكن أيضًا على المستوى الأبوي والإنساني..

نزل كلام قائد الكتيبة بردًا وسلامًا على قلب وعقل «أيمن» وابتسم لكن ابتسامة باهتة.. تحمل لومًا وعتابًا لنفسه.. كيف لم أتمسك بموقفي وأرفض أن أقول الحقيقة.. هذه ليست شهامة وإنما تعد شهادة زور وهي شيء محرم..

كان من المفترض أن أتمسك بموقفي ولا أنساق وراء مزاعم «عبد الحميد» إنها من الشهامة ان تساند صديقك نعم.. نعم.. فأنا أذكر حديث النبي صلي الله عليه وسلم.. «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا.. فقالوا ننصره مظلومًا.. فكيف ننصره ظالمًا.. قال: بأن ترده عن ظلمه".. كان يجدر بي أن أكون شجاعًا وأقول الحقيقة.. فقولي للحقيقة هي نصرة للنائب ورده عن ظلمه.. حيث انه ظلم نفسه وظلم أفراد وقائد الكتيبة..

أما «عبد الحميد» فبعد سماعه لحديث قائد الكتيبة.. بدأ في مراجعة نفسه ومما ساعده على ذلك أسلوب القائد الأبوي وهدوء حديثه.. فشعر في كلامه بالحكمة والصدق.. فقرر تبني هذا الرأي وأن يكون مسانداً لصديقه.. أولًا: ليس على حساب المبادئ والمثل.. والثاني أن يكون عطاءك مما تملك وليس مما هو ملك للجميع..

❊❊❊

العميد: شريف.. شريف.. هل تسمعني.. انتبه شريف وكأنه يستيقظ من سبات عميق أو أنه آت من رحلة طويلة..

قال شريف معقبًا: تعرف يا بابا.. رواياتك وأحاديثك عن مواقف مثل هذه تجعلني أعيش معك في عالم مثير من التخيل لصور واشكال كل شيء.. وجوه الأشخاص وشكل الكتيبة والرمال والأسلحة وخلافه.. فعلًا يا أبي عشت مع كل كلمة شعورًا فريدًا كأنني مجند وعلى شفا الدخول في حرب تحرير..

تعجب العميد ساخرًا من شريف.. أهذا كل ما خرجت به من حديثي.. واضح أنك لم تفهم من كلامي حرفًا.. واشعرتني أنني أحادث طفلًا أو انني اصطحبته لمشاهدة فيلم شيق عن الحرب العالمية مثلًا..

أما نورا فكانت تعيش في عالمها الخاص.. تستمع للأب ولكن بداخلها صراع وصراخ.. وألم روحي.. وهي تستمع لحكمة الأب وأنه ما روى لهم هذه الحادثة إلا بغرض زرع بعضًا من الخلق والمثل بداخل كلًا منهما.. فالأجدر بها أن تتحلي بتلك المثل وتصارح أباها الذي هو بمثابة المثل الأعلى والمعلم الشجاع.. وتشركه فيما يدور في رأسها منذ الصباح..

أتذهب لأم ماجد للتعارف أم تعتذر وتطلب منه هو المجيء إلى منزلهم للتعارف أيضًا.. أليست هذه هي الأصول.. هي تعرف الإجابة وتعلم جيدًا ويقينًا في قرارة نفسها أنها ليست بحاجة إلى استشارة الأب.. ذلك الأب العظيم الذي زرع فيهم البذرة والأساس وترك لهم مساحة من الحرية للتحرك والقدرة على اتخاذ القرار..

رد العميد على شريف: ها يا شريف هل فهمت من حديثي شيء يخص موضوع صديقك.. هل علمت ماذا يجب عليك فعله وكيف لك ان تتخذ قراراتك بنفسك..

أومأ شريف بابتسامة تنم عن فخره بأبيه واعتزازه أنه المعلم وليس فقط الأب.. قائلًا: ربنا يخليك لينا يا أعظم أب.. هل تأذن لي بالخروج..؟؟

هم شريف بالخروج بعد أن عقد العزم على مقابلة «علاء» لإبلاغه بقراره بالاعتذار عن عدم قدرته على مساندته.. لأنه ليس هذا هو الطريق القويم للخروج من أزمته.. فلا يجب أن نعالج الخطأ بخطأ أكبر منه.. فعلاء اخطأ بتركه ساعات العمل وتحمل المسئولية وخداع أبيه ثم يطلب من صديقه أن يقوم بالكذب لأجله.. فالخسائر هنا كبيرة إذا اكتشفت الحقيقة.. خسائر لا يستطيع ضمير شريف أن يتحملها فبماذا يظن به والد علاء إذا اكتشف الحقيقة.. سوف تتبدل نظرته اليه للاتجاه العكسي.. فبدلًا من أنها نظرة توقير واحترام له ولأبيه وأسرته.. إلى نظرةٍ إلى انسان كاذب يساند صديقه في خداعه لأبيه المكافح.. وأيضًا ما مصير علاقة «علاء» بأبيه فإنه سيفقد كثيرًا من ثقته فيه.. وفقدان الثقة يحدث في لحظة.. ولكن استعادة تلك الثقة ربما يتطلب

فترات طويلة. هذا إذا نجح في ذلك من الأصل.. ودائمًا الخطأ يحدث بصعوبة في أول مرة.. وإذا اقدم الانسان علي فعل الخطأ وتكيف ضميره مع ذلك.. فسوف يكون أسهل بكثير في المرات التالية..

كل هذا الجدل والجدال.. كان يدور داخل رأس شريف وهو يسير في طريقه إلى المقهى حيث كان يجلس «علاء» في انتظاره بصحبة بعض الأصدقاء.. ظانًا منه أن صديقه شريف جاء للذهاب معه إلى متجر الملابس لمقابلة الأب.. واقناعه بما طلب منه مسبقًا.. لم يكن يعلم أن شريف صديقه القادم بعد دقائق عاقد العزم والنية على الرفض والبعد عن هذا اللغط.. حيث كان شريف غير مكترثًا إن كان هذا سوف يغضب صديقه علاء منه وربما تتأثر صداقتها في المستقبل برفضه طلبه.. وأن يظل «علاء» متذكرًا لشريف أنه لم يسانده في محنته وأزمته مع أبيه وخاصة ان علاء يرى أنه طلب بسيط وتنفيذه سهل وأنه ليس بالطلب العضال الذي يحتاج كل هذا التفكير وتلك التحليلات.. ما كل هذه التعقيدات وكأننا أخطأنا في أحد الأئمة أو المشايخ.. ما كل هذا .. ما لهذا الشريف يعاملني وكأنه هو وأسرته أصحاب المبادئ والمثل في هذه الدنيا وأنهم لا يخطئون..

سوف يأتي اليوم الذي ربما يحتاجني فيه.. سيرى ماذا أفعل.. لن أنسى له عدم مساندته لي..

والآن ماذا أنا فاعل مع أبي.. المفترض أن أذهب إلى المتجر والحديث معه لإصلاح ما بيننا فأنا لا أطيق غضبه عليّ.. فما أتقاضاه من عملي معه لا أستطيع أن اتحصل عليه في أي مكان آخر هذا إن وجدت عملًا من الأصل وبالإضافة

أنني سوف أكون مجرد عامل وهناك من هو مدير عليّ.. أما مع أبي فأنا بمثابة صاحب المكان فأنا ابن صاحب المتجر والجميع يكنون لي الاحترام وأبي لا يحاسبني على شيء إلا لو قصرت في العمل أو كذبت عليه.. كمثل الفعلة الشنعاء التي اقدمت عليها..

مالي أنا والنساء.. لما خرجت مع هذه الفتاة؟

أوقعت نفسي في المشاكل «لعنة الله على النساء أجمعين» لكن الخطأ الحقيقي هو عدم مساندة شريف لي في محنتي.. ماذا كان يحدث لو أتى معي لمقابلة أبي..

كل ما هو مطلوب منه أن يقول له جملة واحدة.. علاء كان معي طوال اليوم.. وانتهى الأمر.. ألهذا الحد هذه الجملة صعبة القول أو النطق.. فهذه الجملة كفيلة بعودة خيوط الثقة الواصلة بيني وبين أبي..

***

مروة.. فتاة سمراء.. متوسطة الجمال.. تخرجت في الجامعة من أحد الكليات النظرية.. لكنها مثلها مثل الآلاف من خريجي تلك الجامعات.. مجرد حاملة لشهادة الليسانس.. لكن مستوى الثقافة لا يتعدى الحد الأدنى الذي من المفترض أن يلم به حامل الليسانس من الثقافة أو المعرفة في مختلف نواحي الحياة.. وأن القراءة تمثل شيئًا أساسيًا في الحياة مثل الطعام والشراب.. فحمل الكتاب والقراءة فيه.. أصبحت عادة.. بتنا نراها لدي الأجانب وخاصة من الدول الغربية أما نحن فقلما نجد من يمسك بكتاب ليقرأ.. أصبحت الأجهزة الإلكترونية هي شغلنا الشاغل ومن الممكن أن تجد أحدهم ينفق الآلاف لشراء جهاز من هذه الأجهزة بينما سعر كتاب جديد لا يتعدى العشرات وإذا كان الكتاب مستعمل فربما يصل سعره لأقل من عشرة..

فمروة كما اعتبرها لم تنل حظًا من الثقافة حتى لو كانت حاملة لشهادة جامعية فهناك فرق كبير وشاسع بين ان تحمل شهادة في يدك وبين ان تحمل علم ومعرفة في عقلك.. والغريب في كثير من الشباب على شاكلة مروة أنهم يتلقون المعلومات ويتثقفون ويشكلون آراءهم عبر ما يرونه في القنوات الفضائية على جهاز التلفاز.. فيرددون وينقلون ما يقوله بعض الضيوف في تلك القنوات بلا وعي أو تحقق من معلومات.. فأصبحنا ناقلين للمعلومة وترديدها دون ادني

وعي او بذل جهد للبحث والتحري عن صحة تلك المعلومات.. فتشدقنا بها مثلنا مثل النحلة التي تحمل حبوب اللقاح من زهرة إلى أخرى بين أرجلها لتستمر الحياة النباتية.. أما نحن فلكي تستمر الحياة الجاهلية التي نعيشها فنحن نلعب دور النحلة ونقوم بنقل الآراء الغريبة والشاذة والمعلومات المغلوطة التي هي كفيلة إما بتدمير عقل الشباب وابعادهم عن الانتماء وحب الوطن أو بإلهائهم عن العمل والإنتاج.. فنسهر حتى الصباح أمام الشاشات نشاهد تلك البرامج الدخيلة والتي تتعمد بالطبع أن تبدأ قرب منتصف الليل وتختم فقراتها قرب الفجر..

فبالله عليكم أي أمة قادرة على الانتاج والصناعة.. ورجالها ونساؤها يسهرون حتى الصباح أمام التلفاز والكارثة انها ليست لنهل العلم الحقيقي وإنما لسماع الخبيث من الكلام والآراء..

تعيش مروة في أسرة متوسطة الحال.. فالأب يعمل سائق في شركة مصر للطيران حيث يقوم بنقل المضيفات والعاملين بالشركة من وإلي المطار.. عم «زكريا» محبوب من الجميع ويؤدي مهامه بإخلاص ويتسم بالأمانة والسمعة الطيبة.. فقد انفصل عن زوجته.. أم مروة.. منذ أن كانت مروة في المرحلة الاعدادية.. حيث اكتشف خيانتها له.. فطلقها.. ومن يومها يعيش مع مروة وحدهما.. أما الأم.. فبدأت حياة أخرى جديدة مع نفس الشخص المتسبب في طلاقها..

عادت مروة إلى المنزل .. بعدما تجمعت مع لفيف من الفتيات وقليل من الشباب حول المطرب المعروف في النادي.. دخلت في مناقشة طويلة مع

العم زكريا وتحولت إلى حادة ثم إلى تراشق بالكلام.. إن مروة باتت تخجل من ملابسها وأنها ليست على المستوى اللائق وخاصة عندما تذهب إلى النادي بصحبة نورا «العضوة في النادي» حيث إن مروة ليست لديها بطاقة عضوية أو بطاقة دخول.. فهي اعتادت على الدخول مع نورا بنت العميد فؤاد الذي له باع طويل في مجلس ادارة النادي لسنوات مضت استمرت مروة في جدالها مع زكريا وبكاءها على حالها وكم تشعر بالخجل مما لديها سواء ملابسها أو تليفونها.. وفي الوقت ذاته ترى وتشاهد وتتفحص الفتيات الأخريات وخاصة في النادي. ماذا يرتدين وما لديهن من أنواع وماركات معروفة ومشهورة من الأحذية والملابس الرياضية.. وبعد أداء التمرينات يتوجهن إلى مطعم أو كافيتريا النادي ليتناولن أشهي الأطعمة المعروفة وآخرهم عند افتتاح المطعم الياباني في النادي حيث يتهافت الجميع على صنف من الطعام اسمه «سوشي»..

نظر إليها زكريا بحنق وغيظ يبحث عن كلمات يهدأ بها من غضب مروة واحساسها بالدونية وأنها أقل من بنات جيلها.. وبدأ يشرح لها أن الله هو من يقسم الرزق بين العباد ويعطي كل انسان على قدر احتياجه ويحرمه من أشياء أخرى وأن الله غير ظالم للعبيد وإذا نظر الإنسان إلى حاله سيجد أنه ربما لديه صحة وراحة بال ومُنع عنه كثرة المال أو أنعم الله عليه بنعمة الإنجاب والمال وحرمه من جمال الخلقة وهكذا أخذت مروة تستمع إليه وبداخلها قنبلة موقوتة تقترب تكأتها من الانفجار في أي لحظة.. ولم تستطع مروة سماع المزيد من أباها فأشارت إليه أنه كفي.. لقد سمعت هذا الحديث مرارًا..

فما هي إلا حجج واهية يلقونها للمحرومين كي يضمنوا صمتهم وعدم الاعتراض أو المقارنة بينهم وبين الطبقات العليا.. من لهم حياة أخرى غير حياتنا.. يا أبي.. الآن هناك شيء اسمه مرتبة سرير جاهزة.. بدل المحشوة قطن هذه.. وشيء آخر اسمه «ميكروويف» لتسخين الطعام وعمل الفشار وغيره بدلًا من البوتاجاز القديم هذا وكله كوم وأنبوبة البوتاجاز هذه كوم آخر.. فكل من أعرفهم لديهم غاز طبيعي في منازلهم.. فلا يتعرضون للإهانة والابتزاز المادي الرخيص عند الحاجة إلى الأنبوبة.. وشيء ثالث اسمه «دي في دي» لسماع الموسيقى ومشاهدة الأفلام ورابع اسمه تليفزيون «إل إي دي» نحيف.. خفيف الوزن ذو صورة واضحة ورائعة الألوان بدلًا من هذ التلفاز الذي يشبه الفيل المنتفخ.. وخامس وسادس وسابع..

أخذت مروة تفرغ كل ما بداخلها من مقت وأحقاد تجاه تلك الطبقات وأنها لماذا لم تكن واحدة من هؤلاء.. ذوات العيشة الناعمة المريحة ويعمل لهم ألف حساب في أي مكان يدخلون..

ترقرقت عينا زكريا بالدموع ولم يجد من الكلمات إلا أن يقول.. «الصبر يا ابنتي.. ربما يأتيك عريس غني يحقق لكِ كل ما تطمحين وتصبو إليه نفسك.. فقط هي كلمة واحدة حا أقولها لك وخديها عن رجل عاش طويلًا وله من الخبرات الكثير.. هناك في بعض المنازل أو المكاتب الحكومية نجد دائمًا برواز أو يافطة عليها حكمة ودائمًا ما تكون الحكمة مكررة على معظم الحوائط في المكاتب وكأنهم أجروا اتفاق فيما بينهم علي تزيين الحوائط بنفس الكلمات المأثورة.. أو أنها الزام حكومي وردت في أحد بنود القانون.. المهم

أحد هذه البراويز المعلقة تجدين مكتوبًا عليها «القناعة كنز لا يفني» وبالتأكيد لمحتها عينك أكثر من مرة في أكثر من مكان.. ودائما تنظرين إليها بلا اكتراث أو ببعض الضيق والشعور بالملل من نفس الكلام الجامد طوال الوقت.. لكن الحقيقة يا مروة..

انها الحقيقة.. انه فعلًا القناعة بمثابة الكنز.. فاذا تحلت نفس انسان بالقناعة.. واصبح قانعًا بما عنده من رزق وقانعًا أيضًا بما حرمه الله من نعم ربما تكون عند غيره.. فإنه يا ابنتي يصل إلى شيء اسمه «الرضا» وعندك وصول نفسك للشعور بالرضا.. الرضا بالمقسوم.. الرضا بالرزق فيوصلك بتقدير ما لديك وأنك افضل حالا من غيرك .. الرضا يجعلك تنظرين إلى من هم دونك ..أما عدم وجود الرضا فدائمًا تتوق نفسك لما في يد غيرك ونظرك مثبتًا علي من هم أعلى منك فتلهيك نفسك عن اشياء كثيرة مفيدة في حياتك لأنه ببساطة كل تركيزك أصبح في مركز مراقبة الغير.. ماذا يلبسون ويأكلون وأين يسكنون.. وسياراتهم وحليهم ومدارس أولادهم وسفرياتهم.. الخ.. الخ..

فأنها يابنتي متاهة.. نعم متاهة ودوامة بلا نهاية.. وفي آخر المطاف ستجدين نفسك مضطرة لقبول حالك أو أن تغضبي الله أو تخالفي القوانين..

الرضا يا مروة يوصلك إلى المحطة الأخيرة.. وهي السلام مع النفس.. هل شعرتِ يومًا بسلام داخلي بمعني لا للأحقاد أو الاضغان أو الكره لأحد أو النقمة علي ما لديك والنظر لما في يد غيرك..

ربما أنا اسمي العم زكريا.. السائق وربما أيضًا أنني لم أنل حظًا من التعليم المدرسي والجامعي.. لكن يابنتي الحياة هي المعلم الاوسع فنتعلم منها ومما

نمر به من تجارب ...والقراءة.. فالقراءة تجعلك من المثقفين وشتان الفرق بين المتعلم تعليم المدارس والجامعات والمثقف القارئ للكتب..

انظري خلفك.. ماذا ترين قابع على الحائط.. إنها مكتبة خشبية قديمة... رخيصة الثمن لكنها تحوي كنوزًا من العلم والمعرفة.. كتب في شتي العلوم والآداب.. فأنا لدي كتب منذ مطلع القرن العشرين.. ومجلات قديمة بها حكم ومواعظ كفيلة لإصلاح الكون بأكمله..

فأنت تعلمين أنني كل يوم جمعة بعد اداء الصلاة اذهب إلى سور الأزبكية وفي جيبي ورقة فئة العشرون جنيها.. فأتجول بين الكتب المستعملة القديمة.. فقبل أن انظر إلى عنوان الكتاب أو من هو الكاتب أو دور النشر.. فأنني اضع الكتاب على انفي لأشتم أجمل رائحة عطرية تعطرت بها أنفي.. رائحة الورق القديم.. ثم افتح الكتاب من الداخل لأشاهد اوراقه الصفراء البالية.. فلون الورق القديم المائل للاصفرار.. مع الرائحة الغريبة والفريدة لهذا الورق يعزفون بداخلي أجمل الالحان.. أعظم سيمفونية ممكن لإنسان أن يسمعها في أهم وأعظم دار أوبرا في العالم.. في فيينا أو برلين أو موسكو..

فتحت مروة عيناها وفتحت معه فمها.. غير مصدقة قائلة:

كيف عرفت يا أبي عن أوبرا فيينا أو برلين أو أيه.. أيه..

فقال: موسكو.. ثم استطرد.. يوجد خلفك في الرف الثالث من أعلى المكتبة.. الكتاب الرابع يتحدث عن اشهر مباني الأوبرا في العالم وورد به ذكر دار الأوبرا المصرية القديمة التي تم حرقها في مطلع الخمسينيات وتوجد لها صور للمبني من الخارج والداخل وأنها كانت مصنفة أنها من أهم وأفضل

قاعات الأوبرا في ذاك الوقت.. ربنا يهدي الجاهلين الذي قاموا بإحراقها.. كنت اتمني أن أدخلها.. أو أمر من أمامها.. من كثرة بهاءها.. لكنِّي راضي بالصور..

دعيني أكمل ما يحدث لي في سور الأزبكية.. يا له من مكان رائع.. أنني اعشق هذا المكان يا مروة.. اشعر أنه يتعاطف معنا نحن الغلابة ويحنو علينا.. فيقدم لنا وجبة دسمة شهية من العلوم والفنون والآداب في صورة كتب زهيدة الثمن.. اعيش معها في عالم آخر طوال الأسبوع حتى يأتي يوم الجمعة الذي يليه.. لدرجة يابنتي ان معظم البائعين هناك صاروا يعرفونني ونتبادل التحيات والابتسامات.. انهم اناس طيبون تعلوا وجوههم البشاشة.. وجوه بسيطة بلا تكلف.. والكثير منهم يحمل داخل عقله الكثير من العلم.. وهناك ايضًا يابنتي اقابل كثير من طلبة الجامعات باحثون عن كتب ومراجع لمساعدتهم في ابحاثهم.. وهناك ايضًا من يقوم بتحضير للماجستير أو الدكتوراه.. فيجد في هذا المكان ربما ما لا يجده في مكان آخر.. انني اعتبره بمثابة بيتي الثالث.. بعد بيتنا والمسجد..

دخلت مروة إلى حجرتها وأغلقت الباب خلفها.. ورأسها مليء بالأفكار من شتي الاتجاهات وفي الوقت ذاته فخورة ومعجبة ببلاغة وحكمة ابيها وأنه كيف تأثر بالقراءة إلى هذا الحد وكيف اثرت فيه الكتب لتجعل حديثه منمقًا مرتبًا الأفكار.. صاحب حجة ومنطق رغم بساطة الأسلوب..

وليكن.. كل ما سمعته جيد.. لكن أنا لا أستطيع العيش هكذا.. بهذه الملابس وتلك الحجرة القديمة بأثاثها الغريب الشكل.. ودهان الحائط الذي

أكل عليه الزمان وشرب فلا تعرف لونه.. أهو أصفر فاقع أم بني باهت أم رمادي أم أنه قد سكب عليه قهوة.. أم ماذا وهذه الستارة القديمة التي تغطي الشباك.. والأرض بلا سجادة وسريرها القديم الذي يصدر أصواتًا غريبة كلما صعدت اليه او نهضت من عليه.. أصواتًا مخيفة تشعرني بالاشمئزاز وكأنه يوجد مزرعة فئران تحت السرير..

وتلك المرتبة بلونها المائل للاصفرار.. لماذا كل شيء في هذا البيت لونه أصفر أو رمادي.. ولا نعرف اللون الأصلي للأشياء.. مرتبة محشوة قطن.. لا أظنه قطنا.. فهي صلبة لدرجة انني علي يقين ان بداخلها قطعًا من الحجارة أو الصخور

***

أدار ماجد مفتاح البيت ناحية اليسار.. فتح الباب ببطء وحذر متعمدًا ألا يحدث صوتًا. خلع حذائه كي يحافظ علي السكون والهدوء عند دخول البيت.. وفور دخوله وقبل أن يغلق الباب خلفه وجد أمه قابعة أمامه على كنبة كبيرة وأمامها بعض الأطباق بها المكسرات.. وطبق كبير لتضع فيه القشر وما تبقي من جثث المكسرات الهامدة.. فإنها سيدة خمسينية بدينة.. بدينة بشكل ملفت.. لها قسمات وجه غير مريحة عابسة الوجه.. قليلة الابتسام.. تعشق الجلوس أمام التلفاز والأكل والتسالي.. أي شيء يكون في فمها طوال الوقت بغض النظر أنها جائعة أم لا.. فنصف وقتها تقضيه في التفكير في الطعام والنصف الآخر مركز على ماجد ابنها الوحيد.. مات زوجها منذ عدة سنوات.. ربما لعدم قدرته على تحملها والحياة معها ففضل الذهاب إلى العالم الآخر.. وهي تتباهي بهذا الأمر.. دائمة القول بفخر.. «انا فرست أبوك لحد ما مات.. مش حاقدر عليك انت» ..فهي دائمة الترديد لهذه الجملة.. الحاجة «نعمات».. لكنها في الحقيقة مجموعة من النقمات المتوحدة والمتراصة داخل هذا البدن المنتفخ..

استقبلته بنفس طريقة الاستقبال المعهودة.. والشكوى من الوحدة وأنه يتركها طوال اليوم لقضائه في هذا النادي اللعين.. داعيةً الله أن يهدم هذا النادي على رؤوس أصحابه ومسئوليه.. وتذكره دائمًا أنها أمه.. «عارف

يعني إيه أمك.. أم لا تعرف.. أمك التي حملت فيك.. تسعة أشهر.. وولدتك وعانت آلام الولادة.. ولادة طبيعية بدون بنج أو تخدير ليس مثل هذه الأيام.. البنات المتدلعة عايزة تولد في مستشفى وتأخذ تخدير.. وكمان ولادة قيصرية وكل واحدة منهن ترفض التعب والألم.. فلحظة الولادة رغم ألمها الشديد إلا أنها تضع الحب من الأم للرضيع.. فكيف بمن تلد بتخدير وقيصرية أن تحب وليدها.. بنات آخر زمن»..

وقف ماجد المفتول العضلات ذو الجسم المخيف أمام أمه وقد تحول لفأر.. وجهه إلى الأرض يسمع نفس الاسطوانة كل يوم.. حيث تبدأ في توجيه اللوم إليه بتركها وإهمالها بلا طعام وبلا ونيس أو جليس وتختم كلامها بجملة «يا خسارة تربيتي فيك»..

يستأذنها ماجد إلى الدخول إلى حجرته لوضع أغراضه.. حقيبة الملابس الرياضية وأن يذهب إلى الحمام ليتحمم بعد مجهود الرياضة الزائد في الجيم والركض في التراك.. وبينما هو يخطو تجاه حجرته.. فإذا بالحاجة «نعمات» أمه تصرخ كمن لدغها عقرب.. تعالي هنا يا واد يا ماجد.. اخبار البت اللي كلمتني عنها ايه ويا تري جاية بكرة الساعة كام..

"جاءك الموت يا تارك الصلاة" هكذا حادث "ماجد" نفسه.. كنت ظننتها نسيت.. فأجابها في عجالة.. أنا لم التقى بها اليوم يا أمي.. سأدعوها عندما أراها في الغد.. فقالت الحاجة.. أيوة خليها تيجي أنا عايزة اشوفها.. "أوعي تكون خايبة زي اللي قبلها.. أنا كبرت وعايزة اللي يخدمني"

دخل ماجد حجرته ناعيًا حظه وظروفه.. فلقد خاض تجربة الخطوبة عدة مرات من قبل ولكنها جميعًا باءت بالفشل بسبب أمه.. فأما الأم غير راضية عن العروسة أو أن الخطيبة لا تتحمل الأم بكلماتها القاسية واتهاماتها الدائمة لمن أمامها بالإهمال والتقصير في حقها.. أو بكاءها حالها أنها لا تجد من يحنو عليها بعدما كبّرت وربّت..

وكان هذا أكثر ما يخيف ماجد.. نورا مختلفة عن كل سابقيها.. هي رقيقة حساسة عطوفة حنون.. ذو خلق رفيع.. وكما سمع أنها من أسرة محترمة والجميع يشهد بحكمة أباها وأخلاق أخيها..

إنه لا يطيق أن يفقد نورا أو يخسرها أو أن تضيع من يديه فهي أفضل وأنسب من تكون زوجة له في أناقتها وتعليمها وبمعرفتها بأكثر من لغة.. هذه هي الزوجة التي تشرف بصحيح.. فأنا أمامي سفريات كثيرة في بعض المسابقات في كمال الأجسام ورفع الأثقال.. في عدة عواصم من العالم وعلمت أنه ممنوع اصطحاب الزوجات أيام المنافسات الرسمية لكن من الممكن حضور الزوجة في يوم التكريم والحصول علي الميداليات والكؤوس المختلفة.. فلا أري نفسي إلا ونورا تجلس أمامي فرحة مشجعة مصفقة.. وهو على منصة التتويج بالمركز الأول.. أو الثاني على أقل تقدير.. ولكن القضية هي نفس العقبة.. أمي.. ماذا عساي أن أفعل.. هي أمي وأوصى عليها الله ورسوله.. ولها كل الأفضال عليّ.. لكنها هي المتسببة دائمًا في هروب كل من أقبلت على الزواج منهن..

هل أصارح نورا بالحقيقة.. حقيقة شخصية أمي وأنها بكل صراحة تريدني ان أتزوج من فتاة تكون لها بمثابة الخادمة والجليسة الأنيسة.. وبالإضافة لذلك فإنها ربما تسمعها من الكلام ما يؤذيها طوال الوقت.. فهل تتحمل؟!!

ولما تتحمل هي.. لما لا تكون أمي عطوفًا حنونًا وتراعي بنات الناس.. لما لا تتوقف عن الطعام والمقرمشات والمسليات طوال الوقت.. حرصًا على صحتها وإقلالًا لعدد الأدوية الذي يتزايد شهرًا بعد الآخر.. ضغط.. سكر.. ارتفاع كوليسترول ودهون على الكبد.. خشونة الركبة وآلام المفاصل.. حساسية الصدر.. وأخيرًا زاد عليهم أدوية القلب.. حيث أن عضلة القلب باتت ضعيفة..

ما الحل.. ارشدني يارب إلى الصواب.. أنا لا أستطيع فعل كلا الأمرين لا أستطيع أن أحكي لنورا عن أمي بكل التفاصيل وأن تنتظر ما هي مقدمة عليه من وجود «حما» صعبة الإرضاء.. بل مستحيلة..

في الوقت ذاته لا أستطيع أن أغير من طباع أمي ونظرتها للأمور وكرهها للجيل الحالي من البنات وأنهن كلهن متدلعات.. ليس كزمانها عندما كانت الزوجة تقوم بخدمة الزوج وعائلته وإن كان على حساب مظهرها.. صحتها.. تعليمها.. ثقافتها.. لا يهم المهم هو ارضاء الزوج وعائلته والأولاد..

"لن تتحمل نورا.. أنا أعلم.. لن تتحمل.. حظي كده".. هكذا كان يتمتم ماجد بكلمات وهو في طريقه إلى الحمام حاملًا بشكيرًا كبيرًا على كتفه وأمه تنظر إليه بتعجب واستغراب.. قائلة «الواد باينه اتجنن»..

***

رأسه سوف تنفجر.. وهو جالس بين أصدقائه في المقهى من الغيظ من موقف شريف معه.. ولو كان الأمر معكوسًا.. ما كان خذله.. بل ذهب معه ونفذ كل ما يطلبه منه لإنقاذه..

مد يده إلى جيب سرواله الخلفي.. سحب حافظة نقوده.. «فتحها فإذا بها جنيهات قليلة.. بالكاد تكفيه هذه الليلة.. فهو غير مصرح له بالذهاب للعمل ودخول المتجر قبل أن يسوي خلافه مع أبيه فمن أين يأتي بمصروفه.. نقود تكفيه في الأيام القادمة.. شكلها كده أيام سودا»..

اتخذ قرارًا بأن يظل ساهرًا في المقهى إلى وقت متأخر من الليل كي يضمن أن يكون أبيه نائم وفي سبات عميق.. وفي الصباح يحادث والدته ويطلب منها أن تتوسط له وتحنن قلب أبيه عليه ليسامحه.. كيف هذا وأمه غاضبة من فعلته أكثر من أبيه.. ومع كل هذا هو يعلم أنه ببعض القبلات والاحضان للأم. فهي دائما ما يرق قلبها سريعا..

انتظر علاء في المقهى حتى الثانية بعد منتصف الليل ثم توجه إلى سيارته والنعاس يغالب عينيه ويتثاءب ربما بعدد أربع مرات في الدقيقة..

قاد سيارته وسط الظلام والطرقات خالية من المارة..

***

قاربت الساعة على الحادية عشرة ومروة عازمة ومصممة أنها ستأخذ خطوات جادة لأجل اصلاح هندامها ومظهرها الخارجي.. فأخذت تقنع أباها أنها في حاجة إلى نقود لأجل شراء بعض الملابس الجديدة على الموضة.. فقدم لها العم زكريا بعض النقود.. نظرت إليها بشيء من الاحتقار قائلة.. ما هذا.. هذا لا يكفي لشراء بيجامة للنوم..

فقام الأب على مضض وفتح أحد الأدراج وأخرج كل ما فيه من نقود قائلًا هذا كل ما معي حتى آخر الشهر.. لحين أن اقبض من «مصر للطيران» لا تنفقيهم جميعًا.. فمازال هناك أربعة أيام على أول الشهر.. كوني حذرة وغير مبذرة..

أخذت النقود فرحة واحضرت شنطة يدها ذو الماركة المقلدة طبعًا وهمت بالخروج.. فإذا بالأب يصيح.. مروة.. إلى أين ذاهبة الساعة الآن الحادية عشرة ليلًا وكل المولات والمتاجر مغلقة الآن..

لا يا أبي.. كم أنت قديم.. فالكثير من المولات يظل مفتوحًا حتى ساعات متأخرة ويغلق قرب الفجر.. لا تقلق فأنا في مكان آمن به أناس كثيرون وحراس أمن..

استقلت مروة سيارة أجرة أقلتها إلى إحدى المولات الشهيرة التي طالما كانت مروة تتمني دخولها كمشترية وليس كمتفرجة أو مشاهدة لما وراء زجاج الفتارين وكفى.. كانت رأسها تدور وتتسارع وهي مليئة بالصور لشتي أنواع الملابس وماذا سوف تقوم بشرائه وما هي احتياجاتها.. وفي ذات الوقت هي تسمع وكثيرًا تشاهد صورًا لذلك المقهى الشهير في المول.. وأنها تتمني أن تتذوق أحد أصناف القهوة التي يقدمها.. وربما معها قطعة من كعكة الجبن أو كوكيز.. كما تسمع من زميلاتها دائمًا..

وفي داخل أروقة المول.. سارت مروة بفخر واعتزاز وشيء من الكبر والتكبر رافعة رأسها إلى الأعلى وهي تصعد على السلم الكهربائي وكأنها تريد اخبار كل من حولها من صفوة القوم.. أنها هنا لتشتري ملابس جديدة من ماركات معروفة عالميًا. فتوضع وتقدم لها وهي بداخل أكياس مطبوع عليها اسماء اشهر المحلات ثم تدخل باب بيتهم في الحي الشعبي حاملة في يدها هذه الحقائب والأكياس فيراها الجيران من نوافذهم وشرفاتهم.. ثم تتخيل نفسها عندما تتقابل مع نورا. وكم الاعجاب الذي سوف يرتسم على وجهها وتصرح لها بأنها اليوم في منتهي الشياكة.. وأيضًا وهي داخلة إلى النادي.. بداية من البوابة والحراس عليها.. إلى الاعضاء بالنادي.. فينبهرون بجمالها رغم سمار بشرتها لكنها سوف تكون أشيك وأجمل منهن جميعًا..

أفاقت مروة وهي تصطدم بأحد المارين بدون قصد ..فاعتذرت.. وبدأت في التسوق.. وقفت أمام فاترينة عرض أحد المحلات فوجدت فيها بعض قطع الملابس مما كانت دائمًا تتوق إلى أن تقتنيها وأنها سوف تكون

لائقة على جسدها الممشوق الطويل.. وإذا بها تلمح الأسعار.. غير مصدقة.. فالرقم كبير والأصفار كثيرة.. فسعر قطعة واحدة يفوق كل ما معها من نقود.. شهقت غير مصدقة.. إن كل ما معها لا يكفي إلا أن تشتري بالكاد جورب أو بلوزة واحدة.. ولكنها استجمعت قواها قائلة إن هذا المتجر لابد أنه مبالغ في اسعاره سأذهب إلى غيره.. أكيد هناك من هم أقل في السعر منه بكثير.. كررت المحاولة.. وتنقلت من متجر إلى آخر.. لثالث.. رابع.. خامس.. صعدت إلى طابق أعلى.. فأعلى.. ما كل هذا كيف يعيش الإنسان بهذه الأسعار.. هذا جنون..

اصيبت بنوع من الاحباط.. نظرت إلى ساعة يدها فقد تخطت الواحدة بعد منتصف الليل.. جلست لبرهة على أحد المقاعد المنتشرة في أرجاء المول لتستعيد توازنها وتستفيق من الغفلة التي وضعت نفسها فيها ظانًّا منها أن نقود سائق الحافلات في شركة الطيران كافية أن تجعلها زبونة في أحد هذه المتاجر.. يا لنا من غلابه.. هم في واد ونحن في واد آخر.. لقد ظننت نفسي من أصحاب الطبقة المتوسطة.. من هم هؤلاء الناس.. فكل منهم يشتري ما أراد حاملًا في يده بطاقة يدفع بها وكأن هذه البطاقة متصلة اتصال مباشر بمغارة على بابا.. ولكي أكون واحدة من أصحاب تلك البطاقات يجب أن يكون لها دخل كبير من عملها الذي يقوم بتحويل راتبها على البنك.. ثم يقوم البنك بإصدار بطاقة الائتمان لها بحد أقصى معين حسب راتبها.. هذا ما أجابتها به إحدى صديقاتها العاملة في أحد البنوك عندما سألتها مروة ذات مرة عن كيفية الحصول علي بطاقة كهذه ..كما يسمونها.. فيزا كارت..

سارت في طرقات المول.. متجهة إلى الباب الخارجي وهي تتمتم بين شفتيها .. فيزا كارت.. فيزا كارت.. علي بابا كارت..

وهي في طريقها للخروج إلى الطريق.. رأت في الطابق السفلي للمول المقهى الشهير الذي تراه وتسمع عن مشروباته دائما.. فتذكرت حلمها الثاني.. بعد التسوق.. هو الجلوس في هذا المقهى كزبونة وليس كمتفرجة.. اطلب قهوتي مع قطعة الحلوى واجلس وسط هؤلاء القوم..

توجهت إلى كاونتر الطلبات ونظرت إلى القائمة المعلقة في الأعلى طلبت نوع لم تألفه من القهوة وشعرت بالخجل أن تسأل من يتلقى منها الطلبات عن ماهية هذا الصنف من القهوة وما بداخله وكيف يصنع..

وكما حدث سابقًا فوجئت بسعر كوب القهوة.. غالي جدًا جدًا.. لكن لا أستطيع عن التراجع.. فدفعت جزء كبير مما معها من نقود في ثمن القهوة وقالت له الغي قطعة الحلوى.. أنا لست جائعة.. اضطرت لفعل هذا بعدما علمت ان القهوة غالية الثمن بشكل مبالغ فيه وهي في النهاية عبارة عن بعض من القهوة والسكر واللبن فما بالك بالحلوى.. كم يا تري يكون سعرها.. احسنت التصرف أن الغتها..

جلست على أحد الطاولات غير المريحة.. كل هذه الأموال وأجلس غير مستريحة.. ما هذا اليوم العجيب..

***

دخلت نورا إلى حجرتها بعد أن اطفأت النور.. وأخبرت الجميع أنها بحاجة إلى النوم.. وأين هو النوم.. سافر بعيدًا عن مقلتي نورا.. اخذت الأفكار تتحرك في رأسها ذهابًا وإيابًا.. وبعدما استمعت إلى ما قصه عليهم سيادة العميد الأب الحنون.. كم تحب أباها.. هي في مأزق.. إن أخبرت أباها.. فهي تعلم تمام العلم ان الرد هو الرفض بالتأكيد.. وأنه محق في ذلك..

ولكن.. «ماجد».. هي تحبه بدرجة كبيرة.. ترى فيه الشاب الوسيم ذو الطموح أن يكون أحد ابطال العالم.. فهي كانت دائمًا تحترم من لهم تطلعات وطموحات تقودهم إلى النجاح.. ومن يعرف طعم النجاح.. يظل دومًا في نجاح إذا حافظ عليه..

وأنه من العيب أن ترفض دعوة ماجد للتعرف بأمه.. فهذه خطوة جيدة.. تزاحمت الأفكار في رأسها.. بين رفض وقبول.. وأخيرًا استقر بها الرأي ألا تخذل «ماجد» فسوف تقبل الدعوة وتقوم بزيارة الأم.. لعلها تنجح في أن تجعلها تحبها وتعاملها كأبنتها وليسامحها الله وليسامحها أباها فيما هي مقدمة عليه.. والقيام بإخفاء شيء هام كهذا عن والدها الجميل.. المثل الأعلى.. الحنون..

والآن.. السؤال هو الشغل الشاغل.. ماذا ترتدي..؟؟؟ فبالتأكيد يجب أن يكون مظهرها محافظًا إلى أبعد الحدود.. وأيضًا ماذا تأخذ معها؟؟.. اتأخذ وردًا أم حلوى أم الاثنين معا.. باقة من الزهور وعلبة من الشكولاتة الفاخرة..

أما شريف فقد جلس في الشرفة وحيدًا.. فخورًا بنفسه بأنه أخيرًا استطاع التخلص من سطوة اصدقاءه عليه تحت مقولة.. الشهامة.. الصحاب.. الجدعنة.. صاحب صاحبه..

كل هذا جميل ورائع ولكن بما لا يتعارض مع المثل والمبادئ هذا ما ألقاه عليه سيادة العميد.. استمرت سعادته اكثر بأنه أصبح سيد قراره وليس منقادًا وراء أحد.. ومن حقه أن يقبل أو يرفض أي طلبات.. وعلى الآخر احترام رأيه وليس اجباره على القبول وتحويله إلى مجرد منصاع وتابع تحت نفس المسمى والبنود التي تندرج تحت كلمة «الشهامة» فكم من شهامة أودت بأصحابها إلى غياهب السجون أو تسببت لهم في مشكلات عانوا من توابعها وويلاتها لسنوات طويلة أو افسدت علاقات أسرية.. فالعقل هنا من يكون المتحكم وله الغلبة.. وليس عاطفة الحب للأصدقاء وحسب..

كانت هذه هي أحد مشكلات وعقد شريف مع حاله.. أنه غير قوي الشخصية وقليل الحيلة تجاه أصحابه.. فسر فرحته هو ولادة شريف جديد.. يعلم متي يقول لا.. ولا يأبه بغضب أحدهم ولوم وتأنيب الآخر واتهامه بالنذالة والخسة وعدم مساندته لأصدقائه.. إذا كان صديقي سيوقعني في مشكلات مع اسرتي أو القانون أو ضميري فأنا في استغناء عن هذه الصداقة.. وأنه ليس بالصديق الحقيقي الذي يتسبب في ايذائي..

أنهت مروة كوب القهوة وهي تتمني أن تستمر ترشف منها للأبد كم طعمها جميل.. كم هو لذيذ هذا الكراميل الموضوع في خطوط متشابكة فوق رغاوي اللبن الساخن في الطبقة العليا من الكوب..

كم هو لذيذ ويستحق ما دفع فيه.. آه.. تنهدت وهي تتمني أن تحيا حياة هؤلاء الناس وتستمتع بطعامهم وشرابهم ومتاجرهم ومنازلهم وسيارتهم.. الخ.

فرغت القهوة وليس هناك ما تفعله.. والساعة تخطت الثانية بعد منتصف الليل بقليل.. امسكت بحقيبة يدها بعد أن وضعت فيها بعض من المناديل الورقية المطبوع عليها اسم وشعار المقهى الفاخر كي تتذكره دائمًا وكي تتفاخر بالمنديل عندما تخرجه من حقيبتها لتجفيف وجهها عن التعرق.. فيعلم من معها أنها تجلس وتشرب قهوتها في هذه الأماكن المميزة وأنها سوف تخبرهم انها زبونة دائمة التردد هناك.. كذبة بيضاء.. لا ضير منها..

خطت خطوات تجاه الباب الخارجي للمول وهي تنظر للخلف تجاه الكافية والطاولة التي كانت جالسة عليها ومازال عليها كوب القهوة الفارغ الآن.. ثبتت عينيها نحو المقهى والطاولة قائلة.. سوف أعود.. انتظروني.. أنا عائدة اليكم مرة أخرى ولكن في المرة القادمة سيكون بجانب كوب القهوة طبق من الحلوى الشهية التي ألغيت طلبها.. اني عائدة.. سوف ترون..

همت مروة بعد أن نزلت من على سلالم المول واصبحت في الشارع للإشارة لسيارة أجرة تستلقها للبيت.. لكنها فكرت انها تحتاج للتفكير.. فقررت ان تعود إلى بيتها سيرًا على الأقدام كي تستمتع بالجو الجميل وتعيد التفكير في كل شيء مر بها اليوم بدءًا من كلام أبيها عن القناعة ونعمة الرضا والسلام النفسي الداخلي.. سور الأزبكية.. رائحة الكتب.. لون الورق الأصفر.. النقود.. المتاجر في المول وجمال المعروضات.. لكن الأسعار.. آه من

الأسعار.. فهي لا تصدق هذه الأرقام الكبيرة.. ولكن كان ختامها مسك.. كوبا من القهوة.. صحيح باهظ الثمن.. لكن ينقلك إلى عالم آخر خاصة وأنت تعامل معاملة العظماء وأنت جالس وسط صفوة المجتمع.. مثلك مثلهم يا له من إحساس رائع يعطي ثقة لا حدود لها بالنفس..

لكن ما جعلني انظر خلفي مخاطبًا المقهى والكوب.. هل أنا جننت؟ هل حدثت لي لوثة من كل هذه الأحداث وتناقضاتها؟.. بعد حديث عم زكريا الطيب عن القناعة والثراء الفاحش لبعض الطبقات.. والفيزا كارت المفتوح رأسًا على مغارة على بابا.. ما هذا الزمن العجيب الذي نعيش فيه.. وكيف لي أن أتحدث للمقهى وللكوب الفارغ بعدما أفرغت كل محتواه بداخلي.. فهو الآن قابع في معدتي المستمتعة بطعمه الرائع.. ما جعلني اقول بكل ثبات وثقة أني عائدة مرة أخرى.. آنّي لي بكل هذه الأموال وأنا ما زلت أبحث عن وظيفة..

***

قاد علاء سيارته مسرعا وهو غاضب ويشعر بالمهانة وأنه قد صفع على وجهه من شريف.. الطرقات خالية وقليل من المارة يسير على الأقدام وقليل من السيارات هنا وهناك..

فكر علاء أن يرسل إلى شريف رسالة على هاتفه مخاطبًا إياه بقوة وعنف وأنه لن يسامحه أنه اعتمد عليه ولكن شريف تعمد ان يخذله..

وبينما هو يمسك بهاتفه و يقود مسرعًا.. تظهر أمامه جسد فتاة تعبر الطريق.. فلم يستطع التصرف و فعل أي شيء.. و في جزء من الثانية حدث ما هو غير متوقع حيث صدم بمقدمة سيارته شيئًا ما.. وارتطم جسد الفتاة.. سقطت على الأرض أمام سيارته.. نزل علاء بعد أن تجمهر بعض المارة القليلين ممن كانوا في الطريق..

طلب علاء من بعض الواقفين مساعدته على حمل الفتاة لأخذها إلى أقرب مشفي للاطمئنان عليها..

قاد علاء السيارة وهو يرتجف من الخوف.. فهذه أول مرة يصدم بها إنسان.. فقد حدث مرة أن اصطدم بسيارة أخرى.. صدام خفيف من الخلف.. لكن أن يصدم إنسان.. فهذه أول مرة..

كانت الفتاة ملقاة على المقعد الخلفي للسيارة.. هل ماتت.. زاد رعب علاء عندما ظن أنها ممكن أن تكون ماتت.. لقد ضاع مستقبله وضاعت كل أحلامه وسوف يزج به في السجن..

إنه لا يستطيع تحمل هذا أبدا.. سوف يقتل نفسه إذا زجوا به في السجن.. لقد عرفت الآن أن مشكلتي مع أبي أسهل بكثير مما كنت اظن..

لماذا انشغلت بالهاتف.. آه.. لأرسل إلى شريف وأعنفه بكلمات قاسية.. شريف مرة ثانية يتسبب في ايذائي ووضعي في موقف لا أحسد عليه.. يارب استر..

صدر صوت خفيف من الفتاة الملقاة على المقعد الخلفي.. حمد الله علاء على أنها مازالت بها الروح..

وصل علاء إلى المستشفى وأخبرهم أنه معه حالة طـوارئ.. توجه المسعفون على الفور وحملوا الفتاة على سرير المشفى المتنقل ذو العجلات.. ادخلوها للطوارئ..

نظر علاء إلى المقعد الخلفي فوجد على ارضية السيارة حقيبة نسائية عرف أنها اكيد تخص الفتاة أخذها واتجه إلى داخل المشفى للاطمئنان على الفتاة.. جلس على أقرب مقعد.. تقدم إليه أحد موظفي الاستقبال يريد أن يدون في الأوراق الرسمية بياناته وبيانات المريضة وأنه لابد من ابلاغ الشرطة لأنها حادثة سير وبها فتاة مصابة.. لا يعرف حجم اصابتها ولا مصيرها إلا الله سبحانه وتعالي.. هكذا شرح موظف الاستقبال لعلاء الموقف.. زاد توتر علاء وخوفه بعدما سمع كلمة الشرطة وكلمة لا يعلم مصيرها.. وبدأت الصور تتراقص أمام عينيه وهو بملابس السجن.. وهو في محكمة وأمه منهارة وأبوه يصب عليه جم غضبه ولعناته بما سبب لهم من فضائح.. وكم هي سمعته الحسنة عنوان حياتهم بين الجيران وايضًا في تجارة الملابس الجاهزة..

هز موظف الاستقبال كتف علاء وهو غارق في افكاره وتخيلاته المرعبة وانتبه والموظف يسأله.. هل معاك بيانات المصابة.. اسمها.. عنوانها.. تاريخ الميلاد.. أي بيانات.. أجاب علاء بتلقائية.. أنه لا يعلم من هي وليس لديه أي سابق معرفة بها..

ما هذا اليوم النحس.. كل هذا بسبب ذاك الملعون «شريف»..

فبينما هو يفكر فإذا بالموظف يسأل علاء «أمال شنطة مين دي»..

نظر اليه علاء واستفاق مما هو فيه من غياب عن الوعي.. نعم اعتقد أنها حقيبتها.. اخرجوا حافظتها من الحقيبة واطلعوا على بطاقة هويتها لأخذ بياناتها.. فأخذ علاء يقرأ على الموظف البيانات المدونة في البطاقة.. الاسم/ مروة زكريا الحسيني...

***

استيقظت نورا في الصباح على دوي صوت جرس هاتفها.. استفاقت ونظرت لتجد رقم غير معروف.. اجابت فإذا به العم زكريا.. فجاءها صوته بلهفة.. أنا آسف يا آنسة نورا.. اتصل بي أحدهم من المستشفى وابلغني ان مروة تعرضت لحادث سير.. صدمتها سيارة.. أنا سوف اذهب إلى هناك وأرجوك ان تحضري فأنت تعلمين كم هي تحبك..

بعد فترة قصيرة كان حول سرير مروة كل من العم زكريا وعلاء يتبادلان الحديث وعلاء لا يتوقف عن تقديم اعتذاره علّ عم زكريا يغفر له اهماله في القيادة.. فتحت نورا باب الغرفة وحيت عم زكريا بلهفة مستفسرة عن حالة مروة التي بها بعض كدمات في اماكن متفرقة من جسدها.. ونظرت لمن هو واقف بجانب عم زكريا.. إنه علاء صديق شريف..

نظر اليها علاء بكل ما فيه من غضب وكره لما فعله شريف وقناعته بأنه السبب وراء كل هذا النحس الذي يلازم اليوم وكاد أن ينفجر في وجهها آخذا بثأره من أخيها الذي كان صديقه.. ولكنه تمالك نفسه وقرر الصبر حتى يفكر بهدوء في الطريقة التي ينتقم بها ويرد اعتباره..

فأجاب على نورا.. أهلًا نورا.. لكن السؤال.. ما الذي أتى بها هنا.. ومن الواضح انها تعرف والد الأنسة مروة المصابة.. فسألها ماذا أتى بك هنا؟.. هل سبق لكم التعارف.. فأجابت نورا «نعم إنها مروة صديقتي وهذا والدها».. ثم نظرت إلى عم زكريا.. هذا علاء صديق شريف أخي يا عم زكريا..

***

حزم شريف حقيبته في الصباح الباكر متوجهًا للإسكندرية حيث انتهت أجازة نهاية الأسبوع.. مرتديًا الزي الرسمي لضباط البحرية التجارية.. استقل القطار.. جلست في المقعد المقابل له فتاة على قدر من الجمال رقيقة تتسم بالبساطة لكنها كانت منهمكة في العبث بأزرار هاتفها المحمول.. وعيناها مغرورقتان بالدموع، وكأنه مطر يريد أن ينهمر وتوقف فجأة لحين صدور الإذن بالهطول..

نظر إليها شريف وبداخله كم من التساؤلات.. ترى ماذا يبكي هذه الفتاة.. هل ضايقها أحد.. هل هي تائهة؟.. هل فقدت نقودها وليس لديها تذكرة القطار؟ هل تراها مريضة؟.. عشرات الأسئلة بلا إجابات جالت في رأس شريف في دقائق معدودة.. بعدها قرر أن يسألها.. استجمع كل قواه واستحضر شجاعته واقترب منها بأدب شديد وخجل واضح.. هل حضرتك بخير.. هل لي أن أساعدك.. عادة لا تلتفت هي لمثل هذه العبارات حيث عادة تكون مقدمة سخيفة ومعروفة للتعارف وهي ليست على استعداد في الدخول في مثل هذا السخف.. لكنها عندما رفعت عينيها ونظرت إليه.. رأت شابًا يرتدي بدلة البحرية التجارية.. شعرت بالاطمئنان، وأنه من المستحيل أن تكون تلك المقدمة نوع من المعاكسات حيث هي تعلم أن أصحاب هذه

المهنة يوقرون ويحترمون زيهم إلى حد كبير.. أجابته.. أنا بخير لكن هاتفي لا يعمل.. مات فجأة وأنا في أمس الحاجة إليه.. فظروفي تحتم عليّ أن أجري بعض المكالمات قبل وصولنا محطة سيدي جابر في الاسكندرية..

أخرج هاتفه من جيب سترته.. قدمه لها.. تستطيعين استعمال هاتفي في أي وقت إذا أحببتي.. شكرته بأدب.. موضحة له أن المشكلة أنها مثل الكثيرين لا تحفظ الأرقام.. كلها على ذاكرة الهاتف.. وإذا فقدته أو لا يعمل فأنا لا استطيع اجراء أي مكالمة.. فكر شريف لثواني ثم اقترح عليها إن وافقت أن يتفحصه لربما يستطيع اصلاحه ليعمل.. على الأقل لتحصل على الأرقام من عليه.. وافقت وجلس في مقعده محاولًا بكل الطرق التي يعلمها عن أسرار تشغيل تلك الهواتف وبعد فترة عاد إليها إنه حاول، ولكن للأسف فشلت المحاولة ثم استطرد وكأنه وجد ما هو تائه منه.. أنا عندي فكرة أحنا ممكن نأخذ الشريحة الصغيرة بداخل هاتفك.. نضعها في هاتفي وبذلك تستطيعين الحصول على الأرقام خاصة وأن هاتفي بشريحتين حيث يمكن وضعه في الشريحة رقم اثنين حيث أن لدي خط واحد فقط..

انفجرت أساريرها وابتسمت ابتسامة عريضة وهللت فرحًا.. كيف لم تخطر هذه الفكرة على بالي.. حضرتك في منتهي الذكاء..

ابتسم شريف وشعر بشيء من الثقة الزائدة وكأنه يقول ان هذا اقل ما لدي.. بالرغم أنه منذ لحظات كان يشعر أنه فاشل ولا يجيد التصرف..

نجحت الفكرة واستخرجت الفتاة أرقام التليفونات المهمة ودونتهم على ورقة حتى لا تكرر الخطأ.. أكملا الرحلة سويًا بعد أن تبادلا التعارف..

هي «مايا».. متخرجة في كلية الفنون الجميلة بالإسكندرية.. كانت في القاهرة لزيارة عمها الذي تعرض لوعكة صحية مفاجئة.. تبادلا الأحاديث في مجالات شتى حتى وصول القطار إلى محطة سيدي جابر.. اتفقا على اللقاء في الاسكندرية وافترقا بعد ان تبادل ارقام تليفوناتهما..

استقلت سيارة كانت في انتظارها بجوار المحطة واستقل شريف سيارة اجرة تقله إلى الأكاديمية وفي الطريق كانت صورة «مايا» تتحرك أمام عينيه بخجلها.. أناقتها.. أدبها وعدم قدرتها على التصرف في مشكلة التليفون.. كان شريف من النوع الذي يحب ان تعتمد عليه فتاته في أمور كثيرة، وأن تعود إليه في كل كبيرة وصغيرة يشعره بأهميته وخبرته التي اكتسبها في حياته لها قيمة ومعنى وتصلح لأن ينقلها اليها لتستفيد منها، فتح هاتفه ونظر إلى ارقام هاتفها كم هي ارقام جميلة متراصة بعناية أرقام كلها زوجية وسهلة التذكر..

أما مايا فانطلقت بها السيارة التي أرسلها إياه أباها.. فأباها هو الدكتور «كامل شوقي» أستاذ جامعي متقاعد وهب حياته بعد التقاعد للعمل العام، وخدمة المجتمع.. فقام بإنشاء جمعية خيرة لرعاية المكفوفين وضعاف البصر.. في حي الشاطبي بالإسكندرية.. هو سعيد بهذا العمل الذي يؤديه.. رغم صعوبته ومسئولياته الكثيرة لكنه مبهور بالنتائج التي يصلون اليه ويعاونه في العمل في الجمعية بعض من المتخصصين في رعاية المكفوفين، وبعض الشباب من المتطوعين.. وبينهم «مايا» فهي تعمل لديه في أجازتها والأيام التي ليس لها فيها عمل.. فهي تعمل مصممة ديكور.. تحب هذا العمل جدًا حيث التعامل

مع الخامات المختلفة والألوان يشعرها بسعادة غامرة خاصة بعد أن ينتهى العمل وتستمع إلى ثناء العميل علي ذوقها في ديكور المكان..

ولكن اكثر ما يؤرقها في هذا العمل هو صعوبة التعامل مع عمال الدهان والبناء والكهرباء وخلافه.. حيث إنهم أحيانًا يتأخرون عن الحضور، وأيام أخرى لا يأتون من الأساس فشغلها الشاغل دائمًا هو البحث عن طاقم عمل ملتزم بمواعيده.. ذو مهارة وكفاءة.. لإنهاء العمل في ميعاده بدون تأخير.. حيث إنها ترى أن أساس عملها قبل الجودة والذوق هو السمعة الطيبة والالتزام بميعاد التسليم..

مايا.. يتيمة الأم.. توفيت والدتها وهي مشرفة على امتحانات السنة النهائية بالمرحلة الثانوية.. ورغم أحزانها وما مرت به من فترات صعبة استطاعت ان تستعد للامتحانات وأن تلتحق بكلية الفنون الجميلة..

عندما رأت «مايا» «شريف» شعرت بالارتياح خاصة ظهوره المفاجئ لنجدتها والتعامل مع المشكلة التي تبدو بسيطة لكنها كانت سوف تؤخر عودتها وهي لديها ارتباطات هامة بعمل ديكورات لأحد الفيلات الدوبلكس..

هو وسيم وعيناه مريحتان.. انيق.. سترته البحرية تعطيه وقارًا وهيبة.. وتتمني أن تكون بينهما صداقة، وأن يبادر بالاتصال بها قريبًا حيث هي تخجل أن تأخذ خطوة مثل هذا.. نظرًا لأنها لا تعرفه ولا يعرفها جيدًا وأيضًا كي لا يظن بها انها فتاة سهلة الوصول إليها..

***

يقضي ماجد عادة في النادي نصف وقته في الجيم لبناء العضلات والتمرين على رفع أوزان وأثقال متفاوتة.. ثم يتناول غذاءه وهي وجبة عادة ما تكون مليئة بالبروتينات.. ثم يقضي النصف الثاني من وقته في الاسترخاء والاستشفاء الخفيف بأن يمشي حول التراك فيقوم بالدوران لستة مرات.. ولكن اليوم تحديدًا كان ماجد متشوق للقاء نورا لإعادة اقناعها بزيارة أمه والتقرب منها ظانًا منه أنها رفضت الفكرة.. فهو لا يوجه إليها أي لوم إذا فعلت..

أنهى ماجد الدوران لمدة خمسة مرات وهو الآن يسير ببطء في المرة الأخيرة يسير وهو يتلفت في كل اتجاه ممكن أن تظهر منه نورا.. بدأ الشعور بالإحباط يزداد.. وتسلل إلى نفسه شبح فقدان نورا.. أترى غضبت منه إلى هذا الحد.. فهي لم تهاتفه ليلة أمس ولا في الصباح كما كانت معتادة.. لم يسمع منها «صباح الخير».. هل أخبرها أحد عن أمي وعن صعوبة التعامل معها؟ هل عرفت أنني انوي إذا تزوجنا أن نعيش في بيت أمي لذلك قررت أن تهجرني وتهرب وتنجو بنفسها.. لكني أرى دائمًا الحب واللهفة في عينيها في كل مرة نتقابل فيها.. هي رقيقة وواضحة ولا أظن أنها تسلك ذلك المسلك.. اسلوب الاختفاء والاختباء.. إذا أرادت ان تقطع علاقتها بي فبالتأكيد سوف تخبرني

بذلك بنفسها.. هل حدث لها مكروه.. ربما تكون مريضة.. ربما حدثت مشادة مع سيادة العميد حول هذا الموضوع لا.. لا.. أنا أعلم أنه رجل ذو عقل راجح وحكمة.. فسمعته ناصعة البياض وهو رجل متفاهم وليس ديكتاتورا وعقله متفتح كما كانت هي تخبرني عنه.. فلقد أحببته قبل حتى أن اتقابل معه.. إذا ماذا؟

انتهت سادس لفة حول التراك.. مازالتا عينا ماجد تدوران في كل اتجاه بحثًا عن نورا.. فهي تمثل الزهرة الجميلة في النادي.. وكم رفضت خطابًا حسبما سمعت.. فأنا محظوظ لدرجة كبيرة إن وجدت لديها قبولًا لي.. وبدأنا كأصدقاء، والأن نحن احباب وأريد أن أخطبها لكن يتحتم عليّ أولًا الحصول على رضاء أمي وموافقتها.. نظرًا لأنها أمي وأيضًا لأننا سوف نعيش لديها في بيتها.. بدأ ماجد بالشعور بالتعب بعد أن وصل للفة التاسعة.. وإذا به يسمع صوتًا يأتي من خلفه.. نعم هي.. إنها نورا.. بطلّتها الجميلة وابتسامتها المعهودة.. تنظر إليه وتومئ برأسها بإشارة فهم منها أنها تعني «نعم».

***

استفاقت مروة لتجد نفسها في سرير في مشفي ومعلق في يدها بعض المحاليل.. ورأسها مربوط وبعض أجزاء في جسدها تؤلمها..

نظرت لتجد أباها جالسًا على كرسي بجوارها وهو نائم.. نادته فلم ينتبه.. نادته مرة أخرى بصوت أعلى.. فإذا به ينتبه مفزوعًا وعلى وجهه آثار التعب وكأنه لم ينم منذ أسابيع ولم يبدل ملابسه أو يتحمم.. فرح العم زكريا برؤيته مروة.. ويبدو عليها آثار تحسن وأنها تتحدث بوعي كامل لما حولها.. سألته: ماذا حدث..

اذكر أني كنت عائدة من المول إلى البيت وكنت أسير في الطريق الذي كان خاليًا من المارة أو السيارات إلا القليل وبعدها شعرت باصطدام من خلفي ولم أدر ماذا حدث بعدها.. أهل هذا الاصطدام كان من سيارة؟!!

أصدمتني سيارة.. من أتى بي إلى هنا؟!! لابد أنها سيارة الاسعاف.. أخبرني يا أبي أصحيح أن صدمتني سيارة.. وأكيد فر السائق الملعون بسيارته وهرب من تحمل المسئولية.. آه لو أعرف من هو هذا اللعين.. لابد من ابلاغ الشرطة عنه.. أو ربما تكون سيدة مشغولة بهاتفها.. أو بإصلاح زينة وجهها وهي تقود السيارة بإهمال.. أنسوني طعم القهوة الرائعة التي تناولتها..

فتح باب الغرفة.. طل منه وجه علاء..

تفحصت مروة وجه علاء جيدًا بعد أن دخل الغرفة واعتذر لعدة مرات وكان العم زكريا داعمًا لموقف علاء فهو يرى فيه انسان محترم.. اهتم بابنته بعد الحادث.. غير كثير من الناس عادة ما ينتابهم الخوف فيقررون الهرب والنجاة بأنفسهم بعيدًا عن تحقيقات الشرطة أو ابتزاز المصاب وطلب الأموال كتعويض مع نفقات العلاج..

بعد أن جالت مروة وصالت في ملامح علاء وتفاصيل بنيانه.. لم تكن سعيدة.. فهي طالما حلمت بشاب جميل.. وسيم.. مهندم.. يعرف كيف يرتدي على أحدث الموضات.. فإذا بها تجد علاء غير وسيم قصير إلى حد ما غير مهندم.. وبه نظرات حائرة غير مريحة..

تبادلا الحديث وكان العم زكريا يشترك معهما في الحديث أحيانًا وأحيانًا أخرى يقدم الحلوى والعصير لعلاء أو يذهب إلى الكافتيريا لإحضار أكواب الشاي الساخنة..

علمت مروة أن سيارة علاء من الماركات المعروفة الباهظة الثمن وأن أباه يمتلك متجرًا للملابس بوسط البلد.. وأنه وحيد ابويه و ميسور الحال إلى حد بعيد..

هذا ما كانت مروة تحلم به وتصبو دوما إليه.. أن تتزوج من رجلا غنيًا فتحيا حياة صفوة المجتمع.. تشترى ما تريد وتأكل ما تشتهي وترتدي افخم الثياب من اشهر بيوت الازياء .. وأن يكون لها منزل عصري به كل ما تحلم به وتحتاجه اليه.. وأيضًا يكون هذا الزوج جميل الشكل والصورة.. وسيم..

تتفاخر به أمام أصحابها وأقاربها.. طويل.. أبيض ذو عينان خضراوان أو زرقاوان بشعر بني فاتح أو أشقر..

ولكنها تعلم جيدا أن الإنسان لا يتحصل على كل شيء.. وعليها أن تختار إما الوسامة ام المال.. وقبل أن تجيب عن هذا السؤال تبادر إلى ذهنها أنها تراه وتتحدث معه للمرة الأولي.. فهي لا تعلم عن حياته الخاصة شيئًا.. ربما يكون خاطبًا.. أو متزوجًا ولديه أولاد أو مطلق.. أو كاره للنساء ويحمل بداخله من العقد الكثير..

كيف لي أن افكر فيه كرجل المستقبل.. وأنا بالكاد أعرف اسمه وعدد الاعتذارات التي قدمها.. وليست لدي الشجاعة الكافية أن اسأله في هذه الأمور الشخصية ولكن كل ما استطيع فعله الآن أن أحاول النظر إلى أصابع يده إن كان يرتدي خاتمًا للزواج.. وفي اليد اليمني أم اليسرى.. نظرت فإذا به واقف مكانه واضعًا يديه في جيوب سرواله..

قالت لعلاء.. اتفضل العصير يا استاذ علاء وقطعة من الشكولاتة فأجاب أنه أخذ بالفعل.. أصرت أن يستزيد ويأخذ مرة أخرى لأنه فأل غير حسن أن يرفض طلبها..

لبى طلبها.. أخرج يده.. فكانت كلتا يداه خاوية من أي خاتم زواج.. شعرت بالارتياح فقررت نصب شباكها حوله.. فإنه عريس لقطة كما يطلق البعض.. التنازل عن الشكل ممكن لكن التنازل عن المال والحياة المريحة فإنه أمر غير محتمل ولا تنازل عن رغد العيش إطلاقًا.. كفى ما ضاع من حياتها.. منذ سنين وهي تحيا حياة يقولون عنها "مستورة".. لكن هي لا تراها كذلك..

هي تراها إهدارًا للعمر وحرمان ما بعده حرمان.. لماذا يتمتع الأخرين بحياة لا نعرف عنها إلا القشور.. لماذا أمر من أمام مطاعم الكباب لاشتم رائحة الدخان فقط.. يسيل لعابي ولا استطيع تذوقها والاستمتاع بها..

أنا لست أقل من أناس كثيرين.. لديّ مقومات جمالية أنثوية غير متوفرة لكثير من الإناث.. وهذا وحده كفيل ليلهث ورائي هذا العلاء..

سأجعله بلا قدرة او استطاعة ان يقاومني.. هو يجذبني بأمواله وأنا أصيبه بلوثة من جنون أنوثتي وجمالي..

كان علاء ينظر إليها ولا شيء يجول في باله إلا كيفية الخروج من هذه الورطة حيث كان ينتظر وصول أمين الشرطة بالأوراق الرسمية وبمحضر صلح يحصل به علاء على الضمان أن مروة لن تقاضيه حيث أنهم تصالحوا ويقفل المحضر ويذهب ليعالج أموره مع أبيه.. خاصة أنه لم يذهب إليه بالأمس ليحصل على رضاه واليوم انتصف النهار ويود علاء أن يذهب إلى أبيه في المساء فيصلح ما أفسده عليه شريف.. ولكن أخت شريف نورا ظهرت في الوقت المناسب.. لعلي استخدم مروة لإذلال نورا وبالتالي إذلال شريف وأبيه اللذان يرفعان راية الصح والصحيح.. وكأنهما فقط لديهما توكيلًا معتمدًا لتحديد ماهية الصح والصحيح للأشياء.. فكلما اسمع حديثهما الذي لا يخلو من تلك العبارة لا يصح إلا الصحيح.. أكاد أجن واتساءل ..من اعطاكما الحق في تحديد الصحيح للأشياء.. فربما صحيحكم لا يتناسب ويتماشى مع صحيحي.. لقد مللت وشعرت بالإعياء من كل هذه الأحداث السريعة المتعاقبة التي تحدث حولي بدءًا من الخروج للنزهة مع تلك الفتاة اللعينة التي

بالكاد أذكر اسمها إلى هذه المروة الراقدة أمامي والتي ظهرت كشيطان فجأة بلا مقدمات أمام سيارتي أنا.. ولماذا أنا.. إذا أردت الهلاك وأن تلقي بنفسك إلى التهلكة فلتذهبي وتهلكين.. لكن بعيد عن طريقي وبعيدًا عن سيارتي..

وفي هذه اللحظات استأذن أمين شرطة في الدخول وتم اجراءات محضر الصلح.. تنفس علاء الصعداء طاردًا عنه شبح دخوله النيابة فالمحكمة فالبدلة الزرقاء.. فالسجن..

***

جلست نورا مع ماجد جلسة مطولة تشرح له لماذا غادرت ولماذا غابت في الرد عليه.. حيث حيرتها كانت هي الغالبة عليها والمتسببة في تأجيل قرارها.. لكن اطمئن لا استطيع رد طلبك وأنا أكثر تشوقًا للقاء والدتك والتقرب إليها والاستمتاع بحديثها..

همَّ ماجد أن يطلعها على طبيعة شخصية الأم وما هي مقبلة عليه من قنابل موقوتة مزروعة في كل مكان في بيتهم.. أي أنها مقبلة على اختبار هيئة واختبار طاعة وبداية مشروع خادمة لأمه المحبة للأكل وعدم الحركة.. الشاكية طوال الوقت.. الناقدة الفاحصة المحللة لشخصيات من حولها.. فإما يكون هذا الشخص يكرهها أو طامع فيما عندها من مال..

ظل ماجد صامدًا على سكوته وعدم البوح بماهية المهمة المقبلة عليها نورا في بيته.. فكلما هم ليشرح لها.. تخيلها تنتفض من مكانها وتغادره ركضًا بأقصى ما لديها من سرعة إلى أن تختفي ولا يراها بعد اليوم.. فهو على أتم الاستعداد لتحمل أي شيء إلا فقدانها.. فهو يرى فيها زوجة المستقبل التي تليق برياضي يجول عواصم العالم وتمتلئ المجلات الرياضية المتخصصة بصوره وتصبح أخباره ملء السمع والبصر..

حددا موعدًا في مساء الغد لزيارة نورا.. والذهاب إلى وكر الأفاعي.. بيت ماجد وأمه..

***

ما أن وصل شريف إلى مكان اقامته خلع عنه سترته وأخرج هاتفه ليهاتف «مايا».. ظل الهاتف يصدر صوت رنان.. ولم يجب أحد على الطرف الآخر.. شعر شريف بالضيق وأنه ربما تسرع.. أكيد هي الآن تنظر إلى رقم يظهر على شاشة هاتفها وتدير رأسها.. أتراها تستخف به.. ربما.. وربما مشغولة بغيره.. أو أنها لا تذكره حيث إنها كانت مجرد رحلة قطار وانتهت بوصول القطار إلى محطته النهائية فينزل الركاب كل في طريقه.. فلا يدرك أحد من كان معه في نفس القطار منذ دقائق معدودة.. وماذا عن استعمالها لهاتفي..؟؟

آه تذكرت لقد كان هاتفها لا يعمل.. ربما لم تستطع شراء غيره.. ولكنها ذكرت في حديثها أن لديها في بيتها هاتف آخر زائد عن الحاجة.. وأنها سوف تضع فيه الشريحة.. وفجأة رن هاتف شريف.. نظر إلى رقم الطالب.. إنها هي «مايا» حيث سجل رقم هاتفها في قائمة الأسماء باسم «فتاة القطار» ظهرت فتاة القطار.. رد شريف وقلبه يرقص من الفرح وحاول أن ينظم أنفاسه ويكون متماسكًا لا يظهر فرحته.. وان يتأدب في حديثه قدر الإمكان..

تبادلا الحديث.. حيث شكرته في البداية لمساعدته وتقديم العون لها لتستطيع الاتصال بالسائق كي يقلها من المحطة.. إلى أن تناقشا في أمور كثيرة .. الدراسة.. الأفلام المحببة لكليهما.. السياحة والسفر.. الأماكن المفضلة لكل منهما.. اختلفا في اشياء واتفقا في اشياء أخرى.. لكن كان هناك شيئان

اشتركا في حبهما.. الأول أن مايا متخرجة من كلية الفنون الجميلة بالقاهرة.. فالآن أصبح لشريف موعدًا مع خريجات الفنون الجميلة المحببين إلى نفسه..

اخته نورا التي يحبها ويقدرها.. ومايا.. التي لم يكن شريف يعلم أنه سوف يهنأ ويعرف معني العشق الحقيقي بنسمات وجودها تهيم حوله..

أما الأمر المشترك الأخر بينهما.. هو حبهما للقهوة ولمحل البن البرازيلي في محطة الرمل تحديدًا.. فقد أخذ شريف عن أبيه حب مذاق القهوة وتعلم علي يديه فنون صنعتها وأنواعها وكل علم يتعلق بها.. ومنذ أن التحق بالأكاديمية البحرية التجارية بالإسكندرية.. فقد صار عشقه شرب القهوة المقدمة طازجة.. تحميصًا وطحنًا في محلات البن البرازيلي العتيقة بمحطة الرمل والتي تعد بمثابة أحد أهم معالم الإسكندرية.. هكذا كان شريف دومًا يقول لأصحابه في القاهرة في أجازته الأسبوعية.. الغريب أن مايا.. كانت تعشق هذا المكان.. وتستمتع بشرب القهوة هناك

***

استعدت نورا في حجرتها ارتدت ملابس طويلة فضفاضة.. رفعت شعرها لأعلي وارتدت بعض الحلي البسيط.. ووضعت القليل من المساحيق.. وأحمر شفاه خفيف ..استقلت سيارة أجرة وطلبت من السائق أن يذهب بها إلى أحد محلات الزهور قبل إيصالها إلى العنوان القابع به بيت ماجد..

انتقت باقة من الزهور المتنوعة الأشكال والألوان.. فعلًا زهور رقيقة وساحرة يفوح منها عبير يهيم بالروح ويحلق إلى آفاق بعيدة تنسى معها هموم الحياة وكأنك غادرت كوكب الأرض ذاهبًا إلى جنة الخلد..

هذا ما يفعله عبير ولون الزهور بوجدان وقلب نورا الرقيق المرهف.. وقبل أن تغادر محل الزهور.. فكرت أن تشتري أيضًا مزهرية تليق بتلك الباقة الرائعة.. حسنًا فكرة جيدة فعلًا اشترت وطلبت من البائع أن يغلفها تغليف هدايا بعناية وتنمق..

وقفت نورا أمام شقة ماجد.. ضغطت على زر الجرس.. فسمعت من ينادي من الداخل بصوت مسموع لمن في الخارج.. «انت يازفت افتح الباب.. ألم تسمع الجرس» دق قلب نورا بشدة.. أترى من يقول تلك الكلمات الفظة.. ربما صوت من التلفاز.. ولكن كيف عرف وتزامن ذلك الصوت مع رناتها لجرس الباب..

طردت نورا تلك الأفكار خارج رأسها في اللحظة التي فتح فيها ماجد الباب بجسده الضخم ليسد فتحة الباب ويكاد بعض الضوء المشع محاولًا الظهور من بين أذرعه.. القت عليه التحية.. رحب بها أشد الترحيب وأخفي ما بداخله من هلع وخوف من تلك المقابلة وكعادة كل الناس وضع يده علي قلبه وهو يغلق الباب خلف نورا متمتمًا «ربنا يستر»..

ابتسمت الحاجة نعمات.. ابتسامة في وجه نورا من الصعب تفسير معناها.. مدت يدها مصافحة نورا.. أهلًا وسهلًا.. شرفتينا.. تفضلي اجلسي على الكرسي أمامك خليني أشوف كويس..

بالغ ماجد في الترحيب بنورا مستخدمًا كل العبارات التي يسمعها عند الترحيب بالضيوف.. استمرت الجلسة في حدود الساعتين خرجت بعدها نورا من بيت ماجد فرحة وشعرت أنها في أمان بين ترحاب الحاجة نعمات وحفاوة ماجد.. شعرت بارتياح ولكنها لم تكن تعلم أنها مشاعر مزيفة متسرعة وأن جدران هذا البيت سوف تشهد على بداية خفوق وانهيار شمس نورا..

دخل ماجد حجرته وهو في غاية السعادة أن المقابلة تمت على خير وكانت أمه لطيفة للغاية مع نورا.. مرحبة مبتسمة على غير عادة.. شعر بسعادة غامرة وأن حلمه في الزواج من نورا يقترب.. وفجأة استفاق من أحلامه على صوت أعلى من زئير الطائرات.. «انت يازفت» فقد كانت هذه هي الطريقة والعبارة المحببة للحاجة نعمات للنداء لماجد..

"جايبلنا ورد.. ورد.. وإيه ده كمان.. فازة.. أعمل بيهم إيه مش كانت جابت حاجة تتأكل أحسن أو شوية مكسرات اتسلى بيهم».. بنات مابتفهمش.. إحنا بقى حاناكل الورد ده مشوي ولا مقلي..

تحولت الحاجة نعمات بعد أن خلعت عنها قناع الوداعة وعادت إلى صورتها الأصلية بعد خروج نورا من باب البيت ونفضت عنها ثوب الود والحب والأم الحنون الذي ارتدته مؤقتًا إرضاء لماجد بعد أن قضى ساعات يستجديها ويستعطفها أن تحسن مقابلة نورا وترحب بها غاية الترحيب.. ذاك الثوب القابض على أنفاسها.. تكاد روحها تخرج من بين جنباتها بسبب التكلف الزائد التي كانت فيه.. فكانت كممثل على خشبة المسرح يؤدي دورًا يكرهه.. فيتمنى الساعة التي تأتي ويسدل الستار وتنتهي المسرحية وينتهي دوره.. ولا يهتم إن صفق له الجمهور أم لا فشغله الشاغل والمستحوذ على تفكيره هو إنهاء اداء دورًا يمقته بشدة..

استقلت نورا سيارة أجرة إلى منزلها.. تشعر بالفرح والسعادة وكأنها اجتازت امتحانًا صعبًا وفي الغد سوف تعرف النتيجة من ماجد عندما تسأله عن رأي أمه فيها.. لكنها تشعر من خلال الأحاديث المتبادلة أن الحاجة نعمات مبسوطة منها..

والأن يا أبي.. يا سيادة العميد.. حان الوقت أن أصارحك بما أخفيت عنك.. أول مرة أقدم فيها على اخفاء شيء عنك.. وآخر مرة.. حان الوقت لأحكي.. وتلتمس لي الأعذار.. فأنا متعلقة بتلابيب عقلك وحكمتك.. إنك سوف تلتمس لي العذر وتسامحني.. ربما أخطأت فيما أقدمت عليه.. كان عليّ أن أستأذن وأشركك معي فيما يجرى.. لكن البنات يا سيادة العميد لها مخاوف.. وحالة من التفكير تختلف بعض الشيء عنكم أنتم عالم الرجال.. الجامد.. العامل عقله و مراعاة الأصول في كل شيء..

هكذا كانت تتخيل نورا حديثها لأبيها وهي في السيارة الأجرة إلى أن وصلت أمام منزلها..

صعدت مسرعة.. دخلت إلى البيت تبحث عن سيادة العميد.. سمعت صوت السيدة أم كلثوم يأتي من الشرفة.. تشدو بأغنية «اسأل روحك» فأدركت أن سيادة العميد في أحسن حال ومزاجه صافي.. فهي تعلم كم يحب أباها الاستماع إلى أغاني أم كلثوم.. وأن هذه الأغاني لها أعظم الأثر في تحسين مزاجه وسعادته.. وهذا ما شجعها وأعطاها الضوء الأخضر أن الوقت مناسب للحديث معه.. فماذا لو غضب من تصرفها.. فتكون بذلك تسببت في تعكير صفوه ومزاجه.. أقول له.. أم لا.. هي الحيرة..

نفس الحيرة التي انتابتني بالأمس.. قبل الذهاب إلى المقابلة.. والآن تنتابني وتلبسني نفس الحيرة بعد عودتي.. لكن يجب أن أكون حازمة في قراراتي.. سأخبره بالأمر وليكن ما يكون.. إذا تناقش معي بهدوء قبّلت يده ومرت الأزمة على خير.. وإذا غضب سأهرب إلى المطبخ واستعين بأمي لتلعب دور الوسيط بيننا وترقق فؤاده عليّ.. أليس اسمه فؤاد.. أي قلب.. أطيب وأحن قلب في الدنيا.. أنا لا أطيق غضبه عليّ.. ولا أطيق أن أخذله.. فهو دائمًا يتوسم فيّ الخير والعقل الراجح وإعمال العقل للوصول إلى الصواب..

اتجهت نورا صوب الشرفة وتنحنحت.. تنحنحت ثانية بصوت أعلى.. انتبه العميد فؤاد.. بعد أن كان مغمض العينين سارحًا مع الأغنية..

"تعالي يا نورا.. اسمعي معايا الست" بس قولي لمامتك تعمل لنا شاي بالنعناع وأجلسي بجواري..

تشجعت نورا.. وبدأت في سرد ما حدث لها بالتفصيل إلى وصولها للبيت بعد انتهاء المقابلة.. ثم استطردت قائلة.. استحلفك بالله يا أبي ألا تغضب مني.. اعذرني.. فأنا تصرفت من منطلق عقلي واتخذت قراري بعد أن اهتديت بعد طول تفكير أنه لا ضير مما يحدث..

سكت الأب للحظات ثم وضع يده الحانية على كتف نورا وضمها قائلًا: أنا ثقتي فيك كبيرة وإن كنت دائمًا أطلب منك الاستئذان.. فهذا فقط لخوفي عليك وحمايتك.. وليس تقليل من ثقتي فيك أو في رجاحة عقلك أنا أكيد كنت أتمني أن تصارحيني من البداية وتشركيني معك.. لكن تعودنا في الجيش أن نعطي فرصة لمن أخطأ.. ودائمًا الإنسان يتعلم من أخطائه..

لكن يا نورا أنتِ لازم تدعي ماجد للحضور إلى بيتنا ومعه والدته لو أمكن للتعارف.. أنا واثق من اختيارك لكن دعيني أراه وأجلس معه لأطمئن عليك وإن سارت الأمور بخير.. نفرح بيك ونخلص منك في نفس الوقت..

ابتسما سويًا وتحولت الجلسة في الشرفة إلى ضحك ونكات بعد أنه بدأت بخوف ورهبة وتردد.. ظلت نورا قابعة في حضن أباها الحنون.. إلى أن دخلت مدام / كريمة.. الأم بأكواب الشاي بالنعناع..

***

أوقف علاء سيارته أمام متجر الملابس.. ظل قابعًا في السيارات لدقائق يفكر كيف يبدأ حديثه.. وبماذا يعلل كل تصرفاته المشينة وأخطاءه.. وفجأت طرأت في رأسه فكرة.. وضع يده داخل حقيبته الصغيرة وأخرج منه صورة ضوئية من محضر التصالح بينه وبين مروة.. أشار إليه قائلًا أنت المنقذ..

دخل إلى المتجر.. سأل أحد العاملين عن أبيه.. أجاب أنه في الطابق العلوي في المكتب.. حيث كان الأب منهمكًا في استعمال الآلة الحاسبة لإجراء بعض الحسابات الخاصة بتوريدات الملابس الجاهزة.. وقف علاء أمامه للحظات..

انتبه الأب.. نظر إلى علاء نظرة لوم.. وغضب.. عتاب.. وغضب.. حزن.. وغضب.. تساؤلات.. وغضب

أخذ علاء في استعمال أسلوب اللف والدوران في حديثه مع ابيه عن الجزء الخاص بتركه العمل للتنزه مع فتاة.. والأب يستمع إليه وهو غير مصدق أيا من كلماته.. إلى أن جاء علاء إلى المرحلة التالية.. حادثة السيارة وقرر أن يحكيها بشكل درامي ينتزع معه عطف وحنان الأب ويحرك مشاعر الخوف على ولده لديه.. «اسكت يابا مش أنا عملت حادث وكدت أن أذهب إلى السجن» فإذا

بالأب يفاجئ علاء برده المتسم بالبرود الشديد وسخرية أشد.. «ها.. ماذا.. صدمت نملة أم ذبابة»..

كفاك كذبًا.. عيناك تفضحك.. حتى الكذب فأنت فيه فاشل..

نظر علاء إلى الأرض وكان مستعدًا للحظة تكذيب الأب له.. فأخرج صورة محضر الشرطة بالتصالح.. مد يده به إليه قائلًا: "اتفضل ده دليل صدق كلامي".. لولا أن الفتاة وأباها ناس طيبين.. كان زماني في بهدلة من كل اتجاه.. فقد تنازلوا عن حقهما ورفضوا أي تعويض مالي..

قرأ الأب صورة المحضر بعناية ثم قام من مكانه وربت على كتف علاء قائلًا: انت ابني الوحيد.. بحبك وأحيانًا أقسو عليك لمصلحتك ولكي يشتد عودك.. اعذرني.. وحمدا لله على سلامتك.. تعالى ننسي اللي فات.. وارجع إلى عملك.. وكل حاجة تكون أفضل إن شاء الله..

انفرجت اسارير علاء وهدأ قلبه وابتسم ولسان حاله يقول.. اتحلت المشكلة وبدون مساعدة هذا الشريف اللعين..

وبدأ علاء يستعيد ما فاته من العمل في اليومين الماضيين واستمع من أبيه بتقرير وافي عن العمل..

***

البن البرازيلي.. هو المكان الذي شهد أول لقاء بين شريف ومايا.. جلسا سويا وهما يرتشفان مشروب الكابتشينو المحبب إليهما.. وتبادلا أطراف الحديث وبعض النكات وبعد كل رشفة من فنجان القهوة الإيطالية ذو اللبن كثيف الرغوة تشير مايا إلى فم شريف أن هناك شاربًا أبيض كما كانت تسميه.. وهي بقايا رغاوي الحليب تترك علامة على الشفاه العليا.. تشبه الشارب الشائب للكهول..

تكرر هذا الأمر كثيرًا وفي كل مرة تشير إليه مايا.. تضحك ضحكة يرقص لها قلب شريف.. فلقد أحب ضحكتها وصوتها.. وتلقائيتها في الحديث.. حيث يصدر من قلبها.. وأنها تتحدث عن عملها كثيرًا ودائمة النظر في هاتفها وارسال بعض الرسائل واستقبال رسائل أخرى.. ثم قام شريف بدوره بالحديث عن أهم الشخصيات في حياته.. سيادة العميد فؤاد صادق.. وكيف هو متأثر بأخلاقياته.. وقيمه ثم حكي لها ما حدث مؤخرًا بينه وبين صديقه علاء وكمّ الحيرة التي لازمته إلى أن اهتدي إلى طريق أبيه وارتمى بين أحضانه واستعان بعقله وحكمته.. وحكي لها أيضًا.. كيف كان الأب مقنعًا وموجهًا وخير معلم.. فلم يسدي إليه النصائح ويكيل إليه الكلمات في صورة لكمات.. تضربه في رأسه ولكنه أجابه بموقف وحكاية حدثت بالفعل إبان كان في الخدمة في الجيش قبيل حرب أكتوبر العظيم.. واستمر الحديث بينهما وهما لا يشعران كم مر من الوقت..

***

غادرت مروة المشفى بعد أن تماثلت للشفاء وصرح لها الأطباء أنها فقط ستستمر في تعاطي أقراص المضاد الحيوي لمدة ثلاثة أيام أخرى.. لكنها تستطيع ممارسة حياتها بشكل طبيعي..

أصبح الشغل الشاغل لمروة هو كيف تتقرب من علاء.. فلقد احتفظت برقم هاتفه حين تبادلا الأرقام بعد أن تم التوقيع على محضر الصلح.. فأمسكت بهاتفها لتتحدث معه وتخبره أنها خرجت من المشفى وأنها تتماثل للشفاء.. فإذا بها تسأل نفسها.. وهل سيهتم إذا خرجت من المشفى أم لا.. ربما هو مشغول بأموره.. أو ربما أنه على علاقة مع فتاة أو عدة فتيات أخريات..

هي ترى نفسها مميزة ومتفردة من نوعها وأن من سيتزوجها سوف تُفتح له أبواب السعادة.. بما لديها وما تستطيع أن تقدمه لإسعاد من يحظى بها.. ربما هو نوع من الغرور.. لكن هذا ما تراه في نفسها..

وضعت الهاتف جانبًا.. شعرت أنه من العيب أن تبادر هي بالاتصال.. وماذا تقول وبماذا تعلل سبب المكالمة.. ليس هناك ما يقال..

أطالت التفكير واهتدت إلى فكرة.. الأفضل أن أذهب إلى متجر الملابس مدعية أنني قد دخلت بالصدفة ولم أكن أعلم أنه متجرهم.. وربما اشتري

بعض قطع الملابس من هناك ببقية النقود المتبقية منذ يوم ذهابي إلى ذلك المول والمقهى اللعين.. ليلة الحادث.

ظل علاء ساهرًا إلى وقت متأخر من الليل يكمل بعض الأوراق والحسابات التي كانت معطلة فترة غيابه.. أغلق باب المتجر وظل هو في الداخل.. محاطًا بكم من الفواتير وأوراق البنوك وأوراق طلبيات وايصالات من مصانع الملابس.. وإذا به يسمع طرقًا على الباب.. تعجب لأن المتجر مغلق ومظلم عدا ضوء صغير في المكتب في الطابق العلوي..

هبط علاء الدرج مسرعًا لينظر من يكون.. فإذا برجلان خلف زجاج الباب يشيران إليه للتحدث إليه.. فتح علاء الباب فدخلا بدون استئذان ودخلت خلفهم فتاة.. نظر إليها علاء.. نعم هي.. هي الفتاة التي خرج للتنزه معها في ذاك اليوم المشئوم الذي أغضب والدي عليّ ومنح فرصة عظيمة لشريف برفض طلبه وتلقينه درسًا في الشرف والخلق القويم..

تصرفا الرجلان مع علاء بحماقة وعنف وكان واضحًا انهما أتيا لافتعال مشكلة معه حيث أخبراه أن تلك الفتاة هي اختهما الصغرى وأنه قد غرر بها.. وتأثرت سمعتها بخروجه معها وأن بعض الجيران رأوهم سويًا وأصبحت مثار حديث في الحي الشعبي الذي يسكنون فيه..

حاول علاء أن يتناقش معهما في هدوء لكنه لمح في اعينهما بوادر غضب وغدر.. غافلهما وفر هاربًا من باب المتجر وتركهم في الداخل ركض إلى سيارته مسرعًا.. خرجوا ثلاثتهم وركضوا خلفه لكنه استطاع أن يقود مسرعًا

قبل وصولهم إلى باب سيارته.. فركضوا مسرعين إلى سيارتهم القديمة وقادوا خلفه..

قاد علاء السيارة بأقصى سرعة ممكنة وهم خلفه بنفس سرعته تقريبًا رغم ان سيارتهم من النوع القديم..

انعطف علاء جهة اليمين مرة وجهة اليسار مرة وهم خلفه ويقتربون وأصبحوا على وشك اللحاق به وبدأ قلبه يدق سريعًا وعينه على عداد الوقود.. فلم يكن لديه من الوقود الكثير وكان ينوي بعد أن يفرغ من عمله أن يذهب إلى أقرب محطة وقود لملىء خزان السيارة..

استدار علاء جهة اليمين فجأة وبسرعة عالية لم يستطع معها التحكم في السيارة فإذا بها تنقلب ويغيب علاء عن الوعي.. وقد فرت السيارة الأخرى مسرعة في الاتجاه المعاكس..

كان الأستاذ جمال والد علاء يتحدث إلى زوجته والدة علاء عما دار بينهما وأن المشكلة حلت بينه وبين علاء وإنه قد قرر فتح صفحة جديدة واعطائه الفرصة كاملة لإثبات مدي جديته وتحمله للمسئولية.. وعلقت الأم.. أنها دائمة القلق عليه حيث هو حظه قليل في الدنيا فهي من الناس الذين يؤمنون بالحظوظ وترى في علاء أنه دائم الوقوع في المشكلات نظرًا لضيق حظه وأنه مسكين دائمًا ما تقسوا عليه الدنيا..

وبينما هما يتبادلان الحديث.. دق جرس التليفون بصوت من يبلغهما أن علاء في المشفى نتيجة تعرضه لحادث انقلاب سيارته في إحدى المناطق النائية..

صرخت الأم قائلة.. «ألم أقل لك.. ياعيني يا بني حظك في الدنيا قليل»..

صرح الأطباء للأستاذ جمال وزوجته أن علاء ليس في حالة جيدة وأنهم يجرون الإشاعات والفحوصات اللازمة.. حيث يتشككون في أن علاء به كسر في الساق اليمني وخلع بالكتف.. وبعض سحجات وردود بالقفص الصدري..

كان الأستاذ جمال بداخله غصة.. شعر بتأنيب الضمير وأخذ يلقي اللوم على نفسه أنه ربما زاد من قسوته على أبنه بعض الشيء جعلت تفكيره مشغول وأراد تعويض ما فاته من عمل متراكم.. فأرهق نفسه في العمل وخفض من ساعات نومه مما أدي إلى إصابته بالإرهاق وعدم التركيز..

فحدث ما حدث عند قيادته للسيارة، ولم يعي ما هو فيه من ارهاق وأكيد كان لهذا كله التأثير على جهازه العصبي الذي لم يتخذ القرار السليم وقت القيادة وعادة الحوادث تحدث في ثواني معدودة.. أنا المسئول.. أنا السبب.. كان يجب أن أكون رحيماً به إلى أبعد حد.. أنا لم أكن هكذا من قبل.. كنت دائماً الأب الحنون من أين أتت إلى كل تلك الغلظة.. هل من اخطاء علاء المتكررة أم عناده وعدم الانتباه او عدم طاعتي.. هل كبريائي هو ما أدى بي إلى كل هذا..

لا أعلم.. ولكن كل ما أعلمه الآن أن ابني الوحيد ملقى على سرير في المشفى.. وأمه منهارة من البكاء وهذا كله بسببي أنا.. نعم بسبب قسوتي أنا..

***

ارتدت مروة ملابسها وتعمدت ان ترتدي ما هو ضيق ومظهر لمفاتنها.. رغم أنها تسكن في حي شعبي وربما تتعرض لانتقادات من الجيران وبعض المعاكسات وهي تعلم أن العم زكريا أباها يرفض أن ترتدي مثل تلك الملابس الضيقة غير المحتشمة من وجهة نظره.. ثم وضعت عطرًا.. هو العطر الوحيد لديها.. رخيص الثمن لكن يمكن أن يؤدي الغرض.. أمام متجر الملابس.. تقف مروة ناظرة بعينيها إلى الأعلى لتقرأ على يافطة المتجر Jimmy's Fashion.. اعجبتها اليافطة.. فعرفت أنها ترجع إلى اسم «جمال» والد علاء وصاحب المتجر..

دلفت إلى الداخل متصنعة ولاعبة دور أنها زبونة تريد شراء ملابس.. دارت بعينيها في المكان.. المتجر مكون من طابقين يربطهما درج ضيق.. منسق بعناية.. توجد اثنتان من العاملات.. ولكن أين علاء.. ربما في الطابق العلوي.. ترى ما هي وقع المفاجأة على علاء إذا رأى مروة أمامه..

زبونة ترغب في شراء ملابس لها.. هل يمنحها بعض قطع الملابس مجانًا أم ببعض التخفيض.. أو ربما يتجاهلها.. فقد انتهت قصة خوفه ورعبه من التحقيقات وربما السجن.. بعد أن وقع محضر الصلح واحتفظ بنسخة مصورة

منه.. فهو لم يعد بحاجة لي ولم يعد أن يكون رقيقًا مهذبا مستعطفًا وينطق بكلمات الاعتذار بين الحين والآخر..

تظاهرت بالبحث عن بلوزة.. ثم انتقلت إلى قسم السراويل وبعدها إلى السترات وفي كل مرة تتلفت يمنيا ويسارًا باحثة عن علاء.. أين هو ربما في الطابق الأعلى.. وبينما هي تفكر فيه وبمكان وجوده إذا بإحدى العاملات الأنيقات تأتي من خلفها وتعرض عليها المساعدة إذا أرادت أو أنها تبحث عن مقاس لم تجده فربما تحضره لها من المخزن.. فإذا بمروة تتشجع وتسألها بشكل مباشر وبدون مقدمات.. فهي تعرف الوصول إلى أهدافها من أقصر الطرق بلا تردد أو خجل أو حتى إعادة تفكير وأعمال العقل.. «أين الأستاذ علاء»؟

بدت علامات الدهشة على وجه العاملة.. إذ كان سؤال مروة مفاجأة لها فقد ظنت أنها ربما تسألها عن لون معين أو موديل أو مقاس أو غير ذلك مما يخص شراء الملابس أو حتى السؤال عن الأسعار..

أجابت العاملة ببعض اللامبالاة.. «إنه ليس هنا».. استمرت مروة في أسلوبها المباشر.. فسألتها ثانية.. «أين هو.. لديّ موعد معه»؟.. أجابتها العاملة.. «للأسف لن يستطيع المجيء للموعد».. مروة: «لماذا»؟ .. العاملة.. «إنه محجوز بالمشفى.." مروة.. "ماذا.. ماذا حدث له أنا التي كنت محجوزة بالمشفى".. قضب جبين العاملة التي لا تفهم ما تقوله مروة لكنها أجابتها أنه تعرض لحادث سيارة.. انقلبت على إثرها سيارته وهو الآن يخضع للعلاج.. انهالت مروة بلهفة بعشرات الأسئلة في وجه العاملة.. كيف هو؟.. كيف

صحته؟.. هل معه أحد؟.. أين هي المشفى وما اسمها؟.. وفي أي قسم أو دور؟.. وماذا قال الأطباء؟.. أيخرج قريبًا؟.. هل سيعيش؟..

دخل إلى المتجر سيدتان فاستأذنت العاملة مروة في الذهاب لمواصلة عملها ومساعدة الزبائن.. لكن مروة امسكتها من يدها ..استوقفتها قائلة آخر سؤال.. ما هو اسم المشفى..

***

اتفق ماجد ونورا على اللقاء للحديث عن مقابلة الأمس وما يجب فعله في الأيام القادمة..

تبادلا الحديث في مختلف المجالات.. استفاض ماجد في سرد احلامه وأمنياته في زوجة تشاركه حلمه وهدفه بأن يكون بطلًا للعالم في رفع الأثقال وأيضًا في كمال الأجسام وإن كل متطلباته وأحلامه في زوجة المستقبل وجدها في نورا.. ثقافتها.. إجادتها للغة الأجنبية.. مظهرها الأنيق المشرف.. شخصيتها المرحة المحبوبة التي تجعل كل من يراها أن يكن لها كل الاحترام والود..

جاء دور نورا لتبيح له بسرها بأنها طالما حلمت برجل ضخم الجثة ذو عضلات قوي البنيان والشخصية تشعر معه بالحماية والأمان.. تكون أصغر وأضعف منه وتستمد قوتها من قوته.. وتستغل ضعفها لاستمالته إليها..

اتفقا على ترتيب موعد واستئذان العميد في زيارة ماجد إليهم وحده في البداية فإذا شعر بقبول من الأسرة.. حضر مرة أخرى بصحبة أمه والتقدم بطلب يدها..

وافقت نورا قائلة.. اترك لي أمر الميعاد سوف أحدده مع أبي وأخبرك به.. وقضيا بقية اليوم في حديث طويل وضحكات.. وتناولا الغداء سويًا.. وألغى ماجد مرانه المسائي ليقضي الوقت مع نورا..

أصبحت قصتهما مثار الحديث في النادي.. وعرف الجميع أنهما متحابان ومقبلان على إعلان خطبتهما.. ففرح من فرح.. وحقد واستشاط البعض الآخر.. حيث كانت نورا محط اعجاب من الجميع وكذلك ماجد كان ملفتًا للانتباه بعضلاته البارزة والظاهرة من خلف ملابسه الضيقة الملتصقة على جسده..

***

جلس العميد في حجرة المعيشة بجوار مدام كريمة فإذا به يقول.. كبرت نورا.. بقت عروسة.. قريبًا نفرح بها إن شاء الله..

اجابته مدام كريمة.. كيف عرفت أهو إحساس أم ماذا؟..

قص عليها العميد فؤاد ما دار بينهما هو ونورا بالأمس ولولا حبه الشديد لها لغضب عليها بسبب إخفائها أشياءً هامة عنه ودخولها بيتا لا نعلم من فيه.. لكن الحمد لله ربنا ستر.. وأن ثقته كبيرة فيها، ويعلم أن ماجد أكيد شاب ممتاز طالما وقع اختيار نورا عليه..

لقد أفنى عمره في تربيتها وأخيها شريف على أنه لا يصح إلا الصحيح..

***

توجهت مروة إلى المشفى حيث يعالج علاء من آثار حادثة انقلاب سيارته.. صعدت إلى غرفته.. طرقت الباب.. دخلت والقت التحية على الأستاذ جمال وحرمه وعرفتهم بنفسها.. كان الأستاذ جمال وحده يعلم بقصة حادثة مروة المتسبب فيها ابنه علاء وأنها آثرت الصلح لإنقاذ ابنه من تحقيقات النيابة.. وكان الأستاذ جمال قد أخفى كل تلك الأحداث عن زوجته والدة علاء الراقد في سريره أمامهم..

عندما سمعت والدة علاء ما تقوله مروة أنها الفتاة التي صدمها علاء بسيارته.. أجابتها.. أكيد حضرتك مخطئة.. علاء ابني لم يصدم أحدًا.. لكنه هو من انقلبت به سيارته.. ربما اشتبه عليك الأمر والحجرات.. يمكنك أن تسألي مكتب الاستقبال ليدلوكِ على غرفة هذا الشاب الذي صدمك.. وكيف صدمتك سيارة وأنا أراك.. اعذريني.. بخير أمامي ولا يوجد أثر لإصابة.. لا لكسور ولا جروح ولا كدمات أو سحجات..

اذهبي.. اذهبي إلى مكتب الاستقبال سوف يدلوك هناك..

تدخل الأستاذ جمال مقاطعًا زوجته وموجهًا حديثه إلى مروة..

تفضلي يا بنتي.. اجلسي.. تشربي حاجة.. نظرت إليه زوجته في تعجب.. بعين مليئة بالتساؤلات.. وتتمتم ماذا يجري..

هل تعرف الآنسة يا جمال.. أجابها.. نعم سوف أخبرك ..أنا لم أرد فقط أن أسبب لك الإزعاج لأن كل شيء صار بخير..

استأذن الأستاذ جمال مروة أن تكون على راحتها.. وسوف يعود حالًا.. سيذهب إلى الكافيتريا لإحضار قهوة لهم جميعًا

أشار إلى زوجته أن تهم واصطحبه إلى خارج الغرفة..

ذهبا معًا إلى الكافيتريا وجلسا على أحد الطاولات.. قص عليها الأستاذ جمال ما حدث لعلاء قبل أيام من حادثة انقلاب سيارته معقبًا أن علاء صدم فتاة وتسبب في حادث وبعد أيام تسبب في حادث آخر لنفسه..

جلست مروة أمام علاء.. وهو في غياب تام عن الوعي ومحاط بمجموعة من الأجهزة والأنابيب وقدمه موضوع في جبيرة جبس ورأسه مربوط برباط طبي..

نظرت مروة إلى علاء بعد أن اقتربت من سريره قائلة.. لقد تبادلنا الأدوار.. منذ أيام كنت أنا الراقدة هنا وأنت الزائر والمتسبب في الحادث.. أنت من صدمني لكن الآن والأدوار تبدلت.. أنت الراقد هنا وأنا الزائرة لكن لست المتسببة في الحادث ومع ذلك لن أتركك إلا معافى تمارس حياتك كما كنت.. لقد أصبحت شغلي الشاغل.. فرصتي التي أرسلها لي الله لأبدأ في تحقيق أحلامي في العيش المريح.. أصبحت مريضي أنا.. فأنا من ستكون بجانبك.. تمرضك تعطيك دواءك.. تطعمك في فمك.. كل احتياجاتك أصبحت بين يدي وأنا أصبحت رهن إشارتك.. فأنت صرت الآن قدري..

عاد الأب الأستاذ جمال وزوجته إلى حجرة علاء.. تغيرت نبرة الأم مدام وفاء تمام التغير.. فرحبت بمروة للغاية وقدمت اليها القهوة الساخنة وقطعة من الحلوى.. وشكرتها على معروفها مع علاء وقبول طلب التصالح وابعاد ابنها عن خضوعه للتحقيقات أو الزج به في السجن مع اللصوص والقتلة وأن ابنها رقيق.. مهذب.. لا يحتمل أن يكون هذا مصيره.. بجانب أنه الابن والفرحة الوحيدة لديها في الدنيا.. وأنه يمثل الذراع اليمني لأبيه والمساعد الأول في أعمالهم في متجر الملابس.. إن شاء الله تذهبين معنا إلى هناك في إحدى الأيام.. أنه متجر كبير ذو طابقين..

لم تعلم مدام وفاء ان مروة زارت المتجر قبل الحضور إليهم بأقل من ساعتين.. ثم استطردت مدام وفاء.. لن أنسى لك معروفك هذا ما حييت.. وأرجو أن تلتمسي لي العذر.. في الطريقة التي قابلتك بها.. لم أكن على علم بما حدث لعلاء.. فلقد تعمد أباه أن يخفي عني أمر الحادثة واصطدام سيارته بك نظرًا لعلمه أني مريضة بارتفاع ضغط الدم.. ودائمًا ما يخشي عليّ من أي أخبار سيئة وخاصة إذا كانت متعلقة بعلاء ابني وقطعة من قلبي وروحي..

ولكن عندما علمت تأثرت لك بشدة.. فأنت مثل ابنتى.. ومرحبًا بك معنا في أي وقت وفي أي مكان.. فنحن أسرة صغيرة ليس لنا من الأقارب أو المعارف الكثير.. فأرجو أن تقبلي دعوتي على الغداء في أي مطعم قريب من هنا..

إجابتها مروة أنها أيضًا مدينة لعلاء بالكثير.. رغم أنه هو من أصابها لكنه أظهر لها وهي راقدة في المستشفى الكثير من العطف والاهتمام ولم يتركها لحظة واحدة حتى ميعاد خروجها.. وكم هو رقيق وحساس..

بالطبع كان حديث مروة ملفقًا بالكامل وخالي تمامًا عن أي حقيقة وعار عن الصحة.. فلم يزر علاء مروة إلا مرتان فقط.. الأولي للاطمئنان على وضعه القانوني حسب حجم إصابتها.. والمرة الثانية يوم اتمام المصالحة لاستلام محضر الصلح ليكون في أمان من الناحية القانونية ويضمن ألا يعود أحدًا عليه بالتقاضي أو حتى طلب التعويض..

لكن مروة تعمدت أن تطوق رقبتها بجميل علاء كي تتسني وتتاح لها الفرصة أمام أمه وأبيه.. أن ترد له الجميل.. أن تكون إلى جواره وتظهر شهامتها وإخلاصها ووفاءها.. بذلك تكون الأمور أسهل والطريق مفروش بالورود ليصبح علاء هو الزوج الذي طالما تمنت.. وتدخل متجر الملابس ليس كزبونة ولكن كامرأة ابن صاحب المكان ويكون لديها حساب بأحد المصارف، وتستخرج كارت الفيزا العجيب.. المتصل مباشرة بمغارة على بابا ..

استمرت مروة في احلامها وتخيلاتها بينما مدام وفاء لم تتوقف عن الحديث عن علاء وكم هو حساس وطيب ولا يستحق كل ما يحدث له وكم هي محظوظة من سوف تكون من نصيبه.. ويكون هو رجلها..

تمادت مروة في الخيال.. ذهبت بأحلامها إلى أبعد مدى.. فالخيال متاح للجميع والحلم أمر مشروع لكل الناس فقيرهم وغنيهم.. جميلهم وقبيحهم.. لكن أحلام مروة كانت تشعرها بأمر آخر وهذا ما حادثت به ذاتها.. إن أحلام

الفقراء مجرد أحلام.. يذهب بها البعض إلى مكان وزمان يقلهم.. لكن مروة أحلامها قريبة التحقيق وتملك شواهد على ذلك.. ها هو علاء.. حلمها.. راقد أمامها بلا حراك بلا حول له ولا قوة.. وها هي أتت لتكن الراعية والمسئولة عن العناية به إلى أن يتم شفاؤه وبعدها أكيد لن يرفض لها طلبًا وسوف يرفع الراية البيضاء معلنًا احتياجه إليها أشد الاحتياج حيث إنه اعتاد أن تقدم له كل ما يحتاج من اهتمام ورعاية من أصغر الأشياء إلى أكبرها.. والشاهد الآخر.. هي مدام وفاء نفسها حيث وثّقت مروة روابط المودة بينهما.. بذهابها سويًا للغداء وتبادل الحديث استطاعت أن تدخل إلى قلب أم علاء.. وفي أمور مثل هذه دائما ما تكون الأم هي أهم عنصر وفرد في منظومة تكوين الرأي فيمن تصلح أن تكون زوجة لعلاء.. فإذا استطاعت مروة أن تستميل مدام وفاء إليها وتجعلها تنظر إليها بعين زوجة الابن لا فتاة الحادثة فهذا أول الطريق لتحقيق الحلم..

لذلك فحلمي قابل للتحقيق.. هكذا أخذت مروة تردد في داخلها..

كل الظروف مهيأة أن أكون فرد جديد في هذه الأسرة وإذا رزقت بمولود فستزيد أسهمي لديهم..

***

قضت مايا وقتًا طويلًا داخل إحدى الفيلات التي تشرف على أعمال الديكورات بداخلها.. فقد انهت جميع التصميمات منذ عدة أيام وبعدها بدأ العمل داخل الفيلا حيث يوجد حولها عدد لا بأس به من العاملين في مختلف التخصصات وهي بين منضدة العمل المستوى عليها جميع لوحات الرسم الهندسي للتصميمات بكل تفاصيلها وبين اعطاء التعليمات والتوجيهات لكل عامل وما يجب عليه عمله بالتحديد وبين كل فترة قصيرة وأخرى يدق هاتفها.. ترد فتحادث مرة مورد السيراميك ومرة أخرى المسئول عن توريد أدوات الكهرباء وغيره من كل المستلزمات لإنهاء العمل.. وبين الحين والآخر يحادثها شريف في الوقت القليل بين مواعيد محاضراته النظرية حيث في وقت العمل لا يستطيع الاتصال أو تلقي مكالمات..

وبينما هي تنظر في بعض أوراق التصميمات لتحضير لما يجب أن تفعله في الغد وما يسمونه «تجهيز شغل بكرة» أتى إليها أحد العمال وهو المسئول عن تركيب الحجارة في مدخل الفيلا.. فإذا به يخبرها أنه يصعب عليه تركيب تلك الحجارة نظرًا لأن أحجامها سوف تخرج عن مستوى باقي الحوائط بنسبة كبيرة فتفسد الذوق العام.. اعترضت مايا على رأيه قائلة إنها هي المسئولة.. ما عليه إلا أن يطيع الأوامر وكفى..

احتد عليها حيث شعر أنها قد أهانته وأشعرته أنه ليس لديه عقل وعليه فقط تنفيذ الأوامر.. وأنه لم يعتاد تلقي الأوامر من امرأة.. فهذه هي المرة الأولي التي يعمل فيها تحت إمرة مهندسة.. لا مهندس.. فكانت كل ملحوظة تذكرها له أو توجيهه في بعض الأعمال كان تشعره أكثر بالمهانة وأن كبرياءه قد تم جرحه ووُضع فيه سكينا احدث جرحا غائرًا..

فلولا احتياجه للمال لأن زوجته على وشك الولادة ويريد التحصيل علي تكاليف الولادة ورعاية زوجته والجنين لما اضطر لإغلاق فمه وعرف كيف يرد على هذه المرأة البلهاء التي ينادونها بالمهندسة..

مر اليوم وانتهى العمل واستعدت مايا لمغادرة المكان وهذا العامل .. فرج.. يرمقها بعين مليئة بالحنق والغيظ ويفكر كيف يرد اعتباره أمام باقي العمال وهم يشاهدون الاسطي فرج وهو يتلقى الأوامر بنبرة حازمة من تلك المهندسة.. ولماذا هي مهندسة.. فهو لديه خبرة وفهم أفضل منها بمراحل.. وماذا يدرسون في هذه الكلية اللعينة؟..

في الغالب لا شيء.. يحملون كتبًا ويدخلون امتحانات.. لكن في الأخير أنا الأسطى.. الأسطى فرج الذي يهابه الجميع ويسمعون لتعليماته في كيفية سير العمل..

كانت مايا تتحرك بخفة مرتدية بسرواله واسعًا وقميصًا سميكًا يتحمل الاتربة وغيره.. وتضع في قدمها حذاءً مخصص للأمان Safety Boots وقد رفعت شعرها لأعلى وقامت بربطه برباط شعر سميك ووضعت على رأسها كابًا كي يحميها من الأتربة والغبار وأيضًا مخاطر العمل..

في آخر محادثة هاتفية مع شريف اتفقا على اللقاء للسهر ليلًا والذهاب إلى دور السينما.. عادت إلى منزلها.. بدلت ملابسها.. تحممت وارتدت فستانا للسهرة ذو اللون الأسود مما زاد من جمالها وبهائها في ذلك الفستان.. واسدلت شعرها على كتفيها ووضعت بعض المساحيق الخفيفة وارتدت قرطًا من الذهب الأبيض مع قلادة وساعة مرصعة من نفس التصميم ووضعت قدميها في حذاء لامع أسود..

نظر إليها شريف وهو ينتظرها أسفل العمارة.. أطلق صافرة عالية تعبر عن اعجابه بجمالها.. وكم هي فاتنة.. فأجابته أنك لم تشاهدني منذ ساعتين ..تقريبًا كنت اشبه بصبي الميكانيكي..

زاد التقارب والتفاهم بين مايا وشريف وتوطدت علاقتهما على أفضل ما يكون وصارت تسود بينهما روح الصداقة القوية أقوى من علاقة شاب بفتاة.. وشعر أنه شيئًا فشيئًا ليس بحاجة إلى أصدقاءه الشباب حيث كان كل وقته ودعاباته وافكاره وساعاته الممتعة يقضيها مع مايا إما على الهاتف أو خلال مقابلاتهما أو لحظات التفكير فيها.. كان يغلف روحه بنسيم رقيق ينعش وجدانه ويهز قلبه برفق فينتظم دقاته..

أما مايا فكانت تعيش حالة لا تستطيع وصفها.. انقلبت حياتها رأسا على عقب وسارت على نفس درب شريف دون سابق اتفاق.. فرويدًا رويدًا استغنت عن صديقاتها ولم تعد بحاجة إليهن فقد وجدت في شريف الصديق.. الصديقة.. فقد كان يشاركها اهتماماتها.. فيقوم بدور صديقتها عند الحديث عن الملابس، والموضات، أو أدوات الماكياج.. أو بعض المسلسلات وما

يعرض على شاشات التلفاز.. حيث هذه الأمور هي أقل اهتمامات الشباب.. لكن شريف كان مختلفًا.. مختلفًا عن بقية الشباب.. فكان قريب منها في كل شيء وأصبح كاتم أسرارها والناصح الأمين..

اتخذا الاثنين قرارًا سويًا بأن حان الوقت لإعلان خطبتهما.. وكل طرف عليه بالتحدث لأهله.. إلى أن تتم الأمور بشكل لائق..

كانت مهمة سهلة علي مايا حيث كان أباها رجل ذو عقل وحكمة ومنتهى أمله أن يرى ابنته الجميلة وعلى رأسها تاج وطرحة وفي يدها خاتم زواج..

أما شريف فكان وضعه مماثل تقريبًا فبمجرد أن تحدث إلى والديه وأخته نورا في أول إجازة أسبوعية بعد الاتفاق.. سمع زغرودة من أمه والأحضان والقبلات من أباه ونورا.. ثم عقّب شريف قائلًا.. يا أبي لا تكن مثل ما كنا نسمع عن تقاليد زمان أن الولد يتزوج بعد البنت ..أي لا تطلب مني انتظار أن يأتي عريسًا إلى نورا وتتزوج أولًا.. ضحك الأب وقال قد كانت هذه عادات قديمة لكن كان لديهم وجهة نظر نحترمها لكن لا تقلق ليس لك علاقة بهذا الأمر.. حدد أنت موعدًا مع أهل عروسك وإن شاء الله يتم نعمته عليكما وتفرحا سويًا ونفرح معكما..

***

ذهب ماجد لمتجر حلويات شرقية واشترى صحنًا كبيرًا من البسبوسة ثم توجه إلى أحد متاجر بيع المقرمشات، والتسالي واشترى كمية من المكسرات وعاد إلى البيت.. أخفى كل هذه المشتريات وراء ظهره.. وقف أمام أمه الحاجة نعمات فإذا به تمطره بوابل من التوبيخ واللوم والعتاب كعادتها.. على تركها وحيدة في البيت بلا طعام وتسالي.. فليس أمامها إلا بعض بذور عباد الشمس..

انتظر ماجد إلى أن فرغت.. وافرغت ما في جعبتها من جميع أنواع الكلمات غير المحببة إلى أي نفس بشرية وابتسم قائلًا.. "شوفي جبتلك أيه"؟

نظرت.. فتحت عيناها.. بسبوسة.. وما هذا.. لوز.. بندق.. عين جمل.. كم أنت رائع يا ماجد.. صحيح ابن بار بأمه.. لا تنساني ابدًا.. ادعوا لك من قلبي في كل وقت وآذان..

هكذا تلونت وتبدلت الحاجة نعمات عندما حصلت علي الرشوة من ماجد فهذا بالتحديد ما كان يشعر به ماجد.. إنه لإرضاء أمه لابد أن يدفع لها رشوة ولا أفضل ولا أهم ما في الحياة لديها من الطعام والمكسرات..

بعد أن التهمت قطعة كبيرة من البسبوسة وكان ماجد يعد لها كوبا من الشاي بدأت في التسالي.. مع المكسرات.. انتهز ماجد هذه الفرصة ليفتح

معها موضوع زيارتها لمنزل نورا والتقدم لخطبتها.. استمعت للكلام وهي تأكل المكسرات ويصدر عنها جميع أنواع الأصوات المزعجة.. كمحرك سيارة قديمة..

وما ان انتهي من كلامه.. قامت بالدعاء له ومباركته وأنها تاركة له تحديد الموعد وهي على أتم استعداد لتشريفه والذهاب معه..

عقدت نورا جلسة مع أبيها وأمها وأخيها شريف.. تخبرهم فيها عن طلب تحديد موعد للعريس ووالدته.. طلب منها شريف أن يكون الموعد في نهاية الأسبوع القادم حيث أجازته الأسبوعية انتهت وعليه أن يتوجه إلى الإسكندرية في صباح الغد..

مر الأسبوع سريعًا.. وجاء اليوم الموعود.. فقام ماجد في صباح ذاك اليوم بشراء كل أنواع المأكولات التي تحبها الحاجة نعمات متبعًا الطريقة ذاتها لاسترضاء أمه وضمان مباركتها وألا تتلفظ بأي كلمة تعكر صفو الزيارة لعائلة نورا..

كانت جلسة لطيفة تم فيها التعارف.. وكان سيادة العميد يتفحص ماجد بعناية ليس بظاهر الشكل فقط وإنما درجة علمه وثقافته وكيفية معالجته للأمور..

مرت الوقت على خير وكان أكثرهم سعادة هو العريس ماجد.. ليس لأنه وجد قبولًا ملحوظًا لدى أسرة نورا.. وما ساعده علي ذلك ان أمه لم يصدر عنها ما كان يخشاه حيث كانت مبتسمة لطيفة ولم تتحدث عن الطعام كثيرا ولم تبح بنواياها في أنها ترى في زوجة ابنها ما هي إلا خادمة أمه.. ليس

لها قيمة ولا أهمية في بيتهم سوي خدمة الحاجة نعمات واستجداء واستعطاف رضاها وعليها أن تكن صبورة حمولة.. أن تتحمل غضب الحاجة وما يتبعه من وابل من النقد واللوم اللاذع.. الذي يصل إلى حد الاتهامات غير المتخيلة وليس هناك ما يمنع من وجود بعض السباب بين وصلة التأنيب..

كانت براءة نورا تجعلها في قالب كالفراشة التي لا تحب إلا النور وتبتعد عن كل ما هو معتم.. أحبت الحاجة نعمات لمجرد أن سمعت منها بعض الكلمات اللطيفة.. وقررت ممارسة الضغط على أبيها لقبول فكرة أن تتزوج في بيت ماجد ونعمات وليس شقة منفصلة تخصها وحدها وتكون هي الملكة المالكة المسيطرة علي بيتها وكيف ترتب أثاثه وطريقة تنظيفه إلى كل هذه التفاصيل..

سمع العميد رد ماجد عندما سأله إن كان يملك منزلًا للزوجية..

قال.. يا عمي بيتنا واسع وكبير وأنا وحيد أمي.. وأبي توفى منذ سنوات وأنا لا أستطيع ترك أمي وحيدة وتحديدًا وهي تعاني من بعض المشكلات الصحية الناجمة عن التقدم في العمر.. بالتأكيد تصرف سيادة العميد مثل أي انسان عاقل متفهم للموقف وعلي علم ودراية بمكانة الأم.. بأن أومأ وهز رأسه بعدم الاعتراض على ما سمعه من ماجد.. لكن كان في قرارة نفسه متوجس خيفة وحزين على نورا، ويشعر بغصة في حلقه وساوره إحساس أن القادم ليس به خير.. لم يشعر بالارتياح لكلام ماجد وشعر فيه بشيء من الأنانية أن ماجد يفرض عليهم التضحية والتنازل عن بيت الزوجية ومملكة

الزوجة واستغلاله لمسمى رعاية الأم.. يحرم فتاة رقيقة من أن تكون حرة في منزل يجمعها وشريك حياتها..

أخذ سيادة العميد يردد بعد أن انصرف الضيوف.. «استر يارب» كانت نورا أكثرهم سعادة وفرحة.. بكل أنوثتها وبراءتها تعيش أجمل أيام في حياة أي فتاة.. أن يتقدم لها عريس هي تحبه وراغبة فيه وتكون الجلسة عائلية لطيفة.. كل شيء يسير في الطريق الصحيح وقريبًا سوف تعقد الاتفاق على تحديد موعد حفل الخطوبة وكيف يكون الحفل وفي أي مكان.. من أدعو.. وفستاني.. آه يجب أن يكون أشيك وأجمل فستان خطوبة وتكون حفلة بسيطة ولكن في نفس الوقت مميزة تعلق في ذاكرة كل من حضرها وتكون هي الملكة المتوجة.. المتوهجة.. التي لا ينساها أحد من الحاضرين وتكون حديث الجميع.. العروسة.. كم هي جميلة أنيقة.. بسيطة.. براقة.. متوهجة.. فراشة الحفل.. زهرة وعبير الحاضرين يشم رائحتها لكن من على بعد.. وهم في أماكنهم فهي ليست إلا ملك لرجل واحد فقط ..سيصبح حديث العالم في وقت قصير ببطولات وجوائز وكؤوس وتكريمات في جميع عواصم العالم.. فقد أخذت عهدًا على نفسها أن تسانده بكل ما أوتيت من قوة حتى تحقيق الهدف.. فتتهافت عليه كاميرات جميع المحطات الرياضية وتكون هي بجانبه.. حلمه هو.. لكنها رأت الحلم معه وعاشت فيه.. كم هو جميل أن تجعل حلم من تحب هو أيضًا حلمك.. مهما اختلفت الشخصيات ومكونات وأبعاد كل شخصية..

لم تكون نورا تتخيل أن تقبل بعريس يحرمها من أهم وأول ما حلمت به.. هو بيتها.. بكل أركانه وتفاصيله.. أن يكون خالصًا لها حتى لو كان بيت قديم خالي من وسائل الراحة.. لكنها كفيلة أن تضع لمساتها في كل ركن وتجعل منه بيت مريح.. تحب العيش فيه ويحب ماجد العودة إليه بعد يوم شاق في العمل والتمرينات..

لكن الغريب أنها قبلت بأن تعيش في بيت ليس لها ولا حق لها بتغيير ما فيه أو تعديل حجرات أو ديكورات.. كالستائر أو السجاد.. النجف.. فرش الحمام.. كم هو إحساس قاس أن تشعر بأن أهم وأغلى أحلامك يسلب منك لكن هي تحبه والحب مقترن بالتضحيات لضمان استمراريته.. فما من محب وعاشق إلا وتنازل وضحي من أجل حبيبه..

ماجد يستحق.. وأمه تبدو طيبة وسوف يقدران بالتأكيد لنورا تلك التضحية ويعملان على راحتها وسعادتها.. وسوف تمارس هي دورها.. دور زوجة البطل.. ذو أجمل وأضخم عضلات على مستوى العالم.. كم هو جميل أن تكون في دائرة الضوء.. وأن تكون محط أنظار وحديث الجميع وتوضع صورك على غلاف المجلات.. وتتهافت القنوات الإعلامية للحصول منك على تصريح أو معلومة عن ما هو الجديد وما هو القادم..

ما أن اقتربت الحاجة نعمات من سيارة ماجد المصفوفة في أحد الشوارع الجانبية من بيت نورا.. فتح ماجد باب السائق وجلس على مقعد السيارة استعدادًا لإدارة المحرك وإذا به يسمع وابلًا من التوبيخ المصحوب بنوبات

رعدية من السباب المحمل بكل أنواع الصفات السيئة ..التي كان أقلها.. يا جاحد..

كيف تتركني ولا تفتح لي باب السيارة.. «آه طبعًا خلصت حاجتي من جارتي» انتهي اللقاء.. أنا شرفتك لكن نسيت كم كنت لطيفة مع عروسك وأهلها والآن تنساني وتجلس وحدك.. أنسيت أني أمك التي ربتك وسهرت عليك.. بالأمس ظننت أنك ضحكت عليّ بطبق البسبوسة وبعض المسليات التافهة مثلك أنا كدة فهمت لماذا زادت جرعة حنيتك في الأيام الأخيرة..

استمرت وانطلقت الحاجة نعمات كأنها ماسورة انكسر محبسها.. فخرج منها كل ما تجود به من الألفاظ مصحوبًا بصوت عالٍ أوقف بعض المارة يشاهدون هذا المشهد العجيب..

أكثر ما كان يخيف ماجد.. أن يكون أحد في شرفة بيت نورا شاهدا أو مستمعا لأيًا من هذا العزف المنفرد من الأم تجاهه.. يا لها من أم.. وكأنها كان ميقاتها مضبوطًا على عدد دقائق الجلسة ثم انطلق الجرس وانطلقت معه طلقاتها وسهامها القاتلة في كل اتجاه..

هرع مسرعًا من فوق كرسي القيادة واستدار إلى الباب الآخر وفتحه لها وأجلسها معتذرًا ومعللًا أنه لم يقصد وكان يظن أنها تستطيع دخول السيارة بمفردها..

لكن الحاجة نعمات لم تتوقف.. بعد أن انطلق بالسيارة بعيدًا عن شرفة بيت نورا وبعيدًا عن هذا التجمع والتجمهر من الناس الذين تواجدوا حوله في حلقة في لحظات معدودة.. يا له من شعب يعشق الفضائح..

في الطريق ظل يفكر كيف يصلح محبس هذه الماسورة المنفجرة.. هي.. هي نفس الطريقة هذا ما يسكتها.. توقف أمام أحد متاجر الحلويات الشهيرة وسألها.. يا أمي الجميلة أتريدين كنافة أم بقلاوة..

نظرت إليه وتوقفت فجأت عن السباب.. القت بنظرها خارج النافذة لتتفحص المكان.. وكان متجرا شيك وغالي.. تغير الصوت وتغيرت الطريقة وتبدلت الكلمات.. والله يا ماجد يا بني مش عارفة.. أفضل أنزل معك واختار بنفسي ما أريده..

هبطت من السيارة بدون أن تنتظر منه المساعدة وكانت على الرصيف قبله وفي انتظاره وفي داخل المتجر.. صالت وجالت وأحرزت العديد من الأهداف في مرمي حافظة نقود ماجد الذي كان يبكي من داخله.. وأن أحلامه ربما تتبخر فقط بسبب هذه السيدة الشرهة للحلويات. مفترسة المكسرات..

***

فتح علاء عينيه وأطلق بعضًا من آهات الألم.. نظر حوله.. وجد نفسه محاطًا بمجموعة من الأنابيب وقدمه اليسرى مرفوع لأعلى على حامل ومحاطة بجبيرة من الجبس الأبيض.. تحسس رأسه حيث كان يشعر ببعض الألم والصداع.. فوجد رأسه مربوطًا واجزاء متفرقة من جسده تؤلمه لكن ألمًا خفيفًا يستطيع تحمله.. نظر حوله.. وكانت الغرفة مظلمة بعض الشيء والضوء فيها خافت لكنه استطاع أن يميز ما حوله.. وبينما هو يجول في غرفته غير المعتادة وقفت عينيه على جسد نائم على كرسي.. إنها فتاة.. وواضعة قدميها على كرسي آخر مقابل لها.. فتح عينيه أكثر.. أنا أعرف هذا الوجه رأيت هذه الفتاة من قبل.. آه.. نعم.. نعم.. إنها مروة فتاة الحادث لكن ما أتى بي هنا.. وما أتى بها هنا..

لقد كانت هي المصابة وأنا الزائر.. كيف تم قلب المشهد.. قلب.. انقلاب.. آه تذكرت.. لقد كانت السيارة تنقلب وأنا بداخلها بعدما طاردني هذان الرجلان اللذان يدعيان أنهما أقرباء هذه الفتاة أو هي اختهم.. لا أعلم.. فيبدو على ملامحهم علامات الاجرام.. نعم.. اتذكر الآن.. لقد أتوا إلى المتجر وأنا هربت وتركت باب المتجر مفتوحًا لإنقاذ نفسي.. وأسرعت بسيارتي وهما

خلفي وطالت المطاردة إلى أن شعرت بسيارتي تقفز إلى الأعلى وأنا بداخلها ولا أعلم ماذا حدث بعد ذلك..

ما أراه حولي وما أراني أنا فيه.. أكيد أدرك ما حدث بعد ذلك.. نُقلت إلى المستشفى وأنا ملقي هنا الآن لأعالج.. ولكن أين أبي ..هل غضب عليّ عندما ذهب إلى المتجر ووجده مفتوحًا وأنا لست بالداخل..

ترى ماذا ظن بي؟.. أكيد ظن كعادته بي أنني قليل التركيز وعقلي ليس في رأسي لأترك المتجر مفتوحًا هكذا.. لم ولن يجول بخاطره انني كنت مطاردًا من هذان المجرمان.. وأردت انقاذ نفسي من معركة أنا فيها أكيد الخاسر ولم أرد أن أُقتل أو أن ينتهي بي الحال مكسورًا.. جريحًا في مشفي.. هربت وظننت أني نجحت في الهرب منهم.. لكن كلمة القدر نافذة.. شئنا أم أبينا..

انتهي بي الحال في المشفى مكسورًا مجروحًا ولكن باختلاف الوسيلة فانقلاب السيارة أرحم الف مرة من أُضرب من هذان المجرمان.. لكن الخسارة المادية كبيرة حيث تحطمت سيارتي التي أحبها كثيرًا والتي أنفق فيها والدي مبلغًا كبيرًا كي يهديني إياها في عيد ميلادي ويشجعني على العمل معه ومساعدته بعد التخرج من الجامعة..

أين أمي؟.. هل تعلم بأمر حادثي هذا.. هل تعلم أني وحدي في غرفة شبه مظلمة بكسوري.. بجروحي.. أئن وحيدًا..

لكن أنا لست وحدي.. فهذه الفتاة.. مروة من كانت ملقاة في المشفى من قبل ..قابعة معي هنا.. من أتى بها.. وكيف علمت بما حدث لي.. ومن سمح لها بالمبيت هنا.. أكيد لها كل الشكر على ما تقدمه..

لكن هل تعلم أمي أو يعلم أبي أن مروة هنا.. وهل تعارفا.. أو علما من تكون هي.. أمي لم تعلم أني صدمت فتاة.. فأنا لم أخبرها وطلبت من أبي ورجوته ألا يخبرها خوفًا عليها وأيضًا خوفًا على صورتي أمامها..

تقلبت مروة في المقعد الضيق.. فاستيقظت.. فتحت عيناها.. وجدتني أنظر إليها.. نظرت إلى كأنها تراني لأول مرة.. تلفتت حولها كأنها فقدت الذاكرة أو نسيت أنها هنا في حجرتي بجوار سريري في المشفى.. استفاقت وفركت عيناها وقالت: انت صاحي.. حمدا لله على سلامتك..

هززت رأسي بابتسامة خفيفة للغاية.. وطبيعي أن أسألها.. وقبل أن أبدأ في سؤالي بادرتني هي.. أكيد تريد أن تعرف ما أتى بي هنا.. وكيف عرفت بأمر الحادث.. وأسئلة أخرى تدور في داخلك..

الإجابات لأسئلتك جميعها لديّ أنا.. وأنا على استعداد للإجابة عليها لكن أريدك أولًا أن تعدني أن تمنحني الفرصة لأرد لك الجميل..

فكر علاء قليلًا.. أي جميل.. فأنا صدمتها.. وآلمتها.. وتسببت في رقدتها في المشفى ولم أزرها إلا مرتان زيارات قصيرة واخذت صورة محضر الشرطة وأخرجتها من رأسي وتناسيتها تمامًا..

بدأت مروة روايتها لعلاء ببعض الحقائق واخفاء البعض الآخر.. ذكرت له أنها كانت ترغب في شراء بعض الملابس الجديدة فذهبت إلى Jimmy's Fashion حيث أخبرتها إحدى صديقاتها أنها ستجد ما تبحث عنه في ذلك المتجر تحديدًا.. وهناك من خلال الحديث مع العاملة علمت اسم صاحب المتجر وتذكرت أنك اخبرتني في أول تعارف بيننا عندما كنت أنا

المصابة في المشفى.. انك ابن صاحب متجر شهير.. فسألتها إن كان لصاحب المتجر ابنا اسمه علاء.. واخبرتني باسم المشفى الذي تعالج فيه..

اتيت لزيارتك لأرد لك زيارتي وجمائلك عليّ.. التقيت بمدام وفاء والدتك والاستاذ جمال والدك.. في الحقيقة أناس رائعون وأنا أحببتهما من أول لقاء.. هما أيضًا وثقا فيّ بعدما علما أني أنا الفتاة التي أنت صدمتها وأخبر والدك والدتك بالأمر حيث أنها لم تكن تعلم أو تسمع به من قبل على ما يبدو..

رحبا بي بشدة خصوصًا أني قد وافقت على التصالح ورفضت الاستمرار في قضية دهسك لي بسيارتك ورفضت أيضًا الحصول على تعويض مادي حتى لو كان هذا حقًا أصيلًا لي..

كان علاء يستمع إليها باهتمام إلى ان ذكرت جملة «بسيارتك» تذكر سيارته الفارهة الفاخرة.. إنها ربما الآن قابعة على سقفها وكل قطعة فيها أكيد مكسورة وغير قابلة للعمل..

شكر علاء مروة ووعدها أن لها أي فرصة تريدها.. رغم أنه متعجب.. أي فرصة هذه في رعاية وخدمة انسان كسير مثلي.. ثم سألها.. لكن لماذا انتً هنا ليلًا وليس أبي أو أمي.. أجابته أنها اتفقت مع مدام وفاء على أن تشاركهم العناية بك.. أولًا لرد الجميل.. ثانيًا نظرا لانشغال الأستاذ جمال والدك حيث انه سوف يقوم مضطرا بعمله في المتجر بالإضافة لعملك.. حيث أخبره الأطباء ان قدمك موضوعة في الجبس وربما يستغرق هذا في حدود ستة أسابيع وبعدها علاج طبيعي حتى تستطيع السير عليها مجددًا..

كانت الساعة شارفت على الثالثة صباحًا حين طرق باب غرفة علاء بينما تروي له مروة أسباب مبيتها في الغرفة..

ظنا علاء ومروة أنه أكيد ميعاد دواء أو تغيير محلول الجلوكوز الواصل ليد علاء عبر أنبوب شفاف ضيق..

فتحت مروة الباب لتجد رجلين يسألان عن علاء وأنهما قادمان لزيارته.. ويحمل أحدهما في يده كيسًا ورقيًا بني اللون بداخله بعضًا من ثمرات البرتقال.. فسألت مروة وهي تستعد للتعارف عليهما لتدخل في دائرة الأسرة أكثر وأكثر.. «أنتما أقرباء علاء».. فرد أحدهم.. لا.. نحن أصدقاءه.. تفضلا..

بمجرد دخولهما وعلاء ينظر إليهما فتذكرهما على الفور.. ذهب أحدهم إلى علاء والآخر إلى مروة آمرًا إياها أن تخرج إلى الكافيتريا لإحضار الشاي..

تعجبت من سلوكهما.. يتصرفان بطريقة غريبة.. ولم يرحب بهما علاء..

خرجت مروة وهي غير مقتنعة أن هذان الرجلان اصدقاء علاء.. حتى أن مظهرهما لا يدل على المستوى الاجتماعي لأصدقاء علاء فعادة الأصدقاء يربط بينهم اشياء متقاربة ومشتركة وفور أن خرجت مروة وقف أحدهم خلف الباب ليضمن ألا يفتح من أي شخص سواء طبيب أو ممرضة أو عودة مروة نفسها.. والثاني ذهب إلى علاء وهو ملقي على سريره وقلبه يدق بشدة يكاد يصرخ من الخوف ولسان حاله يقول.. اغيثوني.. النجدة.. لكنه لم يستطع الكلام فقد انسدت حنجرته من هول المفاجأة ومن جرأة هذان المجرمان..

أولًا أتيا إليه في المتجر.. وثانيًا يأتيان إلى المشفى.. ماذا بعد.. ربما عرفا طريق بيته أيضًا..

قال أحدهما وهو شاهرًا مطواة في وجه علاء.. أمرًا إياه «امسك هذا القلم.. وقع على وصل الأمانة هذا» نظر إليه علاء ولم يفعل ما أمره به.. نهره الرجل واقترب بالمطواة أكثر ناحية رقبة علاء إلى أن شعر بها تلامس رقبته.. أدرك أنه سوف يذبح إن لم يطع الأوامر..

قال علاء بصوت متحشرج مبحوح.. لماذا أوقع.. وماذا في هذه الورقة..

رد عليه أنه تسبب لهم في فضيحة شرف.. فضيحة أخلاقية يوم أن خرج وقضي اليوم مع أختهما وهما لا يدريان ماذا حدث لها.. ربما غرر بها أو أرتكب أي فعلة مشينة معها.. وأن حقها لن يذهب سدى فهي لها عائلة وليست فتاة رخيصة أو فتاة ليل..

لذا عليه أن يدفع ثمن فعلته وأن ينفذ ما يطلب منه بلا جدال أو نقاش وإلا فالموت نصيبه حالًا.. سيصبح بعد دقائق ذبيحًا مثل أي ماعز أو دجاجة.. ولن يعلم بأمرهما أحد ولا حتى الشرطة ..

من هول الموقف و شدة الخوف والرعب.. وقّع علاء على ايصال الأمانة.. أخذه الرجل وطواه ودسه في جيبه بعد أن قال.. إن هذا ليس نهاية المطاف.. هناك جولات أخرى.. وسوف يراهما علاء مرة أخرى حيث هم يحملان له الخير.. ويرتبان له بعض الأمور في صالحه وصالحهما..

وفي ثواني.. كانا خارج الغرفة.. وكما دخلا فجأة بدون أن يشعر بهما أحد في المشفى خرجا أيضًا فجأة..

عادت مروة بأكواب الشاي الساخن.. وما أن دخلت الغرفة وجدت علاء فاتح فاه وعيناه بها بدايات دموع.. فهو غير مصدق ما يحدث له.. ما هذا الكابوس..؟ كل هذا يحدث لي بسبب أن خرجت للتنزه مع فتاة لا أذكر حتى اسمها..

كل شيء في حياتي يسير في شكل غير متوقع.. سيء للغاية.. في خلال اسبوعين تبدل حالي إلى اسوأ سيناريو لا يقدر على توقعه أو التنبؤ به أمهر أو أعلم العارفين والعرافين..

متى تنتهي قصة هاذان المجرمان معي؟.. هل أبلغ الشرطة؟.. لقد وضعا توقيعي على إيصال أمانة لا أدري الرقم الذي وضع فيه أم تركاه فارغًا لابتزازي فهي ورقة تمثل كما يقول التجار شيك على بياض لقد وضعوا رقبتي تحت أقدامهم.. وماذا.. ماذا قال ذلك المخبول المجرم قبل أن يغادر.. أن سيكون بيننا تعاون أو ثمة شيء من هذا القبيل..

أي تعاون سيربطني مع هذان المجرمان؟.. اشعر أن رأسي تدور.. كل هذا ومروة تنظر إليه وهو فاتح فاه وناظرًا إلى سقف الغرفة.. ونظرات الهلع والخوف تملأ وجهه وعيناه..

استدار علاء قليلًا قدر استطاعته باحثًا عن الزر الذي يدق فتحضر الممرضة.. سألته مروة إن كان يريد أي مساعدة فأجابها بأن تستدعي الممرضة.. بالفعل حضرت بعد دقائق.. بمجرد أن دخلت الممرضة الغرفة.. وكأنها أتت لإنقاذه أو أنها مندوب من قبل الشرطة.. «أشعر بتعب وألم ودوار.. أرجو أن

تعطيني مسكنًا قويًا.. أريد أن أنام.. أو أريد أن أموت.. خدروني.. اجعلوني أنام أو أموت.. هيا بسرعة"..

تعجبت مروة من طريقة علاء في الحديث.. بدا وكأنه مريض نفسي مصاب بهلاوس وتخاريف.. صوته مرتعش يتحدث بسرعة شديدة بكلمات متلاحقة كأنها في سباق مع شيء مجهول لا يعلم كنهه غيره..

انتاب مروة القلق.. عادت الممرضة بالمسكنات واعتذرت عن التأخير حيث إنها لابد وأن تستشير الطبيب..

في الصباح حضرت مدام وفاء والاستاذ جمال.. قدما الشكر لمروة وأن عليها أن تنصرف لتنام وترتاح وإذا أرادت أن تأتي في الليل فسوف يكون كرم زائد منها.. وكان علاء مازال نائمًا.. لكن نوم لا يعرف طعم الراحة أو الاسترخاء.. فقد كانت تطارده مجموعة من الكوابيس في حلقات مسلسلة متشابكة.. لا تفارقه.. ينتهي كابوسا.. فيعقبه الآخر ويبدأ في جلسات التعذيب.. فكانت تصدر عنه بعض الصرخات وهو نائم..

انزعجت الأم لكن الأستاذ جمال وضح لها أنها ربما من آثار الألم بالتأكيد..

انصرف الأستاذ جمال وترك الأم وحدها مع وحيدها في غرفة المشفى..

***

كان على مايا أن تمر على بعض معارض الإكسسوار والنجف.. لتحديد بعض القطع للإضاءة التي سيتم تركيبها في الفيلا لمتابعة عمل الجميع وقد شرحت لهم بالأمس ما ينبغي عمله لكل فرد تحديدًا وكمّ العمل الذي يتعين عليهم أن يتم مع نهاية اليوم..

وعندما حان دور مكالمة المسئول عن تركيب الأحجار الاسطي «فرج» أجابها علي الهاتف أنه لا يستطيع القيام بعمل غير مقتنع بجدواه أو صحته.. لن يعمل.. سيتوقف وينتظرها لمناقشة الأمر على الطبيعة..

انتاب مايا شيء من الضيق لأنها لا تحب التكاسل في العمل أو اضاعة الوقت حيث كل شيء لديها محسوب ولديها جدول بعمل وانجاز يوم بيوم وأخبرها الأسطى فرج أنه سينتظرها مهما طال الوقت للنقاش والتفاهم ولم يكن أمام مايا إلا الموافقة واجابته.. حسنًا انتظرني ولكنني سأتأخر بعض الوقت.. فمازال أمامي الكثير لأنهي جميع تنقلاتي..

حاول شريف ترتيب لقاء مع مايا ليتقابلا بعد محاضراته وبعد عملها لكنها أخبرته أنها لا تدري في أي وقت سوف تنهي جميع تنقلاتها خاصة أن الزحام المروري على أشده وأنها تنتقل بين أماكن تتباعد عن بعضها وبعد ذلك لابد أن تعود إلى الفيلا.. لتتابع ماتم من عمل اليوم وبعدها لها حديث مطول

مع أحد مسئولي تركيبات الأحجار «الاسطي فرج» الذي على ما يبدو أعلن عصيانه واستطردت.. «نشوف حكايته ايه ده كمان»..

ما كان من شريف إلا أنه أخبرها بأنه سوف يكون في انتظارها.. عندما تفرغ وتكون قادرة على الخروج.. فلن يستغرق وقتًا لينتظرها اسفل منزلها..

اتفقا على اللقاء إن استطاعت مايا بعد يوم عمل شاق و طويل..

تنقلت مايا بين المتاجر لانتقاء بعض أنواع من السيراميك للمطبخ والحمامات الثلاث في الفيلا ثم قامت بالاتفاق مع إحدى متاجر السجاد والموكيت على أنواع وألوان الموكيت وميعاد التركيب بعدها اتجهت إلى متاجر بيع أقمشة الستائر ومستلزماتها.. فقضت هناك وقتًا طويلًا لمشاهدة البضائع والمعروضات وانتقاء المناسب منها.. واختتمت تنقلاتها في إحدى ورش تصنيع وتشكيل الحديد للاتفاق على بعض نماذج «الفيرفورجيه» للشرف وبعض الحواجز والقواطع داخل الفيلا.. وبعدها شعرت مايا ان طاقتها قد استنفدت وأنها تشعر بتعب شديد.. أخيرًا انهت كل المشاوير لدرجة انها نسيت أن تتناول أي طعام.. فكانت تشعر بجانب التعب بالجوع الشديد رفضت تناول أي شيء فضلت أنهاء المتابعة في الفيلا والنقاش مع الأسطي فرج وبعدها تستعد لتناول العشاء مع شريف..

انتابتها حالة من الرضا والقبول بعد متابعة الأعمال وأن كل عامل أدى دوره كما هو موكل إليه.. فكل شيء يسير على ما يرام عدا تركيب الأحجار في الحائط المقابل لمدخل الفيلا..

كان الاسطى فرج بمفرده في الفيلا بعد أن غادر جميع العاملين.. كان في انتظار الست المهندسة كما يناديها العمال.. عدا الاسطي فرج الذي كان به من التكبر ان يناديها بهذا اللقب.. وكان عادة يناديها «ياست» وهي لم تعر للأمر انتباه لعلمها أن عمله لن يستغرق أكثر من ثلاثة أو أربع أيام على الأكثر وربما لا تتعاون معه ثانية في المستقبل وأي عمل قادم حيث تشعر أنه شخص كثير النقاش كثير الجدال.. قليل العمل.. يبحث عن مكانة مزعومة.. أنه رئيس العمال ولا يتلقى أوامر من أحد حتى لو كانت من المهندسة المسئولة على تنفيذ أعمال التشطيبات فلم يكن من السهل التعامل معه ويحتاج إلى ترويض دائم.. هكذا أخبرها أحد المقاولين عندما استعانت به إن كان لديه أو يعرف اسطي شاطرًا لتركيب الأحجار بحرفية..

ما أن انتهت مايا من المعاينة توجهت إليه حيث كان جالسًا على الأرض في مدخل الفيلا مشعلًا سيجارة كريهة الرائحة .. رائحة عطرية غريبة غير رائحة السجائر المعتادة.. ولكنها عطرية غير محببة.. لدرجة أن انتاب مايا نوبة من السعال بتأثير الدخان الكثيف الذي شيئًا فشيئًا ملأ المكان..

كان الاسطى فرج ذو جسم ممتلئ.. وله شارب كثيف ويد خشنة وأصابع غليظة عيناه بهما احمرار دائم ونظراته غير مريحة.. وسليط اللسان..

أنهت مايا جولتها في الفيلا وهبطت الدرج إلى الطابق الأرضي موجهة حديثها لفرج.. ها.. ما هي المشكلة وماذا تريد ان تقنعني به..

نهض فرج من مكانه وبدأ يشرح لها مشيرًا إلى أماكن تركيب الحجارة وكانت مايا تقف بمسافة بعيدة عنه بعض الشيء.. طلب منها أن تقترب

وتضع يدها على الحائط وتلاحظ سمك الحائط أقل بكثير من سمك الحجارة وبالتالي ستكون الحجارة بها بروز خارجي اكثر من اللازم وغير متناسق في شكله..

اقتربت مايا وبدأت تضع أصابعها على الحائط وأمسكت بأحد قوالب الحجارة والصقتها بيدها واسندتها على الحائط لترى حجم البروز الخارجي فإذا فرج وبشكل فجائي استدار من خلف مايا وأمسكها من ظهرها وطوق يداها من أمامها وألصق جسده بجسدها بقوة.. صرخت وأمطرته بوابل من السباب.. آمرة إياه ان يتركها ويبتعد عنها.. لكنه كان في حالة غير مؤهلة لسماع غير صوت رغباته وشهواته التي لا توصف إلا بالحيوانية.. كان مقززا برائحة منفرة..

حاولت مايا التخلص منه لكنه كان أقوي من أي محاولة تقوم بها للإفلات من قبضة يديه وابعاد هذا الجسد الخنزيري عنها..

كانت مازالت ممسكة بقالب الحجارة عندما كانت تقيس سمك الحائط مقارنة بمقياس وسمك الحجارة أفلتت يدها بسرعة ورفعت يدها بشكل تلقائي وهبطت بيدها حاملة الحجارة بكل ما أوتيت من قوة وشجت بها رأس فرج.. ورأت دماءه القذرة تنهمر من رأسه لتملأ وجهه.. وتخيلت أنها تخلصت منه وباستطاعتها الهرب.. لكن القدر كان مخبئ لها ما هو اسوأ من ذلك بكثير اذ هرع فرج خلفها ولم يهتم بدمائه المسالة من رأسه لتغطي ملامحه الكريهة واستطاع الامساك بها على الدرج وهي تحاول الصعود لأعلي الفيلا

أمسكها من قدميها ركلته بشدة محاولة الافلات منه لكنه اقترب من وجهها ولطمها عدة لطمات على وجهها حتى فقدت الوعي..

وضع شريف هاتفه بجواره منتظرًا مكالمة من مايا ليستعد للخروج لملاقتها تحت منزلها للذهاب إلى أحد المطاعم المحببة اليهم لتناول العشاء على أنغام الموسيقي الهادئة والشموع المنتشرة على طاولات المطعم..

كان مطعمًا صغيرًا مخصصًا للمأكولات البحرية.. ويفضل الحجز مسبقًا نظرًا للإقبال الشديد عليه.. التقط شريف هاتفه واجرى اتصالًا بالمطعم لحجز طاولة.. ردت عليها إحدى العاملات بالمطعم أنه تم قيد اسمه ولكن لن تكون هناك منضدة خالية تقريبًا قبل ساعتين اجاب أنه وقت كافي للاستعداد والذهاب اليهم..

طال انتظار شريف حتى غط في نوم عميق دون ان يشعر بنفسه أو بالوقت وإذا به يسمع جرس هاتفه..

رد شريف وبعد أن استمع لمن يحادثه قفز لتوه وارتدي ما رآه أمامه وهبط إلى سيارته وقادها بأسرع ما يكون.. وصل إلى المشفى بمنطقة سموحة سأل عن مايا أخبروه أنها في العناية المركزة.. فهي في حالة اعياء شديد لم يدرك شريف حقيقة ما حدث لمايا وما فعله بها «فرج»..

حاول ان يسترجع ذاكرته.. أنها اخبرته انها ذاهبة إلى الفيلا وبعدها إلى البيت لتبديل ملابسها.. والاستعداد للعشاء..

ماذا حدث لها يا تري.. ولماذا غرفة العناية المركزة.. حاول التقاط أي معلومات من الطاقم الطبي المشرف على علاجها لكن الجميع كانوا في حالة صمت تام..

مطقطقين رؤوسهم إلى الأرض بلا اجابات لأي من أسئلة شريف.. وبعد دقائق حضر الدكتور كامل شوقي والد مايا.. القى التحية على شريف وأبلغه أن مايا اخبرته بصداقتها لشريف.. وأنه كان يتنظر الفرصة المناسبة للقائه.. ولكن ليس هذا هو المهم الآن..

أخبرني يا شريف ماذا قال الاطباء عن مايا.. ماذا حدث لها ولماذا العناية المركزة.. هل اصطدمت سيارتها.. هل سقطت في العمل.. هل وقع عليها شيء من مواد البناء.. ماذا إذا؟..

مرت الساعات بطيئة.. وفي الأخير جلس إليهما أحد الأطباء في حجرة وطلب ألا يدخل عليهم أحدًا.. قص عليهما الحالة الطبية والصحية لمايا حيث تعرضت للاغتصاب بعنف.. فأصيبت بتهتك في أعضائها التناسلية مما سبب لها نزيف ومن الواضح انها نزفت بشدة لكن حمدًا لله أن فصيلة دمها متوفرة لدينا فاستطعنا نقل الدم اليها بما يعوض ما فقدته.. والآن هي أفضل لكن يجب أن تظل في العناية المركزة لمدة يومين على الأقل.. وربما نحتاج أن نستعين بالطب النفسي لمساعدتها للخروج مما سوف تكون عليه حيث عادة ما يمر أصحاب الحالات مثل مايا بأسوأ الحالات النفسية.

ساد صمت رهيب بعد أن فرغ الطبيب من حديثه.. صمت مرعب.. حزين.. مميت.. قاتل.. مؤلم للنفس البشرية.. صمت طاعنًا في الكرامة.. الكبرياء.. الإحساس بالظلم والقهر.. بأيدي مكتوفة.. ولا يستطيع العقل أن يحاول التخيل او التصور لما حدث لمايا.. أجهش الدكتور كامل في البكاء غير مصدق ما سمعه..

مايا.. بنتي أنا.. اغتصاب.. عامل بناء.. كيف ولماذا وماذا حدث في الدنيا الانسانية.. لا.. الحيوانية التي اصبح بعضنا غارقًا فيها..

كاد عقل شريف أن يتوقف عن العمل.. ظل صامتًا لفترة لا يصدق ماذا حدث.. من هو ذاك الحيوان الذي أقدم على مثل هذه الفعلة.. يؤذي «مايأتي".. كما كان يحب أن يناديها.. "يا مياتي" يهجم عليها.. اغتصاب.. أنا غير مصدق.. حاول شريف البكاء لكن الدموع رفضت الهطول وظلت حبيسة داخل عينيه إلا بعد أن يطمئن على مايا ويعرف من أقدم على هذه الفعلة.. سأقتله..

بعد دقائق حضر ضابطان من الشرطة.. حيث قامت المشفى بإبلاغ الشرطة.. طلب الضابط الحديث إليهما على وجه السرعة.. وانفرد بهما في إحدى الحجرات وتبادل معهما الحديث وألقي عليها العشرات من الأسئلة وبعدها توجه إلى قسم الشرطة وبدأ فريق من المباحث الجنائية والمباحث العامة في تولي هذه القضية والعمل على فك ملابسات ما حدث.. والقاء القبض على الجاني أو الجناة إذا كانوا أكثر من فرد واحد..

لم يجد شريف من يلجأ إليه.. إلا سيادة العميد.. أمسك بهاتفه وحادث أباه شارحًا كل شيء لأبيه.. استمع الأب وقام من مكانه منزعجًا ومفزوعًا وكل ما قاله لشريف.. ابقي مكانك.. سوف أكون بجوارك بعد ساعتين..

أغلق سيادة العميد الهاتف غير مصدق ما حدث وما سمعه من ابنه شريف.. وأخذ يتمتم «سترك يارب» اتصل بأحد السائقين ليأتي بسيارته ليقل

سيادة العميد إلى الاسكندرية حيث لم تكن أعصابه قادرة على التركيز في القيادة علي الطرق السريعة ولا حتى البطيئة..

أفاقت مايا من غيبتها.. وبدأت تتذكر ما حدث لها.. صرخت صراخًا متواصلًا بلا توقف حتى توقفت فجأة كأنها فارقت الحياة..

هرع إليها الطبيب والممرضات وتم حقنها في ذراعها بمسكن قوي للغاية.. نامت بعده على الفور..

تحرك فريق البحث والتحري.. والبحث الجنائي.. جمعوا معلومات كثيرة ووضعوا الخيوط بجوار بعضها فنسجت لهم تصورا لما قد يكون حدث داخل الفيلا وأن الجاني لابد وان يكون هو فرج مسئول تركيب الطوب الحجري خاصة أنهم بحثوا عنه في كل مكان لكنه تقريبًا اختفى.. لم يظهر في بيته وزوجته لا تعلم عنه شيئًا منذ ذلك اليوم المشئوم

***

سألت نورا والدتها عن سيادة العميد.. أين ربما يكون فهي تريد الحديث إليه بشأن ماجد وتفاصيل الاتفاق علي حفل الخطوبة.. أجابت الأم أنه أخبرها أنه ذاهب إلى الاسكندرية لزيارة شريف وقضاء بعض الوقت معه للاطمئنان على حالته ومعيشته و لم تكن الأم بالطبع تعلم أمر المكالمة التي تلقاها زوجها من ابنهما شريف.. وحالة الضياع والانكسار التي يعيشها شريف وهو يرى «مایاته» تضيع من بين يديه.. ومما زاد خوفه أن الطبيب أخبره أنه للأسف انه من الملاحظ ان كثير من تلك الحالات يقدمن على الانتحار والتخلص من الحياة.. فالطبيب النفسي هنا له الأثر والدور الأكبر في عودتها مرة أخرى للحياة..

بعد مرور أيام شعر شريف أن غياب مايا عن الوعي سيطول لأيام.. أسابيع ربما شهور.. لا أحد يعلم.. ولن يستطيع أن يقف مكتوف الأيدي.. وكلما تواصل مع الضباط المسئولين عن القضية يخبروه انهم ليسوا ساكتين ولا صامتين يتحركون في كل مكان للبحث عن المشتبه فيه الوحيد.. فرج..

يسمع شريف كل هذا ويزداد غيظًا ومقتًا.. يضرب كل شيء حوله بيديه.. ويركل كل ما في طريقه بأقدامه.. يريد تحطيم كل ما هو حوله..

كيف لمايا أن تعود الفراشة الجميلة التي تملأ الدنيا حولها بهجة وفرحة.. أنوثتها.. أناقتها.. ابتسامتها.. شعرها الناعم..

جاء هذا الوغد ليدمر كل ذلك ليسرق الفرحة ويطفئ البهجة والبراءة ويقتل الابتسامة.. كيف يجرؤ هذا اللعين أن يضع فقط أصبعه ليلمس الملاك الطاهر «مايا».. لابد من قتله ألف مرة.. تعذيبه آلاف الساعات.. كيف يجرؤ هذا الكافر بكل الشرائع..

بينما شريف يفكر ويكاد ان يفقد عقله بعدما فقد اعصابه.. حضر سيادة العميد.. ضم شريف طويلًا إلى صدره وربت على كتفيه ثم قام إلى د. كامل لمصافحته والتعرف عليه والأخذ بشدة على يديه مؤكدًا له أن مايا مثل نورا ابنته وأنه لن يغادر الإسكندرية حتى الاطمئنان عليها وعلى شريف وأن يبدآ حياتهما سويًا وأن يتخطيا ما حدث مهما طال فالزمن كفيل بتقديم الدواء والشفاء.. ألا وهو النسيان..

طرأت في عقل شريف بعض الأفكار التي تحولت بعد فترة قصيرة على خطة عمل في رأسه قرر أن ينتقم لمايا.. أن يبحث عن الجاني بنفسه ذلك اللعين «فرج» ويمثِّل به ويطلق عليه كلابًا جائعة تنهشه.. ويعرضه لتيار كهربائي قيمته ألف فولت.. أو يقذف به إلى قارعة الطريق من أعلى برج سكني فتتكسر كل قطعة عظام في جسده العفن إلى ملايين القطع الصغيرة فلا يصلح معها ترميم..

لقد تكون بداخلي بركان من الشر والغضب يريد أن يخرج وأن ينفجر.. ويقذف بكل حممه المحترقة الملتهبة لتحرق كل من تسبب في إيذاء لـ«مایاتي»..

***

استيقظت مروة في المساء بعدما خلدت لنوم عميق لساعات من فرط التعب جهزت العشاء لوالدها العم زكريا.. واختلقت له قصة.. إن علاء في المشفى نتيجة حادث سيارة وأن أمه ظلت ترجوها لفترة طويلة لمساعدتها في العناية به.. فاضطرت للقبول.. طبعًا العكس كان هو الصحيح.. فمروة هي من أخذت تحاول إقناع مدام وفاء أنها لن تقدر على الحضور والبقاء مع علاء طوال اليوم والليل بمفردها.. لذلك لابد أن تشاركهم وتساعدهم ويكون لها دور في العناية به وأنا قبلت بوردية الليل لأكون إلى جواره إذا ما احتاج إلى شيء.. وافق العم زكريا على مضض.. غير مقتنع.. ولكونه يحمل أخلاق ولاد البلد.. لم يستطع الرفض حتى لو كان رافضًا بعقله..

قضت مروة ليلتها الثانية بجوار علاء وقد تحسنت صحته وأصبح قادرًا على الكلام بلا عناء.. اقتربت منه أكثر.. وبدأ علاء يرى بعض الميزات فيها.. ولكن بين الحين والآخر كان يبدو على علاء نظرات مليئة بالقلق ويظل سارحًا بأفكاره لفترة طويلة.. فكم تمنت مروة أن تعلم فيما يفكر علاء.. لابد أن هناك ما يشغله ربما حزين على سيارته فهي سيارة فاخرة باهظة الثمن وانه كان يحبها كثيرًا.. هل السيارة أم أن هناك أمر آخر.. لابد أنه يخبئ سرًا أو العديد من الأسرار بداخله.. آه لو استطاعت أن تنتقل وتتجول بداخله وبين جنباته

لتطلع على ما يدور فيها وما وراء تلك النظرة الشاخصة.. فهو قليل الكلام.. ومهما سألته فمن المستحيل أن يبوح لها ويفصح عما بداخله.. فلم تكن العلاقة بينهما بهذه القوة والمتانة والثقة لدرجة البوح بالأسرار..

كلما سمع علاء الطرق على باب غرفته يهبط قلبه وضغط دمه إلى أدنى مستوياته.. حيث دائماً ما يعتقد أنه أحد أفراد الشرطة.. يقبض عليه ويضعه في السجن بسبب وصل الأمانة المزان بتوقيعه..

***

بدأ شريف أولي خطواته للبحث بنفسه عن الجاني «فرج» عرف من ضابط البوليس محل اقامة فرج.. قرر شريف أن يترك دراسته للتفرغ لهذه المهمة الغريبة عليه لكنها ليست غريبة على رجولته واسترداد كرامته وحق «مايا».. لكنه تراجع عن فكرة تركه للدراسة حيث لا يريد أن يشعر أحد بغيابه وانقطاعه عن حضور المحاضرات.. وتبدأ عملية البحث عنه وسؤاله عن اسباب انقطاعه عن الدراسة فهو يريد أن يخوض عملية البحث عن المجرم في سرية تامة وعدم معرفة أي شخص كي لا يصل الأمر إلى الشرطة فيوقع نفسه تحت طائلة القانون ويعطله كل هذا عن الوصول لهدفه ألا وهو الانتقام وعودة حق مايا بأن يرى الجاني مهشمًا.. محطمًا.. ذليلًا..

بالفعل ذهب شريف في الصباح لحضور المحاضرات.. كالعادة وحاول أن يكون هادئًا ويبدو عليه سمات الطيبة من مرح وتركيز في الدراسة.. وما أن حل المساء حتى انتقى شريف أسوأ ما في خزانة ملابسه من ملابس لا يبدو عليها المظهر الفاخر.. وأخذ معه بعض النقود.. وبحث في بعض أدراج مكتبه عن جهاز تليفون محمول قديم للغاية.. وجده.. ووضع فيه شريحة الهاتف وقام بشحنه بالطاقة الكهربائية وتوجه إلى كرموز حيث يقطن ذلك الـ«فرج»..

دار شريف حول منزل فرج دورة.. تفقد فيها البيت القديم المكون من ثلاثة طوابق ويسكن فرج في الطابق الأرضي.. ونافذة بيته تطل على الشارع الضيق.. نافذة منخفضة من السهل أن ترى من بداخل البيت وأنت تسير في الشارع إن لم يكن هناك ستائر تحجب الرؤية..

فكر شريف أن يسأل أحد أصحاب المحلات الملاصقة لمنزل فرج.. لكنه تراجع خوفًا من إثارة التساؤلات حوله.. فيكشف نفسه سريعًا ويفسد على نفسه المهمة بأكملها.. والموقف لا يحتمل المخاطرة..

توجه إلى أحد المحلات ليشتري كارت شحن دقائق لهاتفه القديم.. وحاول التحدث مع البائع لكن البائع كان مشغولًا بترتيب بضاعته في الرفوف وإضافة بضائع جديدة لها..

نظر حوله فوجد مقهى بلدي.. ذهب للجلوس عليها .. طلب كوبًا من الشاي وعندما جاء القهوجي بالشاي استوقفه شريف وقدم له سيجارة من علبة السجائر المحلية الصنع التي اشتراها منذ دقائق بعد شراءه كارت شحن المحمول.. سأله شريف إن كان يعرف له عمل.. فهو بلا عمل وعليه مسئوليات جمة وهو العائل الوحيد للأسرة وأنه ظل بلا عمل لمدة طويلة.. فسأله القهوجي عن طبيعة صنعته وما يجيده من عمل.. فقال له انه كان يعمل مساعدًا عند أسطى تركيب أحجار لكنه حصل على عقد عمل في إحدى الدول المجاورة وتركه بلا عمل فسأله القهوجي لِمَ لم تسافر معه فتستطيع أن تدخر بعض النقود.. لقد أصبح حال البلد هنا صعبًا للغاية ولا مجال للادخار.. فبالكاد الكل يعيش..

فسارع شريف بسؤاله قبل ان ينشغل مع بعض الزبائن الأخرين انه سمع ان هناك اسطى معلم في تركيب الأحجار اسمه الاسطى «فرج» يبحث عن مساعد فأين هو وكيف له أن يقابله..

نظر إليه القهوجي شذرًا وغابت بشاشة وجهه وأجاب لا أعرف وتركه وذهب لمساعدة أحد الزبائن..

شعر شريف أن ما هو مقدم عليه مخيف.. هو المجهول بعينه وأن مهمته ليست سهلة بل هي أشبه بالمستحيل..

مرت فترة وشريف مازال علي القهوة جالسًا غارقًا في التفكير.. غير عابئ بقذارة المكان ولا الإزعاج من حوله في كل مكان.. وبينما هو جالس.. جاء إليه القهوجي وأخبره أن هناك من يستطيع مساعدته فأخرج شريف سيجارة أخرى وناولها للقهوجي.. قائلًا.. من هو؟

أخذه القهوجي إلى أحد الطاولات.. والتي يجلس عليها رجل قبيح المظهر ارتعد شريف من شكله.. وتوقف الكلام في حلقه لدقائق.. واستمع إلى القهوجي الذي قام بتقديم الرجل إليه.. الاسطى «عاشور» خير من يساعدك على ايجاد عمل مساعد لأسطي تركيبات أحجار..

جلس شريف بجوار الاسطى عاشور وهو منهمك بتدخين الشيشة التي يخرج منها دخان كثيف كون مجموعة لا بأس بها من السحب الملوثة والمشبعة بكل انواع الكربون.. أول وثاني وربما ثالث ورابع إن وجد..

كان شريف يتلفت حوله متعجبًا من حقارة ودنو المكان.. وهذا «العاشور» وحده تركيبة غريبة.. شكله.. صوته.. مسكته للشيشة وباليد

الأخرى يمسك أداة معدنية يضغط بها على الفحم.. فيشتعل ويزداد احمرارا مع كل نفس..

توجه عاشور بالسؤال إلى شريف.. هل لديك خبرة كبيرة في تركيبات الأحجار.. كم متر تقوم بتركيبه في اليوم وهل لديك خبرة في تكسير وتهذيب الأحجار..

لم يعرف شريف بماذا يجيب لكنه آثر الحلول الوسطية.. فقال إنه مازال في مرحلة التعليم.. ولم يعمل بيده لكنه فقط يقوم بمناولة المعلم الحجارة وتحضير المؤن الاسمنتية.. آاااه ..هكذا زفر المعلم عاشور بصوت مثل نعيق الغربان.. صبي يعني.. «طب قوم فز من جنبي وامشي اقعد على الرصيف هناك.. بلا قلة أدب.. لغاية ما نشوف نشغلك عند مين» وأنا اللي كنت فاكره معلم وباحترمه.. هكذا أكمل عاشور وصلة توبيخ شريف..

مرت على شريف ساعتان وهو جالس على الرصيف المتسخ للغاية.. من يصدق ان شريف ابن العميد فؤاد أحد أبطال حرب أكتوبر والخبير العسكري.. و الطالب المجتهد الذي اقترب أن يكون ضابط بحري تجاري وبعد سنوات ربما يصير قبطانًا على أحد السفن الكبيرة.. يكون هذا حاله.. يرتدي ملابس رثة.. جالسًا على رصيف متسخ في حي شعبي لم يسبق له السير فيه من قبل ولا يعرف عن قاطنيه شيئًا ناظرًا ومنتظرًا إشارة من رجل أشبه بالمجرمين أو مرتادي السجون المعلم عاشور.. باحثًا عن مجرم آخر.. هدفه المنشود.. «فرج»..

لأجل مايا وثأرها كل شيء يهون.. لم ولن أكون رجلًا إلا إذا انتقمت لمايا مادامت الشرطة عاجزة وحركتها بطيئة إلى هذا الحد.. كان هاتف شريف مغلقًا فقد خشي ان يتحدث فيه فيسمعه أحد فيعلم انه ابن ناس من طريقة حديثه.. ولا يقنع أنه صبي..

كاد عقل العميد فؤاد أن يشت من طول بحثه عن شريف.. فكان يهاتفه ولكن لا يرد.. ولم يكن بالمنزل ولا يعلم أحد أين ذهب ولم يأتي إلى المشفى وهذه أول مرة يغيب فيها عن مايا خاصة فترة المساء..

أخذت الأفكار السوداء تدور في رأس العميد.. إلى أن فطن أنه لابد وأكيد أن شريف عمل حادثة بسيارته.. فهو دائمًا سارح مشتت التفكير منذ حادثة مايا وبالتالي تركيزه قليل وبذلك من السهل ان يرتطم بأي شيء في طريقه أو لا يكون لديه القدرة على تقدير المسافات والزمن الذي يحتاجه لكبس مكابح السيارة عند اللزوم..

***

رن صوت مايا عاليا مجلجلا في أركان الدور الثالث بالمشفى وتقريبًا سمعه كل من كان في المشفى.. صراخًا متواصلًا مع ركل بالأقدام وقذف الملاءات على الأرض مع قذف للوسادات في كل اتجاه..

ظل الصراخ يدوي في المكان مزلزلًا أرجائه إلى أن وصل الطبيب وخلفه اثنتان من التمريض وفعلوا كما فعل في السابق.. حقنة مخدرة تساعدها على النوم ونسيان ما في رأسها مؤقتًا..

سأل الدكتور كامل.. الطبيب المعالج عن الموقف فأجابه أن هذه الأمور تستغرق وقتًا وأن مايا تحتاج للصراخ وتفريغ ما بداخلها من شحنات نتيجة لتعرضها للقهر.. وبعد فترة تبدأ مرحلة العلاج النفسي مع أحد الأطباء المهرة في هذا المجال.. فملف حالتها بين يديه الآن وهو من يقوم بعمل خطة علاج لها وإن شاء الله تسير الأمور عل خير..

***

طال انتظار شريف حتى جاءته الإشارة من المعلم عاشور أن يأتي إليه.. فإذا به يعطيه بعض النقود أمرًا إياه أن يذهب إلى اقرب بائع ويشترى له علبتين من السجائر.. التقط شريف النقود وأغلق يده عليها بإحكام وسار لعدة خطوات ثم توقف فاتحًا يده ناظرًا إلى النقود غير مصدق ما يحدث له.. أنا أشتري سجاير لهذا الـ... كله يهون في سبيل راحة مايا ومعرفة الحقيقة والانتقام لها..

اشتري شريف السجاير وعاد مسرعًا وإذا بعاشور يخبره أن يذهب.. ويأتي غدًا في المساء ليكون وجد له عملًا مناسبًا.. ذهب شريف بعيدًا.. ضاع منه اليوم الأول في مهمته بلا حصوله على أي معلومات ولا أي استفادة..

هكذا ظن شريف الذي يعلم أن قربه من المعلم عاشور سيكون فيه مفاتيح فك لغز اختفاء فرج ومكان اختباؤه.. وهل كان فرج وحيدًا عندما قام بفعلته الحقيرة.. أم كان معه شركاء أخرين..

سار شريف لمسافة طويلة على قدميه حتى وصل إلى الشارع الرئيسي بعيدا عن الحي الشعبي حيث كانت سيارته مصفوفة ثم قام بفتح هاتفه.. فوجد وابل من الرسائل قادمًا إليه أغلبها من أبيه سيادة العميد.. معبرًا عن قلقه عليه وأنه اختفي بلا سبب..

حادث أبيه في الهاتف الذي طلب منه أنه يريد أن يراه حالًا..

لم يستطع شريف الذهاب لملاقاة أبيه بتلك الملابس ورائحة الشيشة الملتصقة بجسده وشعره وملابسه فبالقطع سوف يثير العشرات من الأسئلة برأس أبيه ولابد أن يعطيه تفسيرًا عن الحالة التي هو عليها..

لكن السؤال الأهم والأعظم الذي يخشى أن يسمعه هو «أين كنت كل هذا الوقت ولماذا هاتفك مغلق»؟ فهو لم يعتد الكذب وبالتحديد على أبيه.. فإما أن يظل صامتًا بلا إجابة وهذا معناه أن بداخله ما يخفيه وأيضًا لم يعتد أبيه منه على هذه المعاملة الغريبة.. أو أن يقول الحقيقة التي سوف تصدم أباه وتسبب له قلقًا فوق ما به من قلاقل..

كان شريف يفكر في كل هذه الأمور وهو يقود سيارته متجهًا إلى بيته لتبديل ملابسه بسرعة قبل الذهاب للقاء ابيه في المشفى حيث ترقد مايا حبيبته.. أه يا مايا.. ماذا حدث لك وماذا فعل بك هؤلاء الأوغاد.. اقسم لك يا مايا.. لن أتخلى عنك ولن أترك حقك يضيع مهما كلفني هذا.. من دراستي.. من روحي.. أي شيء فداء لك..

دخل شريف من باب العمارة الكبير حيث يسكن وإذا بحارس العمارة ينظر اليه متعجبًا ومانعًا له من الصعود قائلًا «على فين أنت رايح عند مين»؟ فإذا بشريف يقول له جرى أيه ياعم عبد التواب.. أنا شريف.. فتح عبد التواب عينياه وفاه معًا.. "الأستاذ شريف» اعذرني ظننتك واحدًا من هؤلاء المزعجين بتوع الإعلانات أو الدليفري.. معذرة.. لكن لماذا حضرتك تلبس هكذا.. هل أنت بخير.. صعد شريف بسرعة للتحمم وتبديل ملابسه..

***

علم ماجد من نورا بعد أن حادثها في الهاتف أن سيادة العميد غير متواجد بالقاهرة وأنه ذهب لبعض الوقت للإسكندرية للاطمئنان على شريف وعلى إقامته هناك.. وقضاء بعض الوقت للاستجمام على بحر شاطئ سيدي بشر حيث هو المكان المفضل لديه الذي جمع ذكريات طفولته عندما كان يحضر بصحبة أسرته إلى المصيف في كل عام بعد انتهاء الدراسة مباشرة وأنه يعشق الاسكندرية في فصل الشتاء.. هكذا أخبرت نورا ماجد وليس عليها إلا الانتظار لحين عودته ليجتمعوا جميعًا للاتفاق على جميع التفاصيل والخطوات لإتمام اجراءات الخطوبة وحفل الخطوبة..

وصل إلى مسامع الحاجة نعمات بعضًا من حديث ماجد ففهمت أن كل شيء مؤجل ومرهون بعودة سيادة العميد فإذا بها كعادتها وكالسهم المنطلق.. أنت يا أهبل مصدق ان سيادة العميد مسافر.. ده أكيد انت ماعجبتوش ومش مالي عينيه ويرد لابنته من هو أفضل منك.. عنده حق.. انت عندك ايه وحيلتك ايه غير شوية عضلات منفوخة وكلها بالأدوية اللي بتاخدها طوال الوقت.. بكرة عضلاتك دي تفش وترجع تاني شبه البرص ومافيش بنت تبصلك.. فرحان بنفسك على أيه.. ده أنت حتى أمك مش بتهتم بيها وسايبها كده ماعندهاش أكل ولا حد يخدمها ويشوف طلباتها.. مبقتش قادرة أقوم

أعمل حاجة زي زمان أنت صحيح ابن جاحد.. أي ولد تاني مكانك كان حس على دمه، واتحرك وخرج جب شوية أكل ومكسرات.. أخص عليك وخسارة تربيتي فيك..

استمع ماجد لموشح كل يوم تقريبا وغادر البيت ذاهبًا إلى النادي حيث تحول إلى كرة من الثلج منفوخة العضلات..

***

حل الظلام وبدأت مروة ورديتها لرعاية علاء الذي تماثل للشفاء كثيرًا واصبح قادرًا على القيام من سريره للحركة البسيطة بواسطة عكاز أو الاستناد على مروة والاعتماد عليها في كل شيء.. صارت مروة لعلاء أقرب المحيطين به عرف عنها كل شيء حيث قضوا ليالي طويلة في الحديث عن كل شيء..

تعلق بها وبدأ قلبه يدق لها.. فقد كانت لها اسلحة أنثوية موجهة تجاه مشاعره طوال الوقت ولم تهدأ ولا تهنأ حتى وقع بين حبال شباكها..

وفي أحد المرات صرح لأمه مدام وفاء بمدي اعجابه وامتنانه لمروة بما تقدمه له من خدمات ورعاية واهتمام وأنه يري فيها زوجة مناسبة وأنها اثبتت قدرتها على رعاية رجل في أصعب الظروف وأشدها فلا أصعب ولا أشد من الكسور والكدمات والرقاد في السرير لأيام طوال بلا حراك وغير ذلك فهي لها عقل راجح ومتحدثة جيدة.. وأنه يرغب في التقدم لخطبتها فور التخلص من الجبس المغلف قدمه واستعادة قدرته على السير مرة أخرى بدون مساعدة العكاز، فليس من الطبيعي أن يتقدم لخطبتها وهو ممسك بعكاز يستند عليه..

أبدت الأم موافقتها المبدئية حيث هي لا ترى مانعًا من ذلك لكنها في نفس الوقت تعتقد إنه ربما من الافضل الانتظار حتى تدخل بيتهم وتتعرف على والدها وبقية العائلة لتحدد مستواها.. وإن كانت تصلح اجتماعيًا أم لا..

شعر علاء بعدم الراحة في كلام الأم وأن هناك اتجاه أو احتمال للرفض إذا ما كانت عائلة مروة على غير المستوى الاجتماعي اللائق بهم وأن تكون أم أولاده في المستقبل وأباها يكون جدهم إلى آخر هذه الأمور..

***

قاد ماجد سيارته عبر بوابة النادي فإذا به يجد الأمن على البوابة يستوقفه ويخبره انه مطلوب في الإدارة لأمر هام.. فعليه التوجه للإدارة قبل بدء تمريناته وبالفعل توجه ماجد إلى هناك وهو غير مدرك ما هو في انتظاره من محرك سيغير مسار حياته تمامًا..

عقد أحد المسئولين في النادي جلسة معه اخبره فيها انه تم وقع اختيارهم عليه للسفر إلى كييف بأوكرانيا ضمن الفريق المشارك في بطولة رفع الأثقال المقامة كل عامين وأمامه أقل من ثلاثة اشهر للاستعداد للسفر.. وعليه أن يتمرن بقوة اكثر واكثر ويكون جاهزًا للمسابقة وأن مدربه على علم بكل هذه التفاصيل.. فليعقد جلسة عمل معه ويستمع لتعليماته جيدًا كي يستطيع ان يكون جاهزًا وتحقيق مركز متقدم وميدالية فنحن لن نشارك لمجرد المشاركة او الموقف التشريفي لكن نحن باحثون عن المنافسة على المراكز الأولى..

وعليه إحضار جواز سفره لقيام الإدارة بعمل اللازم من استخراج التأشيرات وغيره من الاجراءات الخاصة بالسفر..

خرج ماجد من مكتب الإداري بعد هذا اللقاء وسماعه النبأ السار أنه ضمن الفريق المسافر للمسابقة.. كاد يطير من الفرح.. أخيرًا حلمه بدأ يتحقق أن يكون في أهم عواصم العالم.. يكون محط انظار المحطات الرياضية

وكاميرات وعدسات العاملين في المجال الرياضي.. لكن أين النصف الثاني من حلمه أن يسافر بصحبة زوجته اللبقة الجميلة المتحدثة لعدة لغات..

أول ما خطر بباله ان يحادث نورا ويخطرها بهذا الخبر السار.. حادثها وأخبرها أنه يحمل انباء طيبة للغاية ألحت عليه لمعرفة الأنباء السارة لكنه صمم على أن تحضر لملاقاته في النادي فيخبرها وجهًا لوجه..

وبالفعل بعد أقل من ساعة كانت نورا داخل أسوار النادي لملاقاة ماجد وما أن التقيا سألته عن الخبر السار فقص عليها ما حدث بينه وبين اداري النادي واخبرها انه سيتحدث معهم كي يمنحوه الموافقة لاصطحاب زوجته..

ماذا.. زوجته.. تمتمت نورا كيف هذا.. انت تقول لي ان السفر في غضون ثلاثة أشهر.. فكيف نتمم الخطوبة ومن بعدها الزفاف في اقل من ثلاثة أشهر.. انا لم ألتقِ بوالدي منذ عدة أيام.. اعتقد أن الأمر صعب للغاية والوقت غير كافي تمامًا..

ألح ماجد إلحاحًا شديدا شارحا كم هو يحبها ويعشقها ويريدها إلى جواره وأنها أول فرصة يتحصل عليها ويجب ان تكون معه في كل خطواته وتعطيه من الدعم والدعاء على قدر استطاعتها فهو في اشد الاحتياج اليها هي وحدها.. احتياجه إلى نورا.. نورا وفقط..

جلسا ماجد ونورا بعد ان وافقت ان تلك الثلاثة اشهر هي كل ما تملك من الوقت لإتمام كل شيء وإقناع أسرتها بذلك مع إنها ترى أن هذا درب من الجنون.. جلسا سويًا يبحثان كل الامور ويتناقشان في جميع التفاصيل بداية من ترتيب لحفل خطوبة صغير «على الضيق» كما يقولون إلى الزفاف ثم السفر إلى كييف بأوكرانيا..

***

جلس سيادة العميد مع شريف بعد ان تفحصه ونظر إليه طويلًا.. ثم بدأ حديثه لشريف.. أنت مخبي عليا ايه؟.. عرفت حاجة عن حالة مايا ومش قادر تقول.. قولي يا بني صارحني.. أم علمت أخبار من الشرطة.. لقد رأيتك بالأمس تتحدث إلى أحد الضباط في الردهة.. هل تعلم شيء لا نعلمه ارجوك صارحني يا ابني فالموقف لا يحتمل أسرارًا.. يجب أن نكون فريقًا واحدًا وقلبنا على قلب رجل واحد..

أمام إصرار وإلحاح الأب .. وحب شريف واحترامه لأبيه وعدم قدرته على مخالفة ضميره ومحو سنوات التربية المستقيمة التي تربي عليها شريف عن أبيه، لم يكن أمامه إلا إخبار والده بما نوى عليه وفعله قبل الحضور إليه وأنه على استعداد ان يتحمل ويتقبل ثورة الأب وتأنيبه.. لكنه لن يرجع عما هو فيه مهما كانت النتائج.. لن يفرط في مايا ولن يفرط في حقها مهما كان الثمن.. لكن المفاجأة أن وجد أباه وفي عينيه الدموع يضم شريف إلى صدره ويحتضنه بشدة وقوة لدرجة العنف ويربت على كتفيه قائلًا:

أنا فخور بك يا شريف هكذا يتصرف الرجال.. فلا نستحق أن ينادينا البعض بالرجال إن لم نتصرف مثلهم.. انت تصرفت وكأنك تقرأ أفكاري.. أنا كنت منتظر يومان آخران إن لم ينجح رجال البحث الجنائي في الوصول

والقبض على هذا الوغد «فرج» فكنت عازمًا على التحرك أنا وأنت بمفردنا لإراحة ضمائرنا والحصول على حق مايا ووضع الأمور في نصابها وتذكر يا شريف أنه لا يصح إلا الصحيح..

والآن يا شريف هناك أمرين لابد من الخوض فيهما.. أولهما.. أحكي وقص على وبالتفاصيل الكاملة كيف سارت مهمتك اليوم.. كما إنه يجب أن نرتب أمورنا ومسارات تحركنا بعناية.. فيا ابني التخطيط لأي أمر لا يقل أهمية عن تنفيذ المهمة نفسها..

قاطعه شريف قائلًا: إذن يا أبي أنت توافقني الرأي في ما أنا مقدم عليه مهما كانت المخاطر المحاطة به التي ربما ممكن أن تودي بحياتي.. لكن لا يهمني ان أموت رجلًا بدلًا من أعيش جبانًا..

سرح الأب بخياله وكأنه سافر عبر الزمن عشرات من السنين للوراء في الماضي في سبعينيات القرن الماضي تحديدا قبل انطلاق حرب أكتوبر.. كانت هناك جلسة نقاش عامة في مركز قيادة الجيش الثاني الميداني وكنت واحدًا ممن حضروا تلك الجلسة.. كانت الاقتراحات والآراء مختلفة على موعد الحرب وأفضل الطرق لبدايتها أتكون عبر الطيران أولًا أم الزوارق العابرة لقناة السويس أولًا.. أم ماذا وتوقيت الحرب وكم من المدة نحتاج لنتم استعدادنا..

اذكر كلمة قائد الجيش الثاني.. كلمة غير مكتوبة ولكن نابعة من القلب حيث قال إن هناك من اغتصب أرضنا والاغتصاب معناه هتك عرض والعرض كرامة.. فنحن الآن بلا كرامة.. كرامتنا انتزعت وعلينا كرجال أن

نستعيدها وزيادة.. وأن نرد لهم هتك العرض واغتصاب كرامتهم فما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة مهما كانت التكلفة والتضحيات..

فإن متنا جميعًا في سبيل هذا الهدف فالله سبحانه وتعالي وعدنا بالجنة وإن نجحنا بنصر وتوفيق من الله.. فتعود إلينا الأرض ونغسل العار وهتك العرض ونتركهم في عارهم وويلهم هم المعتدون والله يقول في كتابه الكريم «ومن اعتدى فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم» صدق الله العظيم....

هذه يا شريف كانت الكلمات التي حركت رجولتنا ونخوتنا وجعلتنا ننحت الأرض ونأكل الزلط كما يقولون.. والنصر كان حليفنا.. فيا بني أنت على حق أنا لا أحبذ أن تحصل على حقك بيدك فنحن في دولة قانون وتوجد شرطة وقضاء لكن إذا لم تتحرك الشرطة، وتنجح في القبض على الجاني الفاعل في قضية مثل هذه.. فلابد أن نتحرك نحن.. حسنًا فعلت وأنا معك.. لكن دعنا نخطط بشكل سليم وأنا اعطيك كل خبراتي في إنجاز تلك المهمة بنجاح مع الاستعانة بالوسائل العلمية..

قال شريف.. وما الأمر الآخر يا أبي.. لقد قلت هناك أمرين..

قال الأب.. الدكتور كمال في حالة صعبة لما حدث مع ابنته أنا أقترح أن نتقدم له بطلب يد مايا.. أعرف أن الظروف سيئة للغاية لكن نحن نريد أن نتصرف بشكل رسمي وتصير خطيبها رسميًا.. هل توافق يا شريف أن تكون مايا زوجتك رغم كل ما حدث وما مرت به..

تنهد شريف فرحًا قائلًا: بالتأكيد.. أنت أعظم أب وأحن أب في الكون..

أجابه الأب.. كنت أعلم أنك رجل بمعني الكلمة، ولن تتخلى عنها مهما كانت الظروف، والآن هيا نبدأ تخطيطنا فقط أعطني عشرة دقائق أقوم فيها بإجراء بعض المكالمات بعدها نبدأ حديثنا مع الدكتور كامل لطلب يد مايا..

فرح د. كامل بما سمعه من العميد فؤاد وابنه شريف.. لكنها كانت فرحة مغتصبة.. فرحة مقتولة.. غير مكتملة.. فرحة ستر ولئم جرح وترميم ما هو مكسور وليست فرحة بداية عهد جميل وميلاد أسرة سعيدة يحيطها الحب، والود، والنقاء، والطهارة، والبراءة.. كيف لمايا أن تكون عروسًا بهذه الحالة؟.. فهي غائبة عن الوعي وإذا أفاقت فهي في صراخ دائم.. وحذرني الأطباء من محاولة اقدامها على التخلص من حياتها .. الانتحار.. ياللهول.. ما الذي يحدث.. من اطفأ نور حياتنا من اقتلع الزهرة الجميلة من الأرض وحرمها الحياة؟!..

وافق لطلب شريف وشد علي يده معقبًا أنه كان يتمنى كأي أب أن يسمع طلبه هذا في الظروف الطبيعية والعادية.. أنت رجل ابن رجل يا شريف.. لقد زادت مكانتك واحترامي لك آلاف المرات.. وتأكد أني سأكون لك الأب الثاني ولن اترككما ما حييت وسأسخر كل امكانياتي لإسعادكما..

دخل شريف على مايا الحجرة وهي نائمة.. اقترب منها.. أمسك بيدها بين كفيه ثم وضعها على وجنته قائلًا لها وهو يقبل يدها والدموع ملء عينيه.. أنا أتقدمتلك يا مايا.. خطبتك من باباك.. خطوة كنت أحلم بها منذ عرفتك والتقيت بك في القطار.. أتذكرين ذلك اليوم.. يوم القطار أنا اعتبره يوم ميلادي الحقيقي.. يوم وقعت عيناي عليك صدقت وأمنت بالحب من أول

نظرة بعد أن كنت اعتبره شيئًا يخص كتاب السينما وحسب.. أحببتك حبًا ليس كأي حب.. وعشقتك.. عشقت روحك قبل جسدك ليس كأي عشق.. فأنا أهيم بك وفيك يا مايا..

خطبتك.. وأنا أعلم فرحتك بهذا الخبر.. لن أسمح أن تُكسر فرحتنا.. أعاهدك واقسم لك ألا أترك حقك مهما كلفني الأمر.. أنتِ مسئولة مني وفي حمايتي وأنا المسئول عما حدث لك.. كان يجب أن أصحبك في كل مكان.. افيقي يا مايا.. تمسكي بالأمل.. عيشي من أجلنا.. نكمل ما بدأناه.. أنا معك بجوارك وسأظل دائمًا..

أمامنا العمر.. نبني أسرتنا الصغيرة وتنجبين لي بنتًا جميلة تأخذ عنك ملامح وجهك.. رقتك.. أخلاقك.. امانتك.. التزامك.. افيقي من أجلي.. من أجلك.. أنا في آخر عام في الأكاديمية، ومقبل على التخرج نبدأ عهدا جديدًا.. أبي و أباك في الخارج يقدمان لنا كل العون والدعم.. أصبح لي أبوين وأنت كذلك.. كل أحباءنا حولنا ورضا الله عز وجل هو أساس حياتنا.. ادعو الله أن تمر محنتنا على خير لنبدأ عهدًا جديدًا.. أكون لك الزوج والحبيب.. الصديق.. الرفيق.. الأب.. الأخ.

مايا أرجو ان تتماسكي.. عودي.. الحياة أمامنا.. ورحمة الله عز وجل تطلنا... فإذا بشريف يشعر بحركة من أصابع يدها وهي ملقاة بين يديه.. نظر اليها إلى عينيها.. انها تتحرك.. انها تشعر به.. مال علي وجهها وطبع قبلة على جبينها..

في هذه الاثناء أجرى سيادة العميد مكالمة لأحد أصدقائه القدامى الذي كان يشغل منصب في المخابرات الحربية أبان حرب اكتوبر وطلب منه سيادة العميد مقابلته في مكان عام في أمر هام.. فأجابه أنه موجود بالإسكندرية للأسف وعليه أن ينتظر حتى يعود إلى القاهرة بعد ايام.. فرح العميد قائلًا ولماذا للأسف أنا أيضًا في الإسكندرية.. اتفقا على اللقاء في الصباح الباكر..

***

جلست نورا إلى والدتها تخبرها بما كان لها مع ماجد وأنهما اتفقا ان يقوما بتجهيز كل شيء في غضون ثلاثة أشهر.. استمعت اليها الأم باهتمام ولم تبد أي اعتراض.. قبلتها قبلات كثيرة وقالت لها.. أما بخصوص التفاصيل فكل هذه الأمور كما تعلمين في يد رجل واحد فقط.. أباكِ سيادة العميد.. فأجابت نورا إنه في الإسكندرية ولا تعلم متي يحضر والوقت يمر سريعًا.. فقالت إنه حادثها هاتفيا وطمأنها عليها واطمئن عليهم..

التقطت نورا هاتفها وحادثت أباها.. وشرحت له عبر الهاتف ملخصا لما دار مع ماجد والثلاثة شهور الفاصلة على اتمام زفافها فكان رد الأب.. أنه صعب أن يتناقشا في أمر كهذا عبر الهاتف وفي الوقت ذاته هو لا يعلم بموعد عودته إلى القاهرة تحديدًا.. فمن الأفضل أن تستقل نورا القطار إلى الاسكندرية وينتظرها والدها في محطة سيدي جابر وتقيم معهما وشريف في شقته لحين إنهاء مهمته والعودة بها إلى القاهرة..

سمعت الأم ما دار من حوار مع الأب اخذت السماعة من نورا قائلة لزوجها.. وهل تتركوني هنا وحدي أنا أيضًا آتية مع نورا فنكون كلنا في مكان واحد مع بعض..

وافق الأب على الفور وبعد أن اغلق هاتفه اتجه إلى غرفة مايا حيث شريف بالداخل.. استدعاه حضر إليه شريف والدموع ملء عيناه.. ضمه أباه إلى صدره وقال له امسح وجهك.. اريدك..

شرح الأب لشريف ما قالته له نورا من قرب ميعاد خطوبتها وزفافها وكذلك قدومها وأمه سويًا إلى الاسكندرية للإقامة معهما في شقته..

استحسن شريف الفكرة فقال هذه فكرة جيدة كي نطمئن عليهما الأفضل من المكالمات الهاتفية.. فقال الأب لكن يا شريف يجب أن نكون أنا وأنت حذرين من موضوع المهمة الخاصة التي نقوم بها فلا يجب أن تعرف عنها نورا أو مامتك.. عدني بذلك مهما كانت الأسباب.. سوف نعلمهم فقط بأمر مايا وخطوبتك لها.. وربما كان لهما دور في زيارتها والتخفيف عنها فزيارة الأخت والأم لها أهميتها ونورا سوف تصبح أختًا لمايا وكذلك مامتك سوف تصبح بمثابة الأم لها فهي يا ابني تحتاج لنا جميعًا وهذا أمر جيد أن يعوضا غيابك أن انشغلت فيما نرتب إليه من مهمة الإيقاع بهذا الوغد.. أنا بدأت التحرك انتظر مني التعليمات يا شريف بعد محاضراتك الصباحية وأعلم إنه سوف يكون أمامنا يومًا شاقا وطويل..

في الصباح تقابل العميدان.. العميد فؤاد والعميد وجدي الأسيوطي الضابط السابق بالمخابرات الحربية شرح العميد فؤاد للعميد الاسيوطي ما حدث لمايا بسرعة واستحضر فيه نخوة الرجولة وجميع المواقف البطولية التي مرا بها أبان حرب استعادة الكرامة من المغتصب المعتدي والذي تجرع من نفس كأس المرار وأكثر..

سأل العميد فؤاد صديقه ما يقترح وماذا عساهما ان يفعلا..

استمع العميد الأسيوطي جيدًا ثم بدأ في شرح ما ينبغي عليهما عمله.. فقال أولًا.. نحن نحتاج لمساعدة.. لدي مجندان لكن على درجة عالية من الكفاءة فمن الحكمة الاستعانة بهما في البحث والتحري وجمع المعلومات ومراقبة منزل فرج على مدار الساعة ومراقبة المقهى الذي يرتاده جميع العمال في البناء وغيره.. أما المحور الثاني هو مراقبة الاسطي عاشور شخصيًا بالصوت والصورة..

فقال العميد فؤاد كيف هذا.. فقال العميد الأسيوطي قابلني هنا بعد ساعتين وسأشرح لك كل شيء، ومن الأفضل أن يكون شريف معك لنحدد الأدوار.. ونبدأ العمل فالوقت في مثل هذه الأمور له قيمة أغلي من الذهب..

***

عقدت مدام وفاء جلسة مطولة مع مروة في كافيتريا المشفى واطلعتها على رغبة علاء في التقدم لخطبتها وأن عليها تحديد موعدًا مع والدها واعطاؤهم العنوان للحضور.. كانت وردية الأم النهارية انتهت وسوف تبدأ في أعقابها وردية مروة الليلية.. فبينما هي جالسة تتحدث إلى علاء كعادتها.. طرق الباب.. فتحت فإذا هما نفس الرجلين الذين حضرا لعلاء في اليوم الثاني للحادث.. فقالت تفضلا.. ثم التفتت لعلاء صائحة اصدقاءك يا علاء.. دخل الرجلان واذا بعلاء تتغير ملامحه ويرتبك ويتلعثم في الكلام ولا يدري ماذا يقول.. فوجه كلامه لمروة مستأذنا إياها إن كانت تستطيع إحضار شاي وكيك من الكافيتريا للضيوف..

تعجبت مروة فلم يكن أمامها إلا أن تقول حاضر.. أهلًا وسهلًا..

سارت ببطء وهي تنظر إلى الرجلان اللذين لا يشبهان علاء في أي شيء لا الشكل ولا الملبس ولا الرائحة ولا حتى طريقة الكلام..

شعرت مروة أن هناك أمر غير طبيعي وتحديدًا بعدما شاهدت رد فعل علاء عند رؤيتهما والقلق والخوف الذي ارتسم على وجهه فقد صارت مروة تعرف علاء جيدًا وردود افعاله في كل شيء من طول الساعات التي قضياها سويا..

ليست هذه طريقة لقاء الأصدقاء إطلاقًا.. لابد ان في الأمر شيء.. وشيء غير مريح.. فتحت مروة باب الغرفة للخروج لإحضار الشاي والكيك،

وأغلقت الباب خلفها وتعمدت ألا تغلقه غلقًا جيدًا.. تركت فيه فتحة صغيرة ووقفت وراء الباب ممسكة بهاتفها تنظر إليه امام من يمر من امام الغرفة كأنها ترسل رسالة لكن في الحقيقة هي أرادت أن تتنصت وتستمع لما يدور بالداخل بين علاء وهذين الضيفين الثقيلين..

نظر إليهما علاء بغضب قائلًا.. ماذا أتى بكما هنا.. ألم تحصلا على ما تريدان.. سوف أبلغ الشرطة ان حضرتما إلى هنا مرة أخرى او أي مكان أتواجد به.. فرد أحدهم اهدأ يا علاء.. نحن هنا للخير.. قاطعه علاء ..أي خير يأتي من وراءكما أنا ألعن ذلك اليوم الذي رأيت فيه المحروسة أختكما..

اتسعت عينا مروة عندما سمعت بأمر الأخت.. الأمر فيه امرأة أخرى.. يا ويلتي.. أنا اكره المنافسة لأني دائمًا الخاسرة..

استطرد الرجل في حديثه وطلب من علاء يعطيه اذنه ويسمع جيدًا لما سيقوله.. سأل الرجل علاء.. متى سوف تغادر المشفى ومتى تستطيع السير على قدميك وقيادة سيارتك.. أجاب علاء انه ربما الاسبوع القادم يقومون بفك الجبس ويبدأ العلاج الطبيعي والسير على قدميه.. فرد الرجل قائلًا: إذا موعدنا الأسبوع القادم لأشرح لك طبيعة العمل الذي سوف يرفعك إلى السماء العليا وتكون من أصحاب الملايين.. لن تندم أبدًا وسوف تشكرني على اختياري لك لمشاركتنا في اعمالنا..

حاول علاء أن يستفهم منه عن طبيعة هذا العمل وأي عمل هذا الذي يدر كل تلك الأموال ومن شخصين يبدو عليهما الاجرام مثلهما..

ابتعدت مروة عن الباب مسرعة واتجهت إلى الكافتيريا بسرعة عندما شعرت ان الرجلان بهما بالوقوف ومغادرة الغرفة.. عادت مروة بعدما

أحضرت كوبين من الشاي وبعض قطع الكيك وثبتت أعينها على وجه علاء تتفحص ما به وتأثير كلام الرجلين عليه فتأكد شعورها أن هناك شيء غامض وأن هذا الرجلان لا يصلحان ان يكونا من أصدقائه.. وموضوع العمل هذا أكيد فيه شيء مخالف للقانون.. ومن هي تلك الفتاة التي ذكرها علاء..

نظرت اليه وسألته.. أصحيح يا علاء أن هذان الرجلين أصدقائك؟..

صمت علاء وقد عقد العزم أن يبوح بسره لمروة ويحكي لها حقيقة الأمر خاصة إنه يريد قبل أن يتزوجها أن تعرف عنه كل شيء..

وبالفعل قص عليها حكايته منذ ان تقابل وهذه الفتاة.. وقصته مع غضب أبيه عليه وطلبه المساعدة من شريف ورفض شريف لمساندته بحجة المثل والمبادئ ثم ظهور هذان الرجلان اللذان تسببا في انقلاب سيارته ووجوده في المشفى والباقي انت تعرفينه..

ارتاحت مروة بعد سماعه لأنه قرر أن يعطيها من الثقة الكثير فأجابته: تعلم يا علاء ان الحسنة الوحيدة في هذا المجرمين القبيحي المنظر إنهما المتسببان في قربنا من بعض.. فلولا مطاردتهما لك وانقلاب سيارتك ما أتيت إلى المشفى وما قابلتك ثانية وما قضيت معك كل هذه الليالي وحدنا نتحدث عن كل شيء حتى صرت إلى أقرب من نفسي.. وطرق حبك باب قلبي.. لدرجة أنني صرت أتمنى ألا تتماثل للشفاء كي لا أفقد لقياك كل ليلة.

***

بعد ساعتين عاد العميد الاسيوطي للقاء العميد فؤاد وابنه شريف وكان يقود سيارة تخص إحدى المطاعم والمستعملة في الديليفري.. وبصحبته شابين يبدو عليهما القوة والذكاء..

عقد الخمسة رجال اجتماعًا مطولًا في مكان منزوي بعيدًا عن الناس في أحد المقاهي.. شرح العميد الاسيوطي دور كل منهم.. شريف عليه التقرب من الاسطي عاشور وإكمال دوره بالبحث عن عمل كمساعد لأسطي تركيب الأحجار والزيادة على دورك هو إنك سوف تعطي هذه للأسطي عاشور على سبيل الهدية أو الرشوة لإيجاد عمل لك.. وأخرج العميد الأسيوطي من حقيبة في يديه علبة حفظ السجائر الفرط.. معدنية فضية اللون.. فتحها أمامهم ثم ضغط على زر فأخرجت لهبًا من ثقب صغير.. إنها ولاعة جانبية فقال لهم هذه علبة من السجائر تباع في أماكن كثيرة وبها ولاعتها.. أهديها له يا شريف وأخبره إنها تليق به وضع بها بعض السجائر.. وألمح له انها هدية تشجيعية لمساعدته على إيجاد عمل..

نظر شريف للعلبة متعجبًا وقال.. ولما كل هذا يا سيادة العميد.. أنا أرى إنه من الافضل أن أعطيه ثمن هذه العلبة فهؤلاء الناس يفضلون النقود السائلة علي الهدايا..

ابتسم العميد الأسيوطي وأجابه.. إنها ليست علبة سجائر فحسب إنها جهاز حديث تستعمله بعض أجهزة المخابرات إنه جهاز للتسجيل الصوتي لتسجيل جميع أحاديثه فنعرف من يقابل، وماذا يقول وايضا هذه العلبة بها (G.P.S) أي إنه جهاز تتبع فنعرف منه أين يتواجد عاشور بالتحديد وهذا أمر مهم للغاية.. فتح شريف عينيه متعجبا لما سمعه وأبدى اعتذاره لتسرعه في نقد اقتراح الجهاز.. وشعر أن العميد الأسيوطي ليس شخصية عادية ولكن يعتمد على العلم والوسائل الحديثة في القيام بالمهام.

وأخذ العميد الاسيوطي في شرح باقي أدوار كل فرد حيث أن العميد فؤاد سوف يقوم بقيادة السيارة التي عليها اسم أحد المطاعم والخاصة بالديليفري حيث أخبره إنها مزودة بجهاز استقبال صوتي لسماع حديث عاشور وأيضًا الخرائط المتصلة بعلبة السجائر هذه لتحديد موقع عاشور..

أما الشابان الأخران «باسم .. رفعت» فأحدهما سوف يتنكر في صورة بائع جائل والآخر سيكون في صورة مندوبي المبيعات الحاملين لحقيبة بها بعض البضائع المقلدة فيطوفون على أصحاب المتاجر، ومرتادي المقاهي ليرقب ما يحدث ويكون له حرية الحركة في كل الأماكن بما لا يثير استغراب البعض

***

استيقظت مايا لأول مرة بدون كوابيس.. فتحت عينيها بلا صراخ.. كانت عيناها ونظراتها مثبتة إلى السقف ودموع تنهمر من عيناها بلا توقف..

دخلت عليها إحدى الممرضات فوجدتها مستيقظة بعيون دامعة مفتوحة أسرعت الذهاب إلى الطبيب ..عندما حضر فرح لتوقف الصراخ وطلب على الفور إبلاغ الطبيب النفسي الموكل اليه حالتها وحضوره على الفور ليتولى الحديث معها وإكمال علاجها النفسي..

***

أعدت نورا ووالدتها مدام كريمة حقائب صغيرة تحوي الأغراض المهمة لقضاء بضعة أيام في الإسكندرية.. توجها إلى محطة رمسيس ليستقلا القطار المتجه إلى الاسكندرية وعلي الجانب الأخر في محطة سيدي جابر كان العميد فؤاد في انتظارهما.. استقلا سيارة اجرة إلى طريق منزل شريف.. وفي الطريق حكي لهما العميد بشكل سريع قصة شريف مع مايا وما حدث بعدها.. انهمرت دموع نورا وهي تسمع ما حدث لمايا وخاصة إنها خريجة كلية الفنون الجميلة مثلها.. بكت معها الأم وازداد خوفها علي نورا لما تخيلت كم عانت مايا.. شعرا سويًا بالحب تجاه مايا قبل أن يلتقيا وكأنهما يعرفانها منذ زمن..

طلبت نورا أن يذهبا إلى المشفى لزيارة مايا قبل الوصول لمنزل شريف.. استحسن الأب الفكرة وطلب من السائق أن يحول وجهته إلى عنوان المشفى.. وهناك زارت نورا ومدام كريمة مايا.. كانت مايا جالسة.. صامتة.. باكية بلا صوت ولا حراك.. وقع حب مايا في قلب نورا وتذكرت كم تمنت أن يكون لها أختًا بنتًا منذ طفولتها فشعرت عندما رأت مايا إنها كالأخت التي تمنتها منذ الطفولة.. ولم يختلف إحساس الأم كثيرًا تجاه مايا فقد شعرت بالحب والارتياح لها بجانب كل ما في الدنيا من الشعور بالإشفاق عليها وما مرت به..

ظلا معها لساعات وهما لا يعلمان أن كانت مايا تسمعهما أم لا.. هل تشعر بوجودهما.. هل تراهما.. هل تعرف من هما؟

جاء الطبيب النفسي ليقضي بعض الوقت مع مايا للحديث معها، ومحاولة إعادتها مرة أخرى للقدرة على الحديث والبعد عن الانعزال..

***

حل المساء وبدأ شريف مهمته بأن ارتدي نفس ملابسه القديمة واستعمال نفس الهاتف القديم واصطحب معه علبة السجائر المعدنية التي بها ولاعة واشترى علبتان من السجائر من النوع الذي يدخنه الاسطي عاشور وتوجه إلى كرموز.. صف سيارته في شارع رئيسي بعيدًا عن المقهى وسار على قدميه إلى ان وصل إلى المقهى.. وجد الاسطي عاشور يجلس على نفس الطاولة كأنها مخصصة له وحدة ولا يستطيع إنسان آخر كائن من كان أن يجلس عليها.. اقترب منه ألقى عليه السلام وأخبره انه حضر كما طلب منه.. عله وفق في إيجاد عمل له مع أحد معارفه الاسطوات.. ثم مد يده بعلبة السجائر المعدنية.. نظر اليها الاسطي عاشور قائلًا ما هذه؟ فتحها شريف أمامه.. فكانت ممتلئة بالسجائر المتراصة جنبا إلى جنب ويغلق عليهم قطعة من الحديد تمنعهم من السقوط عند فتح العلبة.. ثم ضغط على زر جانبي فانطلق اللهب الصغير من فتحة صغيرة شارحًا ان بها ولاعة.. اشتريتها لك خصيصًا كي تساعدني في إيجاد عمل.. هي هدية لك..

فرح عاشور وابتسم لأول مرة .. أخذها وقال لشريف هدية مقبولة.. ترك الشيشة من يده وأخذ سيجارة من العلبة الجديدة ثم أغلقها وضغط على

الزر الجانبي وأشعل السيجارة من الولاعة.. ابتسم ابتسامة أخرى أوسع من الابتسامة السابقة..

كان لوقع هدية شريف تأثير السحر في تغيير الاسطي عاشور معاملته لشريف.. سار شريف خطوات تجاه الرصيف كي يجلس عليه كما كان بالأمس.. واذا بعاشور يطلب منه الجلوس بجانبه على احد المقاعد ثم سأله عن اسمه فأجابه شريف ان اسمه «رمضان»..

فقال له عاشور.. شوف ياواد يا رمضان كان فيه اسطي معانا هنا محتاج صبي لكنه ليس موجودًا الآن.. اعطني مهلة للغد لأجد لك عمل وأكيد سيكون لك مكان مع احد الاسطوات في الغد.. المهم انك تطيل رقبتي.. عايز اسمع إنك بتاع شغل وليس لعب ولهو وإضاعة الوقت وكفى.. اذهب الآن ومر على في الغد تجد عندي اخبارًا سارة..

وشكرًا مرة تانية على الهدية الجميلة دي.. حا اجنن بيها كل الاسطوات.. فطالما كنت أشاهد علب مثل هذه مع الممثلين في الأفلام السينمائية فقط وكمان ملأتها بالسجائر.. انت بتفهم ولماح ياواد يا رمضان..

تمت أول وأهم خطوة بنجاح.. سار شريف في طرقات متعرجة كثيرة إلى ان وصل إلى سيارته.. ارسل رسالة إلى العميد الاسيوطي إنه تم إيصال الأمانة إلى المعلم عين «ع»..

تلقى العميد الأسيوطي الرسالة وفهم أن عاشور أخذ العلبة ويمكن من الآن سماع كل ما يدور بينه وأي شخص آخر وأيضًا تحديد موقعه على الخريطة..

***

جلست مروة إلى اباها بعد تناول الغداء وبعدها صنعت له الشاي بالنعناع تحادثه أن هناك عريسًا يرغب في التقدم إليه لطلب يدها..

فسألها .. هل أعرفه.. أجابت نعم.. انه علاء الذي صدمني بالسيارة والذي ازوره مع والدته كل يوم.. ثم طلبت من أباها قبل تحديد موعد لزيارة أهله أن يحاول إصلاح البيت من الداخل فالحوائط تحتاج لأعمال دهان وقطع الاثاث تبدو بمظهر غير لائق وتحتاج إلى تجديد وكذلك الستائر لابد التخلص منها وعمل ستائر جديدة.. وكذلك أعمال السباكة في المطبخ والحمام تحتاج لعناية كثيرة..

استمع لها الأب وهز رأسه وقال.. منين.. لقد ادخرت مبلغًا ليوم كهذا.. يوم زواجك.. مصاريف الزواج ولا يمكن ان انفقها لإصلاح هذا البيت.. هذه النقود لشراء مستلزمات بيتك أنت يا مروة وليس هذا البيت.. بيتك هو الأهم..

أنا هنا متأقلم مع ما لدىّ وراضي وسعيد بكل شيء حولي وادعو الله دائما ان يديم هذا النعيم عليّ.. نظرت اليه مروة قائلة.. «نعيم».. تقول «نعيم» يا ابي حرام عليك إنك لم ترَ كيف يعيش الناس وما هي شكل منازلهم من الداخل والخارج.. نظر اليها في حزن واشفاق قائلًا: استغفري الله يا ابنتي ولا تجحدي

بنعمة الله علينا نحن أفضل حالا من أناس كثيرين.. كم أنا خائف عليك يا مروة من تطلعاتك وطموحك الذي لا يتناسب معنا.. أرضي بما قسم لنا الله.. واشكريه على نعمه.. سيزيد نعمه عليك هكذا وعدنا رب العالمين «ولئن شكرتم لأزيدنكم»..

استمعت إليه مروة، ولم تجد كلمات ترد به عليه ولكن قلبها وعقلها كان ناقمًا على معيشتها المتواضعة هذه وتشعر إنها لا تقل عن غيرها، وتستحق أن ترتفع إلى مكانة أعلى بكثير.. لكن السؤال هنا.. ماذا سوف تفعل مع مدام وفاء أم علاء.. فهي بالتأكيد لن ترض لابنه زوجة تعيش في بيت كهذا ومستوى اجتماعي أقل بكثير منهم.. ما هي الأوراق التي لديها لإقناعها.. ليس لديها شيئًا.. الشيء الوحيد هو أن يتمسك بها علاء لحد أن يواجه أمه ويضغط عليها ويجبرها أن تقبل مروة زوجة له وتتغاضي عن تدني مستوى معيشتها.. وشكل بيتهم ومستوى تعليم ووظيفة أباها المتواضعة للغاية..

***

عادت نورا ووالدتها من المشفى إلى منزل شريف وصف أغراضها وطلبت نورا الجلوس إلى أبيها للحديث عن ماجد وتجهيزات الخطوبة والزفاف. فطلب منها الأب تأجيل تلك الجلسة لباكر صباحًا حيث يتعين عليه الخروج حالًا، ولا يعلم في اي وقت سيعود..

بدأت تتدفق المعلومات وجميع ما يدور حول عاشور حيث التقط جهاز الاتصال المصنوع في شكل علبة سجائر معدنية.. انهالت كلمات عاشور على جهاز الاستقبال الموضوع داخل سيارة المطعم.. وقام الجهاز بتسجيل كل تلك المحادثات ووضعها على شريحة ذاكرة صغيرة.. كانت كل اتصالات عاشور عادية معظمها حول الأعمال والشغل في مجال المعمار والتشطيبات.. وبعض المكالمات الأخرى من زوجته واولاده..

ولكن الهام في الأمر هي مكالمة واحدة غير معلوم من هو طرفها الثاني حيث لم ينطق عاشور باسمه ولو مرة واحدة فقط وهذا دليل على حرصه الشديد ألا يسمعه أحد ممن هو جالس بجواره في المقهى.. كانت المكالمة تدور حول نصائح وأخبار من عاشور إلى الرجل الاخر على الخط..

ابق مكانك.. لا تفكر في الظهور.. هناك وجوه غريبة ظهرت في الشارع أنا جالس في القهوة واستطيع أن اكشف كل ما يدور حولي في الشارع..

مصيبتك كبيرة.. الدنيا مقلوبة في الداخلية.. أمين الشرطة اخبرني إنك إذا تم الإيقاع بك فربما تكون عقوبتك الاعدام.. ابق مكانك بلا حراك وأنا سوف أتى اليك عندما تهدأ الأمور ولا تتصل بي كثيرًا إلا للضرورة القصوى.. فاهم الضرورة القصوى.. ثم سكت عاشور ليستمع لكلام الطرف الآخر.. وبعدها أجابه.. لا تقلق.. زوجتك واولادك بخير وكل طلباتهم انا كفيل بها.. بيبعتولك السلام.. ثم سكت عاشور مرة أخرى يستمع للرجل.. وبعدها أجابه.. لا.. لا.. زوجتك لا تعلم شيئًا كل ما تعلمه أن الحكومة تبحث عنك لأنك تسببت في مشاكل في العمل وأنا حريص إلا ينطق أحدًا بكلمة.. فالأمر حتى هذه اللحظة غير معروف للجميع.. اطمئن.. أنت غلطت غلطة كبيرة وورطت نفسك في موضوع كبير أحنا كلنا لا نستطيع مواجهته.. فاستمع عاشور إليه مرة اخرى ثم أجاب.. حشيش ايه يا راجل ومش في وعيك ايه..

عملك ايه الحشيش دلوقتي.. اديك وديت نفسك في داهية بطل الهباب ده وفوق لنفسك علشان نعرف نهربك للواحات وبعدها نشوف سكة تروح بيها ليبيا، وهناك تكون في أمان والشغل هناك كتير وأنت صنايعي شاطر وتكون مطلوب وممكن كمان زوجتك وولادك يذهبوا إليك هناك وينضموا إليك..

استمع العميد الأسيوطي لهذا الحوار.. وكانت بشرة الخير أنه بالفعل الاسطي عاشور لديه مفتاح حل اللغز.. فبالتأكيد إن الرجل الذي يحادثه هو «فرج» الجاني الفعلي وأنه ارتكب جريمته بعد أن دخن مخدر الحشيش.. وأنه مختبئ في مكان ما.. لكن المقلق في الأمر هو أنهم يستعدون لتهريبه إلى الواحات

ثم بعدها إلى ليبيا وبالتأكيد عبر الصحراء الغربية.. الوقت ليس في صالحنا.. هكذا حادث العميد الأسيوطي نفسه..

اتصل بالعميد فؤاد وطلب لقاءه أمام مديرية أمن الاسكندرية لأمر عاجل لا يحتمل التأجيل.. أخذ العميد الاسيوطي أجهزة الاتصال وشريحة الذاكرة المسجل عليها المكالمة، وتوجه إلى مديرية أمن الاسكندرية وفي الخارج وجد العميد فؤاد في انتظاره.. صعدا إلى داخل المبني وطلبا لقاء رئيس المباحث لأمر عاجل للغاية..

امتدت الجلسة مع رئيس المباحث لأكثر من ساعتين كان ملمًا فيها بخيوط القضية من قبل وكان على علم بذهاب شريف بملابسه القديمة إلى كرموز وجلوسه على المقهى ولقاءه بعاشور.. وذكر لهم إنهم يتحركون لكن في سرية حتى يستطيعوا إنهاء مهمتهم بدون لفت انتباه عاشور وفرج، وبالتالي فرار فرج وربما يصعب عليهم الإيقاع به..

شكرهم وطلب منهم أن ما سمعوه يكون طي الكتمان عن شريف والأخرين وإن يدعوا كل شيء يسير بصورة طبيعية.. حتى شريف يتركوه يفعل ما يفعل ظانًا أنه سوف يصل للحقيقة.. فدوره مهم وهو إلهاء عاشور بالتفكير فيه.. حيث كان عاشور يعلم أن شريف ليس صبي أو مساعد أسطى تركيب أحجار.. كان يعلم أن وراءه شيئًا ما.. لكنه تعامل معه بحرص.. وكان يعلم أيضًا أن اسمه ليس «رمضان»..

***

انتظرت نورا عودة والدها إلى البيت بعد أن تركه في الصباح الباكر لأمر هام للغاية كما ذكر لها قبل مغادرته البيت.. تحدثت مع ماجد هاتفيا لتطمئن عما سيقوم هو بعمله وبعدها تحادث والدها في الجانب الموكلة هي بتنفيذه..

عاد العميد فؤاد للبيت فوجد نورا في انتظاره وأمامها بعض الأوراق مدون عليها ما تريده بالتحديد والمهام الموكلة لها.. وأوراق أخرى مدون فيها المهام الموكلة لماجد للقيام بها..

استمع العميد لشرح من نورا عن رؤيتها ووجهة نظرها في كل الخطوات بدءًا من حجز القاعة وفستان الفرح وبطاقات الدعوة.. إلى آخره..

بعدها صمت العميد فؤاد للحظات.. ثم ابتسم في وجه ابنته وربت علي ركبتيها وقال.. «كل هذا جميل ورائع يا نورا ولكن هذا لا يشغلني.. كل ما يدور في بالي هو سؤال واحد أوجهه لك وتذكري هذا السؤال وتلك الجلسة.. هل ترين في ماجد الزوج المناسب؟؟.. وهل توافقين على تقديم كل هذه التنازلات من اجله؟؟ وأهم ما تتنازلين عنه هو حقك في وجود في شقة خاصة بك وبه.. في حياة جديدة بدون تدخل أو وجود لأحد.. أنا يا بنتي لا أعلم ميعاد أجلي...

قاطعته نورا.. بعد الشر عليك يا أجمل أب..

استطرد قائلًا.. أنا وربي يعلم لا أتمني لك أنت وشريف إلا كل الخير والسعادة ولكني من داخلي غير مقتنع بماجد.. لا أراه يليق بأن يكون زوجًا لك.. أنت نورا.. الجميلة محط أنظار الجميع.. والأمر الثاني أنا غير راضٍ عن إقامتك في بيت أمه.. فالبيت ليس بيتك.. بيتها هي ومهما كانت هي امرأة طيبة فمن الطبيعي والوارد بشدة أن يكون بينكما اختلاف في الطباع.. وأسلوب الحياة داخل المنزل.. ربما لا تتحملك ولا تتحمليها.. فماذا هو موقفك إذا حدث هذا.. هل تتركين البيت أم تتركه هي؟!

أشعر أن ماجد أناني ولا يأبه إلا باستفادته هو وحده.. فكري يا بنتي جيدًا.. التراجع الآن أمر هين.. لكن إذا حدث الزواج وانتقلت للعيش معهما.. فلك الله يا ابنتي.. أرجو أن تعيدي تفكيرك أنا أعطيك الحرية لكن يجب أن أكون لك الناصح الأمين.. أنا يا نورا غير مرتاح.. تذكري هذه الجملة جيدًا.. وسأكون سعيدًا إن تراجعتِ..

استمعت نورا وتأثرت بكلامه وبينما هي تفكر فيما قاله الأب أتتها رسالة من ماجد «أحبك يا نورا.. يا عشقي الأول والأخير أفني عمري فداك.. سعادتك هي همي الأول والأخير»..

بعد أن قرأت الرسالة اتخذت قرارًا بأن تستمر مع ماجد رغم تحذيرات أباها المتكررة.. كانت تمني نفسها أن حب ماجد لها أكبر من أي صغائر ممكن تعترض طريقهما وأن والدته لطيفة كما كانت في المقابلة الوحيدة التي جمعتهما.. وأنها لا تستطيع أن تخذل ماجد في أحلامه.. وإلا تكون بجواره في طريقه للصعود إلى النجومية في عالم الرياضة.. وكانت دومًا تحلم بالسفر

معه في المحافل الدولية والتكريمات والكؤوس.. شاشات التلفاز وعدسات المصورين.. الفنادق الفخمة والطيران من عاصمة لأخرى والاستقبال الملكي والأسطوري لهما.. بعد كل بطولة يحصل فيها على المركز الأول.. كانت تطلعات نورا أمرًا مشروعًا وطموحًا جائز تحقيقه لكن هل ماجد يرى الأمور كما هي تراها؟!!!

قدم العميد إلى ابنته مبلغًا من المال يكفي لاحتياجاتها في الوقت الحالي.. وصرح لها أن تعود إلى القاهرة إذا ارادت.. فأجابته أنها تعلقت بمايا وتفضل ان تظل بجوارها بعض الأيام حتى تتجاوز المحنة وفي نفس الوقت يمكنها شراء بعض الأغراض من الإسكندرية..

وبالفعل انطلقت نورا وتوجهت إلى المشفى لزيارة مايا.. وعندما رأتها شعرت أنها في حالة أفضل.. ومن الواضح أن جلسات الطبيب النفسي لها قد بدأ تأثيرها الايجابي في الظهور.. إذ ألقت نورا التحية الصباحية على مايا فإذا بمايا ترد بتحية.. قامت نورا بتقديم نفسها اليها وعاملتها بمنتهي اللطف والحنان.. ارتاحت مايا عند رؤية نورا أخت حبيبها شريف.. وبعد ساعة تقريبًا عند الظهيرة حضر شريف حاملًا هدايا كثيرة وزهور لمايا.. شعر براحة عند رؤية نورا بصحبة مايا وانهما أصبحتا صديقتان..

تحسنت مايا أكثر بوجود نورا وشريف.. وبدأت تتحدث للحظات وتبكي للحظات أخرى.. وكان هذا يشعرها بالراحة ان تبكي بين يدي شريف.. وهو بجوارها ثم دخل أباها د. كامل ومعه العميد فؤاد فامتلأت الحجرة بالأحباب مما أدخل الأمان والسعادة على قلب مايا وكان له أعظم

الأثر في سرعة شفاءها وعودتها للحياة.. وتعمد الجميع عدم التحدث عن تلك الليلة المشئوم فامضوا وقتهم في الابتسام وتذكر أيام جميلة جمعتهم بمايا.. وقامت مايا بتمشيط شعرها، وقام شريف برش بعض قطرات من عطر اشتراه لمايا وهو يعلم إنها تحب هذه الرائحة..

حضر الطبيب النفسي، وكان أشدهم سعادة بهذا الجمع العائلي الحميم الملتف حول مايا.. وأخبرهم أن هذا يعجل بشفائها.. وبعدها دخلت عليهم مدام كريمة والدة شريف، وفي يدها لفة ضخمة من أشهى المأكولات التي صنعتها بيدها بعد أن سألت شريف عن أصناف الطعام التي تفضلها مايا وكان هذا سبب تأخيرها في الحضور حيث استغرق إعداد الطعام والحلوى بعض الوقت بجانب زحام الطريق.. وأبدت سعادتها بحديث الجميع وبالحديث مع مايا الرقيقة..

***

انتاب مدام وفاء والدة علاء بعض الشعور بالقلق وأن علاء ربما تسرع في قراره في إعلان نيته وعزمه الزواج من مروة وأنه يرى فيها الزوجة المناسبة..

وقد بدأ علاء مرحلة العلاج الطبيعي وممارسة التمارين لتقوية عضلات القدم.. ثم بعدها الاستغناء التام عن المساعدة والعودة لممارسة نشاطه بصورة طبيعية..

انفردت مدام وفاء بمروة لتطلب منها تحديد موعد مع والدها لزيارتهم في منزلهم للتعارف خاصة ان علاء سوف يغادر المستشفى في الغد..

شعرت مروة بعدم الارتياح.. وخالجها شعور قوي أن مدام وفاء لها غرض آخر من وراء هذه الزيارة ليس للتعارف فحسب.. ربما أرادت أن تعاين وتستكشف مستواهم الاجتماعي وشخصية والدها ودرجة ثقافته وتعليمه.. وكل هذه الأمور.. ارتعدت قليلًا.. لكنها تماسكت عندما تذكرت تأثيرها على علاء وأنه أصبح لا يستطيع الاستغناء عنها.. فكان هذا هو المسلك والطريق الوحيد الذي عليها ان تسير فيه حيث أن والدته ربما لا ترضى بها زوجة لابنهما الوحيد بعد الزيارة وبعد أن ترى بعينيها الشارع والحي الشعبي التي تقطن به وأيضًا المنزل من الداخل بالإضافة إلى تواضع ثقافة أباها ومهنته «سائق» حتى لو قرأ أباها كتب مكتبة الكونجرس الأمريكية بأكملها فلسوف يظل

في نظر المحيطين به عم زكريا سائق حافلة بشركة مصر للطيران وحتي لو كان لها أصدقاء مثل نورا ودخولها معها للنادي.. كل هذا لن يشفع لها أمام مدام وفاء إذا تعلق الأمر بابنها الوحيد واختيار زوجته.. وكل ما قدمته من خدمات ومشاركتها العناية بعلاء وحيدها والسهر كل ليلة لخدمته ورعايته.. أيضًا لن يشفع لها كل هذا.. أملي الوحيد والعصا التي اتكئ عليها هي مدى قوة حب علاء لي وتعلقه بي.. فهو ورقة الضغط الوحيدة التي أملكها للضغط على الأم والأب وجعلهما يعلنان مباركتهما لهذا الزواج والرضوخ أمام رغبة ابنهما الوحيد..

أما أنا فسوف استمر في محاولة استمالتها لصفوفي.. علها ترضَ عني وتتناسي ما سوف تراه عند زيارتها إلى بيتنا.. ولقاءها مع أبي الذي اتخوف من حديثه عن التواضع والرضا وأن الفقر ليس عيبًا وكل تلك الأمور التي لا تؤدي إلى أي طموح أو ارتفاع المستوى..

***

في المساء ذهب شريف كعادته إلى منطقة كرموز بملابسه الرثة وهاتفه القديم ومسماه الجديد «الواد رمضان» وما أن دخل الشارع الضيق ذو الرائحة العطنة إذ به يجد من ينادي عليه.. ويقول له ان الأسطي عاشور ينتظرك على المقهى في نفس مكان كل ليلة..

توجه شريف أو «الواد رمضان» إلى عاشور.. ألقى عليه التحية وهم بالجلوس على مقعد بجواره فإذا بالاسطي عاشور ينهره ويأمره أن يجلس على الرصيف بعيدًا كما حدث في أول لقاء به.. تعجب شريف.. لماذا يتعامل معه عاشور هكذا بجفاء لدرجة إنه سحب منه شرف الجلوس على المقعد بجواره وأعاده إلى مآله الأصلي وهو الرصيف المتسخ للغاية..

بالأمس عندما اهديته علبة السجائر المعدنية ذات الولاعة ومليئة بالسجائر من نفس النوع الذي يدخن قربني إليه، واجلسني بجواره.. واليوم قد تناسى كل هذا وأعادني على الرصيف.. هل في الأمر شيء.. أم انه رجل ذو مزاج متقلب.. نظر إليه شريف يتفحصه عله يرى علي وجهه ما يفسر له هذا الموقف الغريب.. فوجده كما هو ذو قسمات حادة.. قبيح الوجه.. ولا يترك الشيشة من يده ولا يبعدها عن فمه والدخان الكثيف يغطي المكان حوله

وأمامه الهاتف، وفي اليد الأخرى الأداة المعدنية التي يضغط بها على الفحم كي تعمل الشيشة في أبهى صورة ويزيد كثافة دخانها..

لكن ما لاحظه شريف مختلف عن كل ليلة.. ان كان بجانبه رجلان في عمر الثلاثينيات.. قبيحي المنظر والهيئة.. ويشعلان السجائر ولا يدخنان الشيشة.. نادي عليه الاسطي عاشور وهو غارق في التفكير.. ان يأتيه.. انتفض شريف من مكانه وتوجه حيث يجلس الاسطي عاشور.. فوجد عاشور يبتسم ابتسامة مثل تمساح اوقع بفريسته.. وقال لشريف «افرح ياواد يا رمضان.. لقيتلك شغل وممكن تبدأ بكرة الصبح».. لكن عايزين بطاقة الرقم القومي ونقوم بتصويرها ونأخذ نسخة.. أعطني بطاقتك يا رمضان» ..

سقط في يد شريف ولم يدر ما عساه ان يقول او يجيب فهو لا يستطيع اطلاع عاشور على بطاقته حيث فيها كل بياناته الحقيقية وإذا حدث هذا فهو شخصيًا في ورطة حقيقية ولا يعلم مدي وقعها على الاسطي عاشور وماذا هو فاعل به.. إلا الله عز وجل..

أجاب شريف سريعًا وهو مرتعد.. «ليست معي يا اسطي.. سرقت مني منذ أيام وسوف استخرج أخرى جديدة»..

ضحك عاشور بصوت عالي ارتجت واهتزت له المقاعد وأركان المقهى وشاركه الرجلان حوله الضحك ونظر الثلاثة إلى بعضهم.. فقال عاشور «كنت عارف» وأشار للرجلان فاتجها نحو شريف وامسكا به ووضع أحدهم سكينًا في جانبه محذرا إياه إلا ينطق بكلمة وإلا ستستقر هذه السكينة في جنبه.. أما الآخر فأخذ يفتش قميصه وسرواله إلى أن وجد مفاتيح البيت والسيارة

ونقودًا وهاتفه القديم والمحفظة وهي بيت القصيد.. المحفظة.. وضع الرجل هذه الأشياء أمام عاشور.. والغريب ان كل رواد المقهى كانوا كالموتى.. لا ينظرون إليهم ولا يهتمون بما يحدث لشريف.. سكينًا في جنبه ويتم تفتيشه علنًا في المقهى في الشارع ولا يحرك أحدًا ساكنًا.. فمن يشرب الشاي ومن يلعب الطاولة ومن يدخن الشيشة كل مشغول في أمره أو يدعى إنه مشغول خوفًا من الديناصور البشري الأسطى عاشور..

جاءت اللحظة الحاسمة وما كان يخشاه شريف لحظة التقاط عاشور لمحفظته.. وهو يقلبها في يده ويعاينها من الخارج ويقربها من أنفه ويشمها.. ويقول لشريف.. «دي شكلها كده محفظة جلد طبيعي وماركة كمان.. منين العز ده ياواد يا رمضان.. لما نشوف بأه رمضان وللا حا تطلع شوال وللا حكايتك ايه.. ما أنا ناقصك انت كمان»..

كان العميد الاسيوطي في سيارة الديلفري المصفوفة في شارع قريب من المقهى.. شعر العميد ومن معه ان شريف في خطر حقيقي.. فهؤلاء الناس لا يتورعون عن التصرف بحماقة.. وأسهل شيء هو استعمال الآلات الحادة والقتل ثم الهرب.. فحياة شريف في خطر حقيقي..

أجرى العميد الاسيوطي اتصالًا بأحد رجال المباحث القريبين من المكان انه لابد من التدخل بسرعة وإلا سوف يكون مصير شريف وحياته غير مضمونة.. خاصة أن العميد الأسيوطي قد قطع وعدًا أمام أبيه العميد فؤاد أن يحافظ على حياة ابنه في المقام الأول..

بدأ الاسطي عاشور في فتح المحفظة ببطء فنظر في البداية إلى اماكن وضع العملات الورقة.. أخرجها.. تبدو أوراقًا كثيرة من فئة المائتين جنيه.. عدها فإذا هي قرابة الألفين وأربعمائة.. دسها عاشور في جيبه وأكمل تفتيش المحفظة ووصل إلى النقطة الحاسمة.. أماكن تخزين الكروت.. كروت كثيرة.. كارت بنك استثماري وكارت فيزا.. وكارينه الأكاديمية وعليه صورة شريف.. نظر فيه الاسطي عاشور فوجد صورة شريف وهو يرتدي الزي الرسمي للبحرية التجارية فظن بجهله وحماقته إنه ضابط شرطة.. انتفض من مكانه قبل أن يكمل النظر في بقية الكروت والبطاقة الشخصية.. «طلع ضابط.. يا نهار أسود" أشار إلى الرجلين أن يأخذوه إلى حيث اتفقا من قبل..

قام الرجلان باقتياد شريف وسارا مسرعين به في طرقات متعرجة ضيقة إلى أن وصلا إلى مكان اشبه بمخزن به أدوات دهان وحدايد.. قاموا بتوثيقه جيدًا ووضع كمامة على فمه وأغلقا المخزن من الخارج وعادا إلى الاسطي عاشور.. فإذا به يهب واقفا ويوجه أوامره إليهما بأنهم لابد وأن يغادروا هذا المكان فورًا لأنه في دقائق سوف يكون الشارع مليء برجال الشرطة بحثًا عن زميلهم.. فهو مازال يعتقد أن شريف ضابط شرطة..

من حسن حظ شريف أن رجال الشرطة المتنكرين حضروا أمام المقهى وهم يقتادوا شريف إلى مخزن البويات والحدايد.. واطمأنوا إنهم عرفوا مكانه.. فكان كل ما ينتظرونه هو إجراء مكالمة من عاشور إلى فرج أو العكس أن يحادث فرج عاشور.. حيث أن رجال المباحث قد وضعوا أرقام هاتف عاشور تحت المراقبة بالطبع بعد استخراج إذن النيابة العامة..

قسم رجال فريق البحث الجنائي أنفسهم إلى ثلاث مجموعات.. الأولى تحركت خلف عاشور والرجلان لمراقبتها ومعرفة أوكار اختبائهم.. فمن الممكن أن يكون فرج في انتظارهم..

أما المجموعة الثانية فذهبت إلى المخزن حيث يرقد بداخله في الظلام.. شريف موثقًا ومعصوب العينين ومكممًا.. لتحريره وانقاذه.. وهو ما تم بالفعل..

أما المجموعة الثالثة ان تكون جاهزة للتحرك فور تحديد مكان فرج عند اتصاله بعاشور او اتصال عاشور به..

حرر رجال المباحث شريف وذهبوا به بعيدًا حيث سيارة الديليفري والمخصصة لمراقبة اتصالات عاشور وسماع كل ما يقوله لمن حوله..

أما عاشور ورجلاه فتوجها إلى بوابة دخول مقابر كرموز وهناك في الظلام ساروا بين المقابر في الممرات الضيقة إلى أن وصلوا إلى حجرة تخص أحد الاثرياء وبها المقبرة..

دخلوا إلى الحجرة حيث كانت هي أحد الأماكن التي يلتقون بها بعيدًا عن أعين الشرطة.. صدرت الأوامر لرجال المباحث بعدم مهاجمتهم حتى تأتيهم الأوامر.. فقط مراقبة المكان وجميع تحركاتهم.. وعند اقتراب الفجر.. حدث ما كان ينتظره الجميع.. اتصال من المجرم «فرج» لعاشور.. التقطت الأجهزة المكالمة وقامت اجهزة تحديد المواقع بتحديد موقع فرج فإذا به داخل أحد كهوف جبل من جبال الفيوم.. على الفور.. تم الاتصال بمديرية أمن الفيوم وعمل التنسيق اللازم، وتم إرسال قوة كبيرة من الشرطة للمنطقة

المحددة وفي نفس الوقت صدرت الأوامر لرجال المباحث المراقبين لعاشور بمقابر كرموز بمهاجمة الوكر وإلقاء القبض على عاشور ومن معه وتحريز كل ما بداخل الحجرة..

بالفعل توجهت قوة من شرطة الفيوم بمهاجمة الكهف من الخارج والقاء بعض القنابل المسيلة للدموع.. كان فرج مختبئًا داخل الكهف بالجبل بصحبة مجموعة من الهاربين من السجن وبعض المطلوبين للعدالة.. شعر فرج ومن معه بمحاصرة الشرطة للمكان وإلقاء أول قنبلة غاز مسيل للدموع عليهم كي تصيبهم بالاختناق ويتركوا كهفهم فيصبحوا في العراء بلا حماية..

بدأ فرج ومن معه بإطلاق العيارات النارية باتجاه تواجد وتمركز قوات الأمن.. وبادلهم رجال الشرطة بأطلاق الأعيرة النارية وأمطرهم بوابل من الرصاص.. استمر تبادل اطلاق النار حوالي الساعتين تقريبا إلى ان شاهد رجال الأمن بعض المجرمين يخرجون من الكهف ويركضون بسرعة متجهين إلى عربة دفع رباعي كانت قابعة اسفل الجبل..

لاحقهم رجال الأمن بإطلاق الرصاص عليهم فأردوهم قتلى وكانت هذه هي اللحظة المناسبة لرجال الأمن بالاقتراب من الكهف ودخوله وبالفعل تم القبض على من بداخل الكهف بعد استسلامهم ووضع أيديهم فوق رؤوسهم.. بحث رجال الأمن عن فرج بينهم فإذا به واحدًا ممن خرجوا من الكهف في اتجاه عربة الدفع الرباعي وأردته الشرطة قتيلًا.. قتل فرج.. رمز الفُجر.. فمن الأفضل ان تعيد ترتيب الحروف.. بدلًا من «فـ ر ج» «فـ ج ر» ..

فهو فاجر معدوم الانسانية والضمير وقد ارتاحت البشرية بمقتله والخلاص من أمثاله من الذئاب البشرية..

وصل الخبر إلى مسامع شريف والعميد الأسيوطي ومن معه.. فبينما هم يحمدون الله أن تمت مهمتهم بنجاح بدون خسائر بين صفوفهم انتاب شريف حزن عميق.. حيث كانت أمنيته القبض على هذا الفرج الفاجر حيًا وينتقم منه بنفسه ويشفي ما بداخله من غل وكره.. فيشعر أن مايا عاد لها حقها.. ربت العميد الأسيوطي على كتف شريف قائلًا: اترك الأمر للخالق فهو المنتقم الجبار ولا تلوث يدك بدماء رجل فاجر كهذا.. اهتم يا شريف بخطيبتك وأبدًا عهدًا جديدًا..

***

انطلقت نورا بين متاجر الملابس والإكسسوار وبيدها بعض الأوراق مدون فيها كل ما سوف تحتاجه وفي نفس الوقت تقوم بالمتابعة مع ماجد عبر الهاتف عما قام به وحجم الانجاز الذي أداه وما بتبقى.. كانت تشعر بسعادة.. سعادة العروس المقبلة على الزواج.. واتفقت ان تلتقي مع والدتها بعد ساعتين لتكون بصحبتها في شراء جميع احتياجاتها..

قرر شريف اغلاق موضوع الفاجر فرج بعد مقتله.. ويتفرغ تمامًا لمايا وأن يتم زواجه منها بعد أن تتماثل للشفاء تمامًا وتعود لحياتها الطبيعية.. فراشة جميلة..

أخبر الطبيب النفسي د. كامل ان مايا في تحسن كبير وأن بإمكانها العودة لحياتها والاندماج مع المجتمع.. وفي وقت قصير يمكن لها العودة لعملها.. ولكن يفضل ان تقوم بعمل تصميمات الديكور على الورق والكمبيوتر فقط في هذه المرحلة بدون الدخول في مواقع العمل والاحتكاك بالعمال..

رحب الأب بهذا الاقتراح حيث كان دومًا يرى أن مايا أرق من التعامل مع عمال الدهانات والخشب وغيره وأنه الأفضل استغلال موهبتها وخبراتها في تحديد كل التصميمات ويكون التنفيذ في المواقع من نصيب مهندسين أخرين.. فيكون محل عملها هو المكتب فقط..

***

تحدد موعد زيارة مدام وفاء إلى منزل مروة.. كان الأستاذ جمال يقود السيارة عبر شوارع ضيقة أمام المنزل القديم صف السيارة.. نزلوا منها ومدام وفاء تتلفت حولها غير مصدقة ان هذا المكان ممكن ان يكون المكان الذي تربت ونشأت فيه زوجة ابنها.. وأم أحفادها وأن أباها المصون الذي سوف تراه بعد دقائق بالتأكيد سوف يكون جدًا لأحفادها وحما ابنها ويضع يده في يد زوجها ويكون ندًا لهم.. كيف تندمج الأسرتين في علاقة نسب وهم يعيشون في عالمين مختلفين تمامًا.. فهي لا تعلم عن هذا العالم شيئًا غير إنه عالم سفلي.. دوني.. كل شيء فيه غريب وغير محبب على الأقل اليهم.. كيف سيأتي أحفادها لزيارة جدهم هنا وربما المبيت.. واللعب في الشارع.. وسماع كلمات غريبة على أسماعهم وترديدها فيعودون إليها، وهم على هيئة أخرى وصورة مغايرة لما تتمنى أن يتربوا ونشأوا عليها..

مع كل درجة من درجات سلم العمارة كانت مدام وفاء تتلفت حولها وتشعر بالاشمئزاز وتهز رأسها وتنظر إلى زوجها وابنها ولسان حالها يقول هيا بنا نعود من حيث اتينا.. رأينا بما فيه الكفاية وكما يقولون الكتاب بيبان من عنوانه..

فتح لهم العم زكريا الباب بكل عبارات الترحاب وابتسامة واسعة عريضة ودعاهم للدخول.. ظلت مدام وفاء صامتة غير مصدقة ولا مستوعبة ما يحدث.. ولماذا هي هنا في هذا المكان الذي لا يحتاج إلى ترميم فقط ولكن إلى نسف.. وكانت تنظر إلى علاء معاتبة إياه.. «أنت السبب.. بعد كل ما قدمته لك من اهتمام وتربية.. مدارس دولية.. وكانت كل طلباتك مجابة.. بعد كل هذا.. هل هذه هي نظرتك لاختيار شريكة حياتك.. من تليق أن تكون أما لأولادك.. أن تصبح واحدة من أسرتنا..

عرضت عليك بنات كثر.. أكثر جمالًا.. ثقافة.. تعليم.. مستوى اجتماعي مرموق.. عائلة تتشرف بها.. تركت كل ذلك لتجرنا وراءك إلى هذا المكان سامحك الله يا بني..

ظهرت مروة في ثياب بسيطة وأنيقة.. ألقت عليهم السلام وحاولت طمأنة مدام وفاء بأن اكثرت من ترحابها وتقديم العصائر والحلوى لها.. عسى ان تشعر بكرمهم.. فيطغي هذا على شعورها بالاشمئزاز من المكان..

وما أن انتهت زيارتهم وغادروا شقة مروة هبطوا الدرج إلى السيارة وابتدأت مدام وفاء في إخراج ما في جعبتها مستخدمة كل كلمات اللوم، والعتاب، والشعور بالغثيان من ذلك الجو والمكان الغريب.. ولم تتوقف عن الصراخ في وجه علاء حتى وصلوا إلى بيتهم.. وبدأت الجولة الثانية من توبيخها لابنها في البيت.. حاول علاء من تهدئتها مستعينًا بوالده.. «الحقني يا بابا.. تدخل أرجوك.. قول حاجة لماما.. أنا من حقي اختيار شريكة حياتي على المعايير والأسس التي أراها»..

ظل هذا الجدال قائم بينهم إلى ان تكلم الأب أخيرًا وأعلن رأيه أنه متضامن مع زوجته وفاء وأن علاء يستحق أن تكون له زوجة أرقى من مروة.. وأن عليه أن يفكر في زوجته ليست فقط كزوجة ولكن ايضًا كأم فإنه يختار لأولاده أما صالحة.. تشبهه وأن تكون اسرتها تشبه اسرتنا وهو ما يسمي التوافق وأي زواج لا يعترف بالتوافق فمآله إلى المأذون والطلاق أو المحاكم والمشاكل..

نصيحتي لك يا علاء ألا تتسرع وفكر فيما نقوله.. نحن أصحاب تجارب وخبرات في الحياة.. لا تستهين بها.. بل استعين بها.. وادعو الله لك بالهداية..

زادت حدة الخلاف بين علاء ومدام وفاء.. ترك على اثرها البيت وذهب إلى أحد الفنادق الرخيصة القريبة من محطة رمسيس.. وفور أن دخل حجرته في الفندق هاتف مروة وكان صوته غاضبًا. طلب أن يتقابل مع مروة في أسرع وقت.. أعطاها عنوان أحد المقاهي القريبة من الفندق وبعد أقل من ساعتين التقيا في المقهى.. وبادرته بطبيعة الحال بالسؤال.. ما بك.. صوتك كان متغير.. هل حدث شيئًا؟..

ظل علاء صامتًا لفترة.. ثم بدأ بالحديث.. وقص عليها ما دار بينه وبين والدته منذ خروجهم من منزلهم.. وموقف أبيه.. وكم هو مستاء مما حدث.. ثم استطرد.. انهم يعاملونني كأنني ما زلت تلميذًا في المدرسة وعليّ السمع والطاعة.. أنا قاربت على الثلاثين وأدير متجر والدي بكفاءة وأستطيع اتخاذ القرارات الهامة وأهمهم قرار زواجي.. أنا من سيتزوج وليس أمي أو أبي.. أعلم جيدًا انهم يخافون عليّ لكن في الوقت ذاته فإنهم يبالغون في مسألة المستوى

الاجتماعي وتلك الآراء العجيبة التي طالما شاهدتها على شاشات التلفاز في أفلام قديمة.. كنا نشاهدها على إنها مجرد أفلام.. لكن أن تكون هذه هي حقيقة واقعنا وهذا هو تفكيرنا فنحن نعود للوراء ولا نتطور.. ثم ما ذنبك انت في كل هذا.. هل اختار أحدنا أن يولد في كنف أسرة فقيرة أو غنية.. متعلم أم لا.. هل اخترت أنا محل سكني ومن يكون أبي ومن أمي.. وأنت كذلك يا مروة.. لماذا تدفعين ثمن الحي الشعبي الذي تقيمين فيه.. سلالم العمارة المتهالكة.. البيت القديم.. والموبيليا فيه تحتاج الكثير لتعود على ما كانت عليه.. وأباك العم زكريا.. ما به.. فهو لا يعجبهم.. يقولون وظيفته غير مشرفة اجتماعيًا.. لِمَ .. هل عمله حلال أم حرام.. إذن فهو رجل شريف مكافح..

وايضًا يتحدثون عن تعليمه انا اراه على قدر لا بأس به من الثقافة فلقد تحدثت اليه فوجدته ملما بمعلومات كثيرة في شتي المجالات وعلمت انه كثير القراءة في غير اوقات العمل.. وهذا في رأيي شيء طيب..

بعد أن استمعت إليه مروة اجابته.. أنه لا مفر يا علاء غير اننا نتزوج ولا يهم رأيهم او موافقتهم.. أنا احبك وأنت تحبني.. وأنت رجل مسئول وأنا أستطيع أن أعمل.. إذن ماذا ينقصنا.. هيا نتحرك وبسرعة فأنت أحسنت صنعًا عندما تركت المنزل.. فلابد لهم ان يوقنوا انك لست طفلًا صغيرًا كي يتحكموا في أهم قرار وخطوة يتخذها أي انسان وهو الزواج.. فيجب على الأهل الا يتدخلوا في هذه المسألة على الاطلاق.. انظر إلى أبي.. هذا أبي.. العم زكريا.. الذي لا يعجبهم.. ووظيفته لا تليق بهم وكذلك تعليمه المتواضع.. فقد ترك لي حرية اختيار الرجل الذي سوف أعيش معه أغلب سنوات عمري

وأحمل اسمه وأكون أم لأولاده وكاتمة أسراره وطائعة له في كل شيء.. وأبقى تحت قدميه أوفر له أسباب النجاح فنكبر سويًا وننجح سويًا.. ونرى فلذة اكبادنا ونربيهم وننشئهم أفضل تنشئة ولا نحرمهم من بناء شخصية قوية قادرة على اتخاذ القرار عندما يصبحون في سن الشباب..

فبينما هما جالسان يتناقشان في الأمر إذا برجلين التفا حولهما وجلسا على نفس الطاولة.. نظرت مروة.. انهما نفس الرجلان اللذان يدعيان إنهما أصدقاء علاء..

فزع علاء واضطرب وقام من مكانه ينظر إليهما ويكاد لا يصدق نفسه.. ذلك الكابوس عاد مرة أخرى.. متى تنتهي هذه القصة السخيفة القميئة.. كم أتمنى أن اقتلهما أو أبلغ عنهما الشرطة فتنقذني من شرهما.. وهذه المسكينة مروة تظن أنهما أصدقائي.. وتتعامل معهما بأدب شديد.. آه لو تعلم إنهما من عالم آخر غير عالمنا.. عالم الإجرام والانحراف.. وكفى أنني وقعت على وصل أمانة وأن تصرفت معهما بحماقة فمن السهل عليهما إيداعي في السجن بتقديم هذا الايصال إلى النيابة والمطالبة بالمبلغ المدون فيه والذي لا أعلم قدره حيث وقعت قبل كتابة الرقم..

وجوههما قبيحة.. ولهم رائحة غير محببة أنا لا أعلم حتى اسمهما كي أقدمها إلى مروة على أنهما أصدقائي ونكمل هذا المسلسل الهابط.. وبينما هو غارق في أفكاره.. زجره أحدهما قائلًا.. اسمع ليس لدينا وقت لننتظر أن تستفيق من علامات البلاهة المرسومة على وجهك.. اتيناك في أمر هام.. هل نتكلم أمام الآنسة.. أم أنه من الأفضل أن نذهب إلى مكان آخر نستطيع التحدث فيه..

وقبل أن يجيب علاء قالت مروة.. أكيد تستطيعان الكلام.. أنا خطيبة علاء.. وهو لا يخفي عني شيئًا..

نظر اليها الرجل بعين ضيقة قائلًا.. إذن أنت تعلمين من نحن وماذا كان بيننا من قبل وما فعله خطيبك ويستحق عليه القتل؟!

فتحت مروة عينيها على أقصى اتساع وهي تستمع لكلام هذا الصديق المزعوم لعلاء.. «ما كان بينهم من قبل»؟! «يستحق القتل».. ترى ماذا فعل علاء تحديدًا.. لقد ذكر لي أنه صريح معي لأبعد حد وليس في داخله ما يخفيه عني.. اذن هو يخفي شيء وعلاقته بهذين الرجلين.. وماذا أيضًا في جعبته يخفيه عني..

ثم توجهت مروة بالكلام لهذا الرجل.. أنا لا أعلم تحديدًا ما بينكما حيث انني لا أتدخل في أعمال علاء.. لكن إذا أردت فيمكن أن تحكي لي.. أنا أسمعك.. ماذا حدث.. في عجالة قص على مروة ما حدث تحديدًا منذ خروج علاء مع اختهما طيلة النهار إلى ان ظهرا في المستشفى على إنهما صديقان لعلاء.. وتعمد الرجل أن يذكر أمر توقيع علاء على ايصال أمانة «على بياض» وأن رقبته تحت رحمتهما..

ظنت مروة ان كل تلك الملاحقات من هذين الرجلين كي يضغطا على علاء ويجبراه أن يتزوج من أختهما لدرء الفضائح وكلام الناس.. فإذا تذكرهم أنها خطيبته وأنه لن يتم زواجه إلا منها هي.. وإن على اختهما أن تجد عريسًا آخر.. فهي وعلاء كانا بصدد تحديد موعد زفافهما قبل دخولهما عليهما..

ضحك الرجل ضحكة مليئة بالشر والسخرية والثقة من مجرم تجاه ضحيته قائلًا.. إن خيالك ذهب بعيدًا.. أي زواج تتحدثين عنه.. نحن هنا من أجل عمل.. بيزنس.. فلوس.. كتير.. كتير.. إذا تعاونتم معنا فسيعم الخير على الجميع.. والمصلحة واحدة.. هل يكره أحدنا النقود؟!.. هل تكرهين النقود يا آنسة؟! وانت يا استاذ علاء.. انت مقبل على زواج وتحتاج مبالغ طائلة في سبيل إتمام هذا الزواج..

ضع يدك في يدنا ولن تندم واذا اثبت كفاءة وكنت مخلصًا ومطيعًا سوف اعيد إليك وصل الأمانة.. وإذا رفضت التعاون وتنفيذ كل ما يطلب منك بالتفاصيل التي نذكرها.. فأنت الجاني على نفسك.. أراك خلف القضبان في قضية نصب وتحرير ايصال أمانة بمبلغ لا تتخيله.. فأنا استطيع اكتب الرقم الذي أريده.. عشرة ملايين.. عشرين.. ثلاثين.. أربعين.. فالأرقام والأصفار اسهل شيء في الكتابة وأنا أعشق كتابة الأصفار واعشق أيضًا أن انتقم لشرف أختي إن لم تتعاون معنا.. وسوف نحتاجك أنت أيضًا يا آنسة في الاشتراك معنا.. وسوف ينالك الأجر و المال الكثير.. غير أموال علاء.. لقد عرفتي سرنا.. ومن يعلم سرنا أصبح واحد مننا.. الأمر جد ليس فيه أي هزل.. بيزنس كبير يعمل فيه العشرات.. بل المئات.. وانتما ستكونان عضوان جديدان في تلك المنظومة.. ها.. هل تريد بعض الوقت للتفكير؟!

أجاب علاء.. بالتأكيد اعطني فرصة لأفكر في الأمر بالرغم أني لا أعلم أي شيء عن طبيعة العمل والمهمة.. ولكنها من الواضح جليا انها لا تبدو

قانونية على الاطلاق ..دعنا نتقابل بعد يومين في هذا المكان لأعطيك ردي النهائي..

ضحك نفس الرجل مرة ثانية.. قائلًا.. لا يومين ولا ثلاثة.. هي نصف ساعة.. سوف نجلس في الطاولة التي بجوارك نشرب فيها القهوة وانتما تكلما وتناقشا في الأمر وبعد نصف ساعة نجلس سويًا مرة أخرى.. إذا رفضت سأذهب ولن تراني مرة أخرى ولكن استعد لارتداء البدلة الزرقاء.. وأنتِ يا آنسة لا تنسي العيش والحلاوة عند الزيارة.. أما إذا كنت عاقلًا وحسبت الأمور بشكل صحيح.. فنجلس مرة أخرى نحن الأربعة لأشرح لكم ما ينبغي عمله بلا نقاش من احد.. اذ يجب عليكما التنفيذ وفقط.. اعتقد أن كلامي واضح..

انتقل الرجلان للجلوس على طاولة أخرى بالقرب منهم..

نظر علاء إلى مروة والرعب يملأه وأيضًا مروة كانت ترتعد وتنتفض فبالرغم ما يبدو عليها الشجاعة وأنها لا تخشي أحدًا.. ولديها عقل لا يتوقف طيلة الوقت.. إلا أن عقلها في تلك اللحظة قد توقف عن العمل تمامًا كمن ألقى عليه بعض الكتل الاسمنتية السائلة.. فجفت وتحجرت عليه وأوقفته عن العمل..

رعب يملأ عيني علاء.. وعرق يتصبب من رأسه ووجهه.. ومروة تحك يديها ببعضهما بحركة عصبية.. أخيرًا تكلم علاء قائلًا.. "ماذا عسانا أن نفعل.. أنه يهددني.. ألم تسمعي كلامه.."

فأجابت مروة.. يبدو عليهما الاجرام حقًا.. اعتقد اننا لا نستطيع أن نضع رقبتنا تحت أرجلهم.. لابد وإبلاغ الشرطة.. «فزع علاء وانتفض».. ألم

تسمعي كلامه وتهكمه على البدلة الزرقاء.. العيش والحلاوة.. أنا في الموقف الضعيف.. توقيعي على الإيصال.. بدأت مروة في استعادة هدوءها واستعادت معها نفسها الأمارة بالسوء والمحملة بالطموح القائم على الجشع والجوع فقالت «إذن.. دعنا نجرب.. ليس هناك ما نخسره.. ألم تسمع ما قال عن الأموال والملايين.. الفرصة أتتنا.. يمكن ربنا بعث هؤلاء لنصبح اغنياء"..

استشاط علاء غضبًا قائلًا.. الله يرسل هؤلاء المجرمين.. استغفري الله يا مروة.. نعم انا بي الكثير من العيوب لكن ان اكون تحت امرة مجرمان كهذين.. سأتحول لمجرم مثلهما.. ولن تنفعني اي اموال إذا وضعت في السجن.

أجابته مروة.. اسمع يا علاء.. احنا حانتجوز.. صح.. يعني سوف نحتاج إلى المال الكثير.. وأسرتك غير راضية عن زواجك بي.. مما يترتب عليه حرمانك من أي نقود وربما حرمانك من العمل في المتجر.. فلن يكون لديك لا مال ولا عمل ولا راتب شهري.. أنا اعتقد ان هذا هو الحل الأمثل.. دعنا نرى ماذا يريدان.. واحتياجنا للمال يحتم علينا ان نتحملهم بأسلوبهم الغريب وشكلهم الاجرامي هذا..

بدأ علاء يلين ويقتنع.. وأشار اليهما أن يأتيا..

حضر الرجلان إلى طاولة علاء ومروة .. وبدأ أحدهم الكلام.. انه سوف يدخل في الموضوع مباشرة بدون عمل مقدمات أو محاولة تزويق كلامه او تنميقه..

"شوف يا علاء وأنتِ يا ست.. كل المطلوب منكما أن تعملا ديليفري مثل تلك المطاعم الشهيرة فنحن نقوم بتوصيل الطلبات.. ولكما أجر مجزي..

صحيح في البداية لن يكون كثيرًا لكن مع الوقت سوف تكونان من الأغنياء.. وكلما زاد اخلاصكما واتقانكما العمل وبحرص شديد وعدم الكلام فيه مع أحد.. زادت مكانتكما وزاد أجركما»..

أهم شيء في عملنا هذا وقبل شرح المطلوب منكما.. هي السرية.. فلا تتكلم مع أحد عن هذا العمل ولا أقرب الناس إليك.. وإذا اكتشفنا مخالفتكما لهذا الأمر وحدث أن تحدث أيا منكما وأباح سرنا.. فسوف تعاقبون عقابًا لا ينفع معه ندمًا..

ازداد اضطراب علاء وخوفه.. وهم واقفًا قائلًا.. إذا بدأت كلامك بالتهديد فبالتأكيد القادم أسوأ.. وأنا لا أحب ولا أعرف العمل تحت التهديد.. ضحك الرجل.. وجذب علاء من يديه اقعده على المقعد وقال: «إنه ليس تهديدًا ولكننا نرسى قواعد للعمل من البداية كي لا تدعي إنك كنت لا تعلم أو أن أحدًا لم يخبرك.. اتفقنا؟!».. أريد أن أسمع..

أومأ علاء وأومأت مروة بالموافقة.. فقالت مروة «ممكن إذن تدخل في صلب الموضوع وتشرح طبيعة العمل.. فأي ديليفري هذا الذي يحتاج إلى سرية تامة»..

أجاب الرجل.. خطيبتك واعية وناصحة يا علاء.. لكن هي لها كل الحق.. عمومًا اسمعا لي جيدًا وتلفت الرجل حوله ولم تكن الطاولات المجاورة لهم مشغولة كانت جميعها خاوية من أي زبائن.. فشعر بالاطمئنان انه يستطيع أن يتحدث بحرية.. العمل هو بشكل صريح وبدون مراوغة.. توزيع كوكايين على زبائننا واكثرهم طلبة الجامعة..

أوشك علاء على الانهيار ووضع يده على فمه ليكتم صرخته.. والغريب أن مروة لم تنزعج وأنها هي من حاولت تهدئته.. وربتت على كتفه واجلسته على المقعد وقالت.. ألم تتوقع ذلك.. أنا توقعت.. فهذا واضح وجلي.. ماذا تنتظر بعد كل ما سمعت منه.. ماذا تخيلت عن الديليفري.. يكون بيتزا أو بيرجر.. أكيد هناك أعمال مخالفة للقانون.. اهدأ فنحن نقدر على ذلك ونكن في أمان وجني الأموال.. وتستطيع أن تستغني عن أموال أسرتك وتكون حر في جميع قراراتك.. أنا موافقة.. دعنا نجرب ولن نخسر شيء..

رفع الرجل يده في وجه مروة قائلًا.. ليس هناك مجال للتجربة بعد ان أفصحت لكما عن طبيعة العمل.. إذن أنتما معنا ولا مجال للتراجع وما عليكما إلا السمع والطاعة والفهم جيدًا والتنفيذ.. واضح.. ثم بدأ يشرح لهما خطوات العمل بكل تفاصيلها وأن قريبًا سوف يتم التعارف مع بعض الاشخاص الذين يقومون بتدريبهم والإجابة على أيّة تساؤلات لديهم.. ثم أضاف.. والآن بدأ عملكما وبالتالي بدأت الحصول على الأموال فلسوف أقوم بدفع أجر هذا الفندق لمدة شهر إلى أن تستطيعا تدبير أموركما والانتقال لشقة خاصة بكما..

استمرت هذه الجلسة حوالي ثلاث ساعات تخللها شرح من الرجل إلى علاء ومروة والرد على عشرات الأسئلة منهما.. وبعدها همَّ واقفًا هو وزميله الذي لا يتحدث كثيرًا.. القيا عليهما التحية وانصرفا..

بعدها قالت مروة لعلاء انها تحتاج إلى هواء نقي.. دعنا نخرج لنتمشى بالقرب من كورنيش النيل ونكمل حديثنا..

بدأ علاء ومـروة خطواتهما الأولى في عالم التجارة غير المشروعة «المخدرات».. دفعت اطماع وتطلعات مروة علاء إلى طريق لا يؤدي إلا إلى هلاك.. وضعف شخصية علاء وعدم قدرته على أن يقول «لا» للخطأ إلا أن يكون تابعًا بلا رأي يلهث وراء طموح مروة الهالك.. ونسي ما كان يسمعه دائمًا من شريف صديقه السابق أنه «لا يصح إلا الصحيح»..

أما عن شريف فكان يقضي أجمل وأسعد أيامه مع مايا.. يقضي الصباح في محاضراته حيث تبقى بضعة أشهر على تخرجه.. وفي المساء بأكمله مع مايا.. إما يخرجان سويًا أو يكون معها في المكتب الهندسي وهي تعمل.. فكل من يعمل في المكتب مع مايا أصبح صديقًا لشريف وأحبه الجميع..

أما مايا فتماثلت للشفاء تمامًا وعادت كما كانت وأحبت شريف آلاف المرات عن ذي قبل.. وبدأ شريف يراسل بعض شركات الملاحة.. حيث أنه اقترب من تخرجه من الأكاديمية البحرية وإنه جاهز للعمل كضابط بحري.. كانت مجرد مراسلات لجس نبض سوق العمل.. وكان تركيزه على سوق العمل الأوروبية كي يبدأ حياته مع مايا في بلد مختلف.. خوفًا عليها من أي انتكاسة..

اقترب موعد زفاف نورا على ماجد وقد بذلت نورا مجهودًا ضخمًا في إتمام وانجاز أشياء كثيرة لإتمام الزفاف في غضون الشهور الثلاثة.. وقت قصير للغاية فالجميع حولها غير مصدق إنها استطاعت عمل كل هذا بنفسها في تلك الفترة الزمنية.. حتى ماجد نفسه كان مذهولًا من نشاطها غير العادي وماجد أيضًا كان يبذل مجهودًا غير عادي في أداءه للتمرينات العضلية والتزامه بنظام

غذائي خاص.. فكان يترك البيت طيلة اليوم.. مما زاد غضب والدته الحاجة نعمات عليه.. وكل فترة تهدده إنه إذا استمر في انشغاله واهماله لها.. فلن تحضر حفل زفافه.. ولن يعيش وعروسه معها في بيتها.. فكان ماجد يتبع نفس أسلوبه.. أسلوب الرشوة.. فيشتري لها كل ما تحبه من طعام وأنواع المكسرات المختلفة.. فتقوم بالدعاء له لعدة أيام إلى أن يتلاشى تأثير الطعام والمكسرات.. وتبدأ مرحلة جديدة من السباب والتوبيخ واللوم.. وهكذا هي حياة ماجد مع الحاجة نعمات والدته.. هو فهمها وهي تفهمه جيدًا.. ولكن حتى هذه اللحظة وهو يرى نورا تتحرك في كل الاتجاهات لإتمام مشروع زفافها.. لم يصارحها بطبيعة شخصية والدته ونوع العلاقة بينهما.. وما هي مقدمة عليها..

هكذا كان يحبها لكن ليس بالشكل الكافي الذي يوفر لها الأمان والعدل والحماية.. فلم يكن لدى نورا أدنى فكرة على ما هي مقدمة عليه وأنها تبدأ عهدا من التعاسة والشقاء لم تكن تتخيله ولا أكثر المتشائمين يتوقعه..

مايا منكفئة على طاولة الرسم الهندسي.. منشغلة بعمل رسم وتصميم ديكور لإحدى الڤلل.. فإذا برئيس القسم الهندسي في المكتب يحادثها تليفونيا ويسأل كيف تسير الأمور.. وبعدها أخبرها أن العميل صاحب الڤيلا التي تقوم مايا بتصميماتها له طلب في التصميم.. فهو يريد إضافة بعض الأحجار عند مدخل باب الڤيلا ما أن انهت مايا المكالمة.. ولم تتمالك نفسها.. ذهب بها خيالها إلى ما مر بها منذ بضعة شهور.. ما أشبه اليوم بالبارحة.. جال بخيالها كل ما حدث لها في تلك الليلة المشئوم.. في تلك الڤيلا.. وهي هي نفس القصة.. الأحجار عند مدخل باب الڤيلا.. فرج.. الاسطى المجرم فرج.. والدخان

ذو الرائحة الغريبة وقباحة ودمامة وجهه.. عيناه الحمراوان.. سلم القيلا.. وفجأة انهارت مايا في البكاء.. إلى أن سقطت مغشيًا عليها..

هرع شريف إلى بيتها بعد تلقيه مكالمة من د. كامل والد مايا خطيبته.. حبيبته ..وهناك كان نفس الطبيب النفسي القائم على علاجها.. وأخذ يسألهم أن تحدث معها أحدًا فيما حدث لها بالماضي..؟ اجابوا بالنفي وأنهم حذرين ألا يتحدث معها أحد في هذا الأمر لدرجة إنهم جميعًا قد نسوا ما قد حدث.. فقال الطبيب أن هذه الانتكاسة بسبب استثارة تعرضت لها مايا.. سواء بالسمع أو البصر.. فإما إنها رأت رجلًا شبيه في الشكل من هذا المجرم فرج أو أن أحدًا في المكتب تكلم معها في مثل هذا الأمر.

التقط د. كامل هاتفه وأجرى اتصالًا بأحد زملائها بالمكتب.. فجاءته الإجابة ان كل شيء كان يسير بصورة جيدة وطبيعية.. ولكن قبل إغماء مايا.. جاءتها مكالمة من رئيس القسم.. فطلب د. كامل أن يحصل على رقم هاتف رئيس القسم وما ان حادثه د. كامل.. أخبره منه أن الطبيب النفسي موجودًا معهم ويريد التحدث معه.. وبعد إنهاء مكالمة الطبيب مع رئيس القسم الهندسي.. أخبرهم الطبيب أن الصورة قد اتضحت.. لقد ذكّرها المهندس رئيس القسم بدون قصد.. بما حدث لها في تلك الليلة حيث تحدث عن بعض الأمور الخاصة بالتصميم مشابهة تمامًا لما كانت تقوم به مايا من أعمال في تلك الليلة.. فأعادت عليها شريط وتفاصيل كل ما حدث.. وبالتأكيد تخيلته وكأنه يحدث أمامها.. فلم يتحمل عقلها ان يمر بهذه الأحداث مرة أخرى لذلك كان الاغلاق للوظائف أو الإغماء هو الحل للهرب من تلك الخيالات والذكريات

الأليمة.. كان هذا تفسير منطقي لما حدث لمايا.. وبدأ الطبيب على اعطاءها بعض المهدئات لأنه توقع أن ربما تستيقظ على صراخ شديد كما حدث لها بعد الحادثة مباشرة..

بدأ الحزن يخيم على الجميع.. شريف و د. كامل وبعض الأصدقاء فطلب شريف ان يختلي بالدكتور كامل في إحدى الغرف للحديث معه..

بدأ شريف كلامه «أنه يحب مايا أكثر من نفسه و أكثر من أي شيء في الحياة وأنه سوف يتخرج ويتم دراساته قريبًا جدًا.. وأنه يري أن يعجل بالزواج من مايا وأن يكون زفافهما بعد التخرج مباشرة.. لأنه لا يستطيع أن يتركها لبعض الوقت حتى لو كانا يتقابلان يوميًا في المساء.. كان هذا الرأي موافقًا تمامًا لما يراه د. كامل وأنه الأفضل لمايا ..لما يعلم كم هي تحب شريف لدرجة الجنون.. فأجابه إنه يرحب للغاية وأنه يحب شريف مثل ابنه ولن ينسى له موقفه الشجاع في أصعب الظروف وبعد حادث مايا.. طلب يدها للزواج وتمت خطبتها وهي مازالت في حالة إغماء في المشفى.. فهذا التصرف لا يخرج إلا عن نبيل ابن نبيل لكن د. كامل طلب من شريف قبل الحديث في أي شيء أن يستشير رأي الطبيب النفسي إن كان التعجل بالزواج والزفاف في مصلحة مايا أم ضدها وبالتأكيد وافق شريف وكله أمل أن يكون هذا في مصلحتها ويعجل بشفائها وتنسى تمامًا ما مرت به وأن يبدآ حياة جديدة بلا آلام أو ذكريات موجعة ..كان شريف لا يكل ولا يمل من التقدم للوظائف وإرسال كل ما لديه من مستندات لإيجاد عمل.. وكان يكتب لهم أن جميع أوراقه كاملة ما عدا شهادة التخرج التي سوف يحصل عليها بعد شهرين تقريبًا..

أخبر الطبيب النفسي د. كامل والد مايا ان فكرة الزواج من شريف.. فكرة جيدة للغاية وسوف تبعد مايا عن أي مثيرات تؤدي إلى انتكاستها مرة أخرى.. فهو مرحب بالفكرة تمامًا..

ارتاح قلب د. كامل لما سمعه من الطبيب وأصبح الجميع موحدين في رؤيتهم للأمور وما ينقصهم إلا توفيق الخالق عز وجل..

اقترب موعد زفاف نورا وماجد وأصبحا على بعد أيام قلائل قبل أن ينطلقا في رحلة الطموح والنجومية لماجد وبصحبة شريكته نورا.. كثف ماجد من تدريباته اكثر وأكثر وكان يقوم بتنفيذ جميع تعليمات مدربه وكذلك النصائح الخاصة بالتغذية والإكثار من البروتينات وأتم إداري النادي جميع إجراءات السفر.. وكان الترتيب على أن السفر بعد الزفاف بأسبوع تقريبًا..

طلب العميد فؤاد والد نورا أن يجلس معها على انفراد قبل الزفاف بيوم واحد حيث أصبح كل شيء معد وجاهز..

جلس العميد فؤاد بجوار نورا وتحدث قائلا.. نورا أنتِ ابنتي الوحيدة.. الجميلة.. باقي يوم واحد على زفافك.. فغدًا الحفلة.. الفرح.. الليلة الكبيرة.. وأنا كأب مسئول يحب ابنته لي ان أسألك مرة أخيرة قبل أن أسلمك بيدي لزوجك.. هل أنتِ واثقة من اختيارك.. هل أنتِ راضية عن تضحياتك وما قدمتيه من تنازلات.. يا نورا مازال الوقت في صالحنا حتى ولو قبل الفرح بدقيقة إذا أردت التراجع.. فأنا كفيل بالتصدي لكل هذه الترتيبات وإلغاءها مهما كانت التكلفة يا نورا.. أنا قلبي غير راضٍ عما يحدث.. وعقلي وخبرتي في الحياة ترى ظلامًا قادمًا.. اشم رائحة مشاكل ومتاعب وتعاسة تلوح في الأفق..

نظرت إليه نورا وبدأت الدموع تنهمر من عينيها.. يا أبي.. كنت أتمنى ان أراك سعيدًا كما أنا سعيدة.. أنا دائمًا أصدقك وأعلم دائمًا

وبالتجربة ان توقعاتك يا أبي دائمًا صائبة.. لكن هذه المرة.. اسمح لي أن استمر فأنا أشعر بسعادة كبيرة وأني سوف أكون أسعد زوجة.. ماجد إنسان طيب ودائمًا أسمع منه حلو الكلام.. وأنه وعدني أني سوف أكون ملكة متوجة في بيت والدته.. وأنني محط اهتمامه.. ومصدر سعادته وأن طموحاته في البطولات الرياضية لن تتحقق بدوني..

دعني اجرب يا أبي.. وأدعو لي أن يتم الله على زواجي على خير وأن يمنحنا الله السعادة والبركة والسعة في الرزق.. ويرزقنا بالأطفال والذرية الصالحة..

تم الزفاف.. ونورا عروس ولا أجمل.. وحفل الزفاف.. راقي.. هادئ.. شيك.. رقيق.. منظم.. كل شيء كان رائع.. حتى الحاجة نعمات كانت في سعادة غامرة.. حيث كانت طاولات الطعام مليئة بخيرات الله من كل ما لذ وطاب.. وكان الجميع يقول إنها ليلة من ألف ليلة..

سافرت نورا وماجد لقضاء أسبوع العسل في أحد المنتجعات القريبة من القاهرة وباقي على سفر ماجد إلى كييف بأوكرانيا عشرة أيام.. أسبوع لقضاء شهر العسل وثلاثة أيام في التمرينات لإزالة آثار الطعام والوزن الزائد والتخلص من الدهون..

في ذلك الأسبوع كانت الحاجة نعمات تشيط غضبًا.. لماذا تركوها وحدها لمدة سبعة أيام كاملة.. لماذا لا يقضون شهر عسلهم هذا هنا في البيت كي يهتموا

بي.. أين زوجة ابني الآن.. تهنأ وتنعم ويقوم على خدمتها العاملين بالفندق وأنا هنا وحدي لا أجد من يقدم لي شيئًا ولا كوبًا من الماء لماذا لم يأخذونني معهم إلى الفندق.. ماجد لم يعد ابني لقد أصبح زوج نورا.. زوج الست.. زوج الهانم.. وأنا أظل بلا أنيس بلا ابن وزوجة ابن.. من يساعدني أو يجالسني.. هذا الابن العاق وتلك الزوجة اللئيمة.. لقد قطع لي وعدًا أنه إذا تزوج فسوف يأتي بزوجته للعيش هنا لخدمتي.. لتسهر على راحتي.. وتستعطفني وتتمنى أن أرضى عنها..

هكذا كان دومًا يخبرني أن أساعده في زواجه وأعطِه نقودًا وهو بالتالي يضمن لي العيش الهانئ.. والآن يبدأ حياته بخداعي.. يذهب بعيدًا لمدة سبعة أيام كاملة.. والأكثر من هذا أن هاتفه وهاتفها مغلقان..!!

***

بدأت مروة أولى خطواتها في عالمها الجديد.. والمجهول.. ألتزمت بما قيل لها من تعليمات.. وأول هذه التعليمات هو الفصل في العمل بين مروة وعلاء فكل منهما سوف يعمل بمفرده ويتلقى تعليمات تخص عمله وحده والأماكن التي سوف ينقل إليها لفافات المخدرات.. وكل التفاصيل الخاصة بذلك..

تحمست مروة للعمل وظنت إنه عمل تافه ومن سهولته إنها كانت تطلب المزيد لتقوم بنقله وكانت تدون كل الأماكن التي تذهب إليها بالجرعات لتقوم بحساب راتبها حيث هم أبلغوها أن لكل نقلة مبلغًا كبيرًا من المال وإذا احضرت لهم زبائن فلها مبالغ إضافية وغير مسموح لها التحدث مع علاء خطيبها عن الأماكن والأشخاص الذين تذهب إليهم.. وهو كذلك.. وشيئًا فشيئًا أصبح لدي مروة وعلاء مبالغ كبيرة من المال.. اتفقا على الزواج وشراء شقة.. وبالفعل ذهب علاء إلى العم زكريا لإقناعه بقبوله من دون وجود أهله معه.. حيث طالما رفض زكريا أن يزوج ابنته لرجل على قطيعة مع أهله وتحديدًا الأم حيث هي غاضبة عليه..

ولكن بعد الإلحاح الشديد من علاء ومروة اضطر العم زكريا للموافقة أخيرًا وعلى مضض.. وبالفعل قاما بشراء شقة وأشرفا على تأثيثها واتفقا على تحديد موعد الزفاف بعد شهر..

***

أنهى شريف آخر أيام الاختبارات النهائية للسنة النهائية وأصبح على بعد أيام قلائل على تخرجه.. وفي هذا اليوم تحديدا تلقى خطابًا من شركة ملاحة إيطالية ومحدد به موعد للمقابلة الشخصية وعليه أن يستعد بجميع أوراقه.. والمؤجل منها.. يمكن تقديمه بعد أن يجتاز الاختبارات والمقابلة الشخصية وأن هذه الشركة مقرها الرئيسي مدينة جنوة الإيطالية..

وبالفعل توجه شريف وكان على أتم استعداد علميًا وشخصيا لهذه المقابلة فهي تعد فرصته الأولي في عالم العمل كضابط بحري تجارى..

هاتف مايا تليفونيًا بعد أن أنهى المقابلة وأخبرها انهم سيرسلون إليه إذا وقع اختيارهم عليه.. وتواعدا على اللقاء للتنزه في أحد الحدائق وبعدها تناول بعض الفطائر ثم التوجه لشرب القهوة المعتادة في مكانهم المفضل «البن البرازيلي» بمحطة الرمل..

وفي الصباح تلقى شريف بريدًا إلكترونيًا انه تم اختياره للعمل لدي شركة الملاحة الإيطالية.. وعليه اتمام إجراءاته للاستعداد للسفر في أقرب وقت وأنه عليه التوجه إلى مقر الشركة الفرعي بالإسكندرية للتوقيع على العقود ومعرفة كافة التفاصيل.. وفور انتهائه من قراءه البريد حادث مايا انه يريد مقابلتها لأمر في غاية الأهمية.. وفعلًا التقيا واصطحبها معه إلى مقر الشركة حيث وقع

على العقود وأخبرهم إنه سيتزوج وبعدها يكون جاهز للسفر ومعه زوجته بصحبته حيث يتعين على الشركة اتمام إجراءات التأشيرة لهما معًا وتجهيز مكان اقامة لهما..

ثم هاتف شريف الذي كان يشعر انه كفراشة تلتصق بنور مايا ودفئها وحنانها.. هاتف اباه سيادة العميد فؤاد أن يحضر للإسكندرية للاتفاق على كل التفاصيل مع والد مايا بشكل رسمي وعائلي..

فرح الأب بشدة حيث انه كان يحب مايا بشدة ويحب أباها.. ودائمًا ما كان يحث شريف على الاهتمام بمايا وإحسان المعاملة لها..

تعمد شريف عندما كان يراسل شركات الملاحة أن يختار الشركات الأجنبية ويبتعد عن الشركات المصرية لأنه كان يفضل أن تكون السنوات الأولى لزواجه بمايا أن تبدأ خارج مصر.. وأن الشركات الأجنبية سوف توفر له ذلك أن يقيم في تلك البلد.. كان خوفه على مايا أن تحتك بالمجتمع.. ربما تصادف أحدًا يشبه في الشكل ذاك المجرم «فرج» أو ان تمر من أمام الڤيلا التي حدثت بداخلها تلك الواقعة.. لذلك هو آثر أن تكون البداية والسنوات الأولى في دولة أخرى.. وهذا تمامًا ما قام شريف بشرحة لوالد مايا عندما ذهب بصحبة أباه سيادة العميد للاتفاق على كتب الكتاب والزفاف.. حيث كانت مايا منشغلة في إعداد بعض الحلوى لهم..

فرح د. كامل بما سمعه من شريف وأن السفر يصب في مصلحة مايا تمامًا وبقدر فرحه على اهتمام ورعاية شريف لمايا.. بقدر حزنه على فراق مايا وسفرها بعيدًا عنه.. فلقد تعود أن يراها كل يوم وفي اليوم أكثر من مرة.. وأنهما

كانا يقومان بكل شيء سويًا.. فلم يبق لهم إلا بعض كما يقولون.. وذلك بعد وفاة والدتها قبل التحاقها بالجامعة..

جلسا مايا وشريف لإعداد قائمة بالمدعوين لحفل الزفاف من الأقارب والأصدقاء.. فحمل كل منهما ورقة وقلمًا.. يكتبان من يرغبون في دعوته للحفل.. كتب شريف بعضًا من أصدقاء الدراسة المقربين وبعضًا من الأصدقاء القدامى وعندما جاء ذكر علاء صديقه القديم في رأسه.. فإذا به يشعر بغصة في حلقه وعدم الراحة لدعوته.. فقام بشطب اسم علاء من قائمة المدعوين فهو لا يعلم أي شيء عن علاء بعد ما كان بينهما في الفترة الماضية من لجوء علاء اليه ليخلصه من غضب اباه بكذبة.. ورفض شريف القيام بهذا الدور والكذب من اجله.. هذا آخر عهده بعلاء فلا يعلم ما مر به بعدها ولم يكن اطلاقا يتوقع ان يكون علاء قد خط اولي خطواته كتاجر صغيرًا للمخدرات وأن شريكة حياته القادمة هي شريكته في تلك التجارة المحرمة.. والسم الذي يؤذي به هذا الشعب الطيب.. شطب علاء من القائمة... احتلت مروة وبعدها علاء مكانة كبيرة في شبكة توزيع المخدرات وأصبح لهما اسما معروفًا لدى جميع أعضاء الشبكة.. فعرفت «مروة» باسم «الهانم» وعلاء باسم «البرنس» وصار للهانم والبرنس مساعدين أو «صبيان» كما كان ينادونهم للعمل تحت أمرتهم وتلقى الأوامر..

وصل اسم الهانم والبرنس إلى مسامع أفراد مكتب مكافحة المخدرات.. وبدأ رجال مباحث المخدرات عملهم لجمع معلومات عن الهانم والبرنس.. من هما وما هي أسماءهم الحقيقة وأي معلومات تفيد البحث.. وأهم سؤال

هو.. مع من يعملون ومن هم أفراد الشبكة والصبيان الذين يعملون تحت أمرهم.. وكان هذا بالطبع يحدث في سرية شديدة..

آخر يوم في أسبوع العسل.. نورا وماجد في غاية السعادة.. قررت نورا أن تقوم بتشغيل هاتفها لأول مرة منذ اسبوع تقريبًا للاطمئنان على جميع الأهل والأصدقاء والرد على الرسائل.. وقام ماجد أيضًا بفتح هاتفه ليجد عشرات الرسائل من اصدقاءه ومدرب وإداري النادي ونحو أكثر من مائة رسالة صوتية من الحاجة نعمات والدته.. ليس بها إلا توبيخًا وتأنيبًا على إهماله لها والسفر بدونها وإغلاق هاتفه.. وكم هو ابن عاق وشعورها بالندم على إنجابه ورعايته إلى أن أصبح رجلًا مثل «البغل» على حد تعبيرها..

قام ماجد بإلغاء جميع الرسائل الصادرة من والدته خوفًا من ان تصل إلى مسامع نورا.. ثم قام بالاتصال بها تليفونيًا معتذرًا ومتوسلًا لها أن تنسى له إغلاق هاتفه حيث وجوده في شهر العسل لا يستطيع معه الرد على مكالمات وخلافه.. وحاول بشتى الطرق تقديم الوعود إنه سوف يعود بعد يوم واحد ويهتم بها كل الاهتمام وايضا معه زوجته نورا لتقوم على راحتها وتقديم كل المساعدة لها.. نجح ماجد في إخماد ثورة والدته واتفقا على أن تزيد صبرها عليه يومًا آخر.. وبعدها سوف ترى شيئًا آخر منه ومن نورا..

***

بدأت مروة وعلاء في التخطيط لعمل ساتر لأشغالهم.. فقد تضخمت ثروتهما وأصبح الرقم في البنك كبير.. وخشيا أن يفتضح أمرهما.. ويطبق عليهما قانون «من أين لك هذا»؟.. ففكرا في شراء متجرًا للملابس الجاهزة.. حيث كان لدي علاء خبرة كبير في هذا المجال كي لا تثار الشكوك حولهما.. وأن هذا المتجر سوف يساعدهما على جلب شحنات من المخدرات من خارج البلاد.. وعن طريق أوراق استيراد الملابس الجاهزة يمكن أيضًا تمرير بعض الأكياس الصغيرة من الكوكايين.. ثم طرأت لعلاء فكرة أنهما يمكنهما الاستعانة بالعم زكريا دون أن يدري فهو سائق حافلات بشركة مصر للطيران.. فدخوله وخروجه من المطار أمر يومي يقوم به منذ أكثر من ربع قرن وهو معروف لدي سلطات المطار.. سمعته طيبة ولا يخضع للتفتيش الدقيق مثل الراكب أو المسافر العادي.. استمعت مروة إليه، ولم تعترض بل على العكس شعرت أن مستوى ذكاء علاء ارتفع للغاية وأنه أصبح مخططًا جيدًا في أساليب التخفي والبعد عن إثارة الشبهات..

وبالفعل كانت تصل بعض الشحنات مع أحد الركاب وكانت مروة تطلب من والدها مقابلة المسافر القادم من بيروت او الدار البيضاء فيأخذ

منه حقيبة يد صغيرة ظانًا ان بها بعض الأدوات والإكسسوار الخاص بصناعة الملابس..

وبالفعل يوجد داخل الحقيبة اكياس من الأزرار أو بعض من الخيوط المميزة لحياكة الملابس.. لكن دائمًا تكون للحقيبة أماكن سرية مخبأ بها المخدرات.. وهذا المسكين.. الأب المخدوع.. عم زكريا.. يحمل الحقيبة بكل همة وإخلاص وأمانة ظانًا منه أنه يقدم المساعدة إلى مروة وزوجها علاء في نجاح مشروعهما.. متجر الملابس ولم يخلد إلى ذهنه ولو للحظة أن ما يحمله في يده يقدر بملايين الجنيهات وفي الوقت ذاته يدمر عقول وصحة عشرات بل مئات من الشباب ولم يتبادر إلى ذهنه اطلاقًا ان ابنته.. قطعة منه.. من تحمل اسمه.. هي من تعرضه للخطر و هي التي تسخر منه وتجعله يحمل السم في صورة ادوات حياكة.. وأن عقابه إذا عُرف ما بداخل الحقيبة لسوف يكون السجن المؤبد وربما الإعدام..

هل تدرك مروة هذه الحقيقة أن اباها.. عم زكريا.. إذا اكُتشفت أمره فلن يكون في تلك الساعة.. عم زكريا.. أباها الطيب الحنون.. قارئ القرآن المصلي.. قارئ الكتب.. عاشق الورق الأصفر القديم صديق بائعي الكتب القديمة على سور الازبكية.. بل سيتحول في نظر القانون والاعلام إلى المجرم.. تاجر المخدرات الفاسد.. عديم الانسانية.. من يقوم بتدمير الشباب.. من يجلب المخدرات من دول أخرى كل تلك التوصيفات والاتهامات والسباب سوف يكون من نصيب أباها بالإضافة إلى البدلة الزرقاء الزي الرسمي لمن هو قابع في غياهب السجون وظلمات الزنازين وربما الازرق يتحول للأحمر.. فالاتجار

في المواد المخدرة عقوبتها في القانون هي الإعدام.. يُعدم أباها.. يموت عم زكريا البريء بسبب فعلتها.. بسبب غباءها.. جحودها.. أنانيتها.. كذبها.. طمعها وحلم الثراء السريع.. شاركت مروة في تدمير بلد بأكمله في مرحلة نموه..

ويحتاج أن ينمو بسواعد الشباب.. التي تقوم هي وعلاء وأخرين من المجرمين بالعمل على إذهاب عقل هؤلاء الشباب.. فلا بناء.. ولا تنمية.. وتظل هكذا بلد نامي إلى الأبد.. لا تعرف أن تكون بلد متطور.. بلد متقدم.. بلد صناعي.. مبتكر..

لا تدرك مروة كل هذا ولا تريد حتى التفكير فيه أو التذكير به.. ولا تكترث بما يمكن أن يكون مصير أباها أو شباب بلدها فكل تفكيرها واجتهادها منصب فقط على ابتكار أساليب جديدة للتوزيع والتنكر والتهرب من رجال مكتب مكافحة المخدرات لكن الله دائمًا بالمرصاد.. فكان رجال مكتب المكافحة أكثر يقظة مما كانت تظن وأشد دهاءً مما كانت تعتقد وبدأ الخناق يضيق حول مروة وعلاء وبدأ العد التنازلي لكي يقعا في قبضة الشرطة..

كانت هناك رسالة من مروة إلى نورا تهنئها بالزفاف وشهر العسل وتتمنى أن تراها أو تزورها لتقديم لها هدية الزواج.. وأرسلت مروة مع الرسالة صورة سيارة ألمانية الصنع.. فاخرة باهظة الثمن وأبلغتها إنها صورة سيارتها الجديدة..

عادت نورا إلى القاهرة مع زوجها ماجد.. لتبدأ أولى أيامها في بيته مع والدته الحاجة نعمات.. وفي الطريق طلب ماجد التوقف أمام متجر للحلوى..

وقام بشراء مجموعة متنوعة من الحلوى الشرقية وبعض المكسرات.. قبل الذهاب إلى البيت فكانت تلك اللفافات من الحلوى بمثابة الحماية والحصن من وابل الرصاص الذي سوف تمطره به الحاجة نعمات.. والذي ادخرته يومًا بعد يوم منذ أن سافر ونورا إلى أسبوع العسل.. فهذه اللفافات هي البلسم الشافي للسانها وكفيل بتحويل ما به من سم ناقع إلى قطرات من العسل يمتد مفعولها إلى ان يفرغ الطعام والحلوى عن آخره في البيت.. لتبدأ رحلة عودة السم إلى لسانها وانطلاق رذاذه وزخاته لتصيب كل من حولها باللعنات والتكدير وتنغيص العيش.. وهذا ما لم تكن تعلمه نورا أو حتى تتوقعه أن هناك أمهات بهذه الصورة وعلى تلك الشاكلة ..انقضى أول يوم بسلام في بيت الحاجة نعمات، وفي اليوم التالي بدأ ماجد يستعد للذهاب إلى النادي لأداء التمرينات حيث إنه باقي يومين على سفره للاشتراك في المسابقة بأوكرانيا.. وهمت نورا بالاستعداد للذهاب معه إلى النادي والركض حول التراك كما كانت تفعل في الماضي القريب قبل الزواج..

وإذا بهما على باب الشقة يسمعان من يناديهما من الخلف إنها الحاجة نعمات «إلى أين انتما ذاهبان»؟.. أجاب ماجد إلى التمرين في النادي.. الحاجة.. حسنًا.. أنت ذاهب إلى التمرين لأجل المسابقة.. ولماذا تصطحب زوجتك معك..

أجابتها نورا.. أنا معتادة على الرياضة الصباحية في النادي.. فالمشي مفيد للغاية لكل الجسم وخاصة القلب.. قالت الحاجة «ده كان زمان يا حبيبتي قبل الزواج.. الآن انت زوجة.. لازم تراعي زوجك وام زوجك.. اذهب انت يا

ماجد.. ربنا معاك يا بني واترك لي نورا معي كي نقوم بتحضير أمور المنزل سويا»

نظرت نورا إلى ماجد الذي لزم الصمت وهم بالخروج وبعد دقيقة وجدت نورا نفسها في البيت مع الحاجة نعمات التي بدأت في إملاء بعض القواعد والممنوع والمسموح في البيت.. وبعدها أوكلت إليها معظم مهام البيت من تنظيف وترتيب وغسل وكي الملابس والطبخ.. هذا بالإضافة إلى خدمة الحاجة نعمات شخصيا..

فكانت الحاجة تنطق اسم نورا في اليوم الواحد مئات المرات.. تحملت نورا اليوم الأول.. وكانت منهكة وفي غاية التعب إلى أن عاد ماجد في المساء وما أن أغلقا عليهما باب حجرتهما.. إذا بالحاجة نعمات تبدأ في البكاء بصوت عالٍ مسموع.. وتحزن على حالها.. أن تسهر أمام التلفاز وحيدة بلا أنيس أو جليس فاضطرا ماجد ونورا بالجلوس معها بالرغم من التعب الشديد والآلام التي كانت تسري بجسد نورا وكذلك ماجد من قوة وكثرة التدريبات..

***

قامت مروة بالاشتراك في النادي.. دفعت مبلغًا باهظًا من المال قيمة العضوية وأصبحت عضوًا بعد أن كانت مجرد مرافق لمن يحمل بطاقة العضوية.. حيث كانت تستعين بنورا لمساعدتها في الدخول إلى النادي.. فكانت تصف سيارتها الفارهة بالداخل بعد الدخول من البوابة.. وكانت دائمة البحث عن نورا.. ولكن لم تجدها ولم تكن تعلم طبيعة حياة نورا الجديدة.. فلم يكن الهدف من اشتراك مروة في النادي فقط للتفاخر وأن تنهى عقدتها القديمة وتصبح عضوًا.. بل لفتح أسواق جديدة ومنافذ للبيع السري للمخدرات في النوادي.. بعد أن قامت بعمل شبكة للبيع في الجامعات وخاصة الجامعات الخاصة منها..

واستمر تتبع رجال مكتب مكافحة المخدرات لنشاطاتها وكان الهدف من تأجيل القاء القبض عليها هو الصبر لمعرفة جميع أفراد شبكتها في الأماكن المتعددة التي فتحت منافذ بيع فيها وآخرهم هو النادي..

***

استعد ماجد للسفر إلى البطولة وكان من المفروض أن تصحبه نورا زوجته في السفر.. لكن الحاجة نعمات كان لها رأيًا آخر حيث أثارت زوبعة من البكاء صاحبها بعض الإغماء والادعاء أن ضغطها في ارتفاع وإنها أوشكت على مفارقة الحياة.. وأن هذا ما سوف يجلب الفرح والسرور إلى نورا حيث إنها تشعر أن نورا تريد التخلص منها كي تحصل على البيت وماجد لنفسها..

هذا ما قالته الحاجة نعمات في وجه نورا وماجد.. مما أبكى نورا واذرفت من الدمع الكثير والكثير والكثير.. وبالطبع لإثبات أن نورا لا تكن تلك المشاعر القبيحة تجاه الحاجة نعمات.. آثرت المكوث معها على الذهاب في أول رحلة لها خارج البلاد بصحبة زوجها.. السلبي الصامت الذي لم ينتصر لها في يوم من الأيام ولم يعرف طريق الوقوف إلى صفها يومًا.. وكان كتلة ليست عضلية فحسب.. انما كان كتلة من الأنانية تمشي على الأرض.. وأن التنازل والتضحيات لم يكتبا إلا باسم نورا فحسب وأنه بعيد تمامًا عن كل هذه المعاني.. وأنه كان يتعجل الزفاف قبل ميعاد سفره ليس لحبه لنورا أو رغبته في اصطحاب نورا معه ولكنه ليقينه انه لن يستطيع السفر وترك أمه الحاجة نعمات وانها سوف تقوم بعمل اي شيء إذا سافر وتركها كما هددته حتى لو وصل بها

الحال لإبلاغ الشرطة عنه وادعاء انه سرق نقودها.. لمنعه من السفر إلا إذا اوجد البديل.. من تقوم على خدمتها على مدار الساعة..

وقد حاول جلب العديد من الخادمات لكن لم تتحمل أي منهن طباع الحاجة نعمات الصعبة وكثرة مطالبها.. وطريقة معاملتها التي لا تخلو من الاهانات تصل إلى السباب.. هكذا بدأت أقنعه ماجد في السقوط أمام نورا.. وبدأت تجد تفسيرًا لإلحاحه والعجلة في اتمام الزفاف في ثلاثة اشهر..

***

كان العميد فؤاد عاكفا ومنهمكًا على كتابة مذكراته وذكريات حرب اكتوبر العظيمة بكل تفاصيلها.. وخباياها التي كان مسموح بنشرها والافصاح عنها.. وكان هدفه من وراء ذلك ان يتعلم الشباب والاجيال التي لم يكن لها نصيب من معاصرة زمن تلك الحرب العظيمة.. كيف تكون الارادة.. القوة.. الصبر.. الجلد.. التحدي.. التحمل.. كل هذا مصحوبًا بالتخطيط السليم والاستعداد الكامل بدنيًا وفنيًا وايمانهم بأن الله يرعاهم ما داموا على الحق والانتصار للمظلوم..

وكان العميد فؤاد دائمًا ما يري ان كل ما كتب وما قيل ليس بكافي ولا يستوفي ربع الشرح المفروض عن تلك الحرب.. وبما انه واحدًا من افراد القوات التي شاركت فيها.. فهو شاهد عيان وشاهد على عصر الحرب المجيدة.. وشاهد على انكسار العدو وذلهم.. تراجعهم وتقهقرهم أمام طوفان رجال الجيش المصري وكيف لعبت المرأة دورًا في الحرب سواء بالتمريض.. التبرع بالدم وحث الأولاد على الذهاب للقتال وكذلك الدعاء وهو ما كان يصل إلى السماء وايضًا ذكر كم كان اهل سيناء وقبائلها في نصرة وصفوف الجيش المصري واظهروا كمًا من الوطنية غير العادية وكم من ادوار لعبوها لتحقيق النصر وطرد العدو المحتمل من اطهر البقاع في العالم.. أرض الانبياء..

***

في تلك الأثناء وضع شريف مع مايا اللمسات الأخيرة لإتمام زفافهما وكانت مايا تزداد جمالًا يومًا بعد يوم.. ويزداد معه حبها لشريف الذي كان تقول عنه دائمًا.. أنه الدنيا.. أنه شريف الأشراف..

تم تعيين شريف في شركة الملاحة الإيطالية والتي سوف يبدأ أولى رحلاته على سفنها من جنوة.. حيث سوف يقطن شريف مع عروسه مايا متجها إلى ميناء طنجة بالمغرب..

وبالفعل تم الزفاف في أرقى الفنادق بالإسكندرية، وكانت مايا ملكة كملكات العصر الحديث.. جمالها يخطف الابصار.. قضيا بعدها ثلاثة أيام بالإسكندرية ثم توجها مباشرة إلى جنوة بإيطاليا..

سافر ماجد مع البعثة الرياضية متجهًا إلى كييف بأوكرانيا.. تاركًا نورا إلى طوفان امه الحاجة نعمات تصارع أمواجها وتغرق في لكمات من لسانها الذي لا يعرف للكلمة الطيبة طريقًا.. وبعد بضعة أيام استطاعت نورا التي اتخذت الصبر سلاحًا كي تستعين به على متاعب الحياة وشقائها في بيت زوجها الخروج في صباح أحد الأيام للذهاب إلى النادي الذي استوحشها كثيرًا وشعرت كأنها لم تعد ترتاده بعد الزواج.. وكأن زواجها جاءه بمثابة العقوبة.. عقوبة على ماذا.. ربما لأنها ظلمت نفسها بتقديمها كل تلك التنازلات لمن لا يستحق

حتى التفكير فيه.. وها هو الآن في أوربا وتاركها إلى براثن أمه كي تفترسها ببطء إلى ان تنتهي شيئًا فشيئًا..

دخلت نورا إلى طرقات النادي وشعرت انها عرفت قيمة هذا المكان اكثر من أي وقت مضي.. فدائما الاحساس بالحرمان يجعلنا نعرف قيمة الاشياء الحقيقية.. تجولت.. وألقت السلام والتحية على كل من تعرفهم وحاولت اللف والركض في التراك لكنها لم تستطع حيث اصبح جسدها منهكًا من اعمال المنزل وخدمتها للحاجة نعمات.. فلم تعد تقوى على الركض كسابق عهدها.. ما اضاف على وجهها نظرات من الحزن قد لاحظها الجميع.. فالنور انطفأ والزهرة أذبلت..

فبينما هي جالسة.. حزينة.. غابت عنها الابتسامة في حديقة النادي اذ سمعت من يحادثها من خلف كتفها.. نظرت خلفها.. انها مروة..

نظرت ثانية.. انه صوت مروة.. فهل هي صحيح مروة.. نعم لكنها صار اجمل.. اشيك.. ترتدي الكثير من الحلي المصنوع من الذهب وخلافه وبيدها مفاتيح سيارة من الماركات الألمانية المعروفة وهاتف باهظ الثمن..

جلسا سويا تبادلا الحديث في شتي الأمور وكانت نورا في ذهول من تبدل الحال.. فزهرة نورا ذبلت وزهرة مروة اينعت.. حتى طريقة كلامها اختلفت وأصبحت بحق سيدة مجتمع.. وتنفق ببذخ.. أكل هذا من زوجها.. أهو غني إلى هذا الحد..

سألت مروة نورا عن أحوال سيادة العميد ومدام كريمة وشريف.. وعندما جاء الحديث عن شريف استفاضت مروة في الاسئلة.. فأخبرتها نورا

انه تخرج في الاكاديمية البحرية.. ويعمل لدي شركة ايطالية في ايطاليا.. وأنه تزوج وسافر منذ أيام قلائل وبعد اسبوع تقريبًا سوف تبدأ أولي رحلات مركبه من جنوة إلى ميناء طنجة في المغرب.. وما ان سمعت مروة اسم المغرب.. طرأت في رأسها فكرة. من الممكن ان تستعين بشريف بدون علمه على جلب المخدرات من تجار المغرب إلى مصر.. حيث إنه في الآونة الأخيرة يجدون صعوبة بالغة في ادخال شحناتهم إلى البلاد حيث أصبح رجال مكتب مكافحة المخدرات اكثر يقظة واستطاعوا ان يحبطوا الكثير من عمليات التهريب.. لذلك فكرت في الاستعانة بعناصر جديدة ووجوه غير مكشوفة وليس لها اي ملفات لدي رجال جهاز مكافحة المخدرات لذلك قررت ان توطد علاقتها أكثر بنورا.. والأمر الآخر الذي طرأ على رأسها هي الاستعانة بنورا نفسها في توزيع المخدرات داخل النادي وبدون أيضًا أن تشعر كما تفعل مع أباها وما تريد تنفيذه مع شريف..

مضى الوقت في النادي سريعًا، ولم تشعر نورا ولم تدرك كم مضى عليها وهي بين الطبيعة والهواء الطلق تتأرجح لتعلن عصيانها على عالم ماجد والحاجة نعمات أو حسب ما بدأت نورا تشعر.. الحاجة نقمات.. تكره العودة إلى ذلك السجن وتلك السجانة.. فهي لم تخلق لهذا.. لم تتم تعليمها في كلية الفنون الجميلة لتصبح خادمة مهانة بدلًا من فنانة مبدعة مرموقة يتحدث عن أعمالها القاصي والداني..

تذكرت نورا حديث والدها وتكرار حديثه حتى قبل الزفاف بيوم واحد.. آه كم من الخبرات يمتلكها ذلك الأب الحكيم الحليم الحنون.. يعطيها

كل الحريات المتاحة في العالم لكنه في ذات الوقت لم يبخل عليها بالنصيحة وإبداء مخاوفه وعدم ارتياحه من ماجد ومن تصرفات نورا وحجم التنازلات التي قدمتها ولم تحصل على أي شيء ولا حتى المعاملة الطيبة.. ها هو ماجد في بلاد تحترم الحريات وتحترم المرأة.. يتركها فريسة لامرأة بلا قلب أو عقل.. لا تملك إلا السيطرة على فمها وما يلبي نداء شره جوعها..

خدعتني بمعسول الكلام في أول لقاء ومن كثرة تكرارها كلمة «ابنتي» ظننتها سوف تضعني في مكانة الابنة لها.. لكنها في الظاهر تقول ابنتي وفي الباطن تعني «خادمتي»... هل من مخرج ؟؟؟!!!!.. آه كم تمنيت أن ارتمي في أحضان أبي واحتمى بذراعيه واطلب منه العفو والغفران علي ما ارتكبته في حقه بعدم الأخذ بنصيحته والتراجع في الوقت المناسب وعلى ما ارتكبته في حق نفسي وآدميتي من إلقاء نفسي في هلاك ماجد ونقمات... أقصد نعمات..

أدفع ثمن حماقتي وعنادي.. انجرفت وراء نظرات ماجد الحالمة وكلامه المغلف بكل معاني العشق ووعوده الكاذبة بأنني سوف أكون ملكة حياته وأميرة أحلامه وشريكة له في عالم الاضواء والشهرة... كل الكلام والوعود والنظرات الكاذبة لا تروي مشاعر حب.. أنا من استحق أن توضع في قالب الخادمة لأنني وقعت في فخ ماجد الأناني.. المتحدث اللبق عن مشاعر دافئة ومستقبل زاهر.. أصبح وهمًا.. سرابًا..

لقد رأيت الوهم بعيني ومسكت سراب نعمات بيدي.. الأم التي لا تعرف عن الأمومة غير شهوة البطن.. وماجد وحديثه العذب المغلف بالسم.. وظننته حبًا..

***

بدأت مسابقات كمال الأجسام في أكبر وأضخم الصالات الرياضية في العاصمة الأوكرانية «كييف» استعد جميع المتسابقين وقبل بدء المنافسات قامت اللجنة المنظمة باختيار عشوائي لبعض الرياضيين لعمل تحليل المنشطات.. لقياس ما إذا تعاطى أحدهم لمواد منشطة تساعد المتسابق في ظهور العضلات والقوة والتحمل اكثر من غيره.. وقد وقع الاختيار على اربعة من المتسابقين كان ماجد أحدهم وبالفعل قام بعمل التحليلات وأخذ العينة.. ثم توجه إلى المكان المخصص له لحين أن يأتي دوره للصعود على خشبة العرض للقيام بالعرض الخاص به واستعراض عضلاته المتفرقة في أماكن متعددة من جسده..

بالفعل قام ماجد بعرض مذهل أذهل جميع الحاضرين.. وكان قد تدرب عليه مرارًا وتكرارًا في القاهرة.. وفور انتهاء العرض تقدم إليه بعض المدربين من الدول المنافسة لتحيته وإبداء إعجابهم بمستوى لياقته وضخامة عضلاته.. مما أدخل الفرحة على قلبه.. ومن أول لحظة أصبح لماجد معجبين وأيضًا معجبات.. وكانت أكثرهم إعجابًا فتاة اوكرانية شقراء .. بيضاء .. زرقاء العينين.. رائعة الجمال.. صارت تتقرب إليه وتسير خلفه في طرقات وأماكن اللاعبين في الصالة الرياضية المغطاة.. ولم تترك مناسبة إلا واقتربت فيها منه بابتسامات ونظرات الإعجاب وبدأت تتحدث إليه بإنجليزية ركيكة عن كم

هو رائع وكم هي تحب المصريين وإن حلم حياتها أن تقابل أحدهم وتعيش معه قصة من الإعجاب المتبادل ولربما يتطور ليكون شيئًا آخر..

وفي صباح اليوم التالي وجد ماجد نفس الفتاة في مطعم الفندق حيث كان ماجد يتناول طعام الإفطار مع بقية افراد البعثة.. تقدمت نحوه ماسكة في يدها إحدى الجرائد الأوكرانية وفتحتها أمامه، وأشارت له إلى صدر الصفحة الرياضية ليجيد صورته بجسده الكامل وعضلاته اللامعة.. فطلب منها أن تترجم له ما هو مكتوب عنه.. فأخذت تترجم وتشرح كل ما قيل عنه.. كيف إنه البطل المنتظر وإنه مفاجأة البطولة وأن معظم النقاد الرياضيين أشادوا بمستوى لياقته، وأنهم ما رأوا قط حجم عضلات مثل عضلاته.. ثم بعد ذلك عرضت عليه الفتاة التي قامت بتعريف نفسها إليه باسم «سامانتا».. عرضت عليه أن تصحبه في نزهة داخل البلد فهي تحفظ كل شبر فيها وتؤكد له كم سوف يستمتع بتلك النزهة..

وافق ماجد ولكن أكد عليها إنه يجب أن يعود قبل الثالثة ظهرًا حيث عليه أن يتواجد في الجيم ليقوم بعمل بعض التمرينات الخفيفة للمحافظة علي لياقته.. وبالفعل انطلقا ماجد وسامانتا إلى اماكن متفرقة وتوطدت علاقتهما دقيقة بعد الاخرى وعند عودتهم إلى الفندق الذي يقيم فيه ماجد كان هناك حشد من الصحفيين يجرون لقاءات مع بعض الرياضيين.. وكانوا في انتظار ماجد مفاجأة البطولة وبمجرد هبوطه من سيارة الأجرة وبصحبته «سامانتا» انهالت عليه الكاميرات ترمي بضوء فلاشها عليه وعليها وهما بيدان متعانقتان.. ومن يراهما لا يظنه إطلاقًا إنهما تعارفا فقط لأول مرة في الصباح.. وهذه أول

نزهة لهما سويا حيث كان ماجد معانقًا بأصابعه أصابع «سامانتا».. وفي خلال ساعات قليلة التقطت وكالات الأنباء حول العالم الصور والأخبار..

وبينما نورا تقوم بتنظيف المنزل كالعادة وتتلقي الأوامر من نعمات وتسمع منها ما يؤذيها.. كم هي مهملة وغير مرتبة ولا تهتم بطعامها ولا تقدم لها أي خدمات وأن ماجد أخطأ باختيارها زوجة.. وأن أي امرأة ريفية غير متعلمة افضل وانفع لهم منها.. تسمع نورا بأذنيها، ولا تستطيع أن تبادلها السباب.. فقد تربت نورا على الصبر واحترام الكبير..

دق جرس هاتفها.. جففت يدها والتقطت هاتفها فاذا بمروة تطلق لها التهاني.. الف مبروك.. فرحت لك حقًا.. لم تفهم نورا ما سر كل تلك التهاني والمباركات..

استطردت مروة قائلة ان صور ماجد في كل الجرائد حيث أبلى بلاءً حسنًا في منافسات الأمس وأصبح ملء السمع والبصر ويقولون عنه إنه اسطورة ومفاجأة البطولة وأن اغلب النقاد يرشحونه للمركز الأول.. لم تدرِ نورا بنفسها، وهي تبكي وتضحك في الوقت ذاته مثل هطول المطر في يوم مشمس.. هل تفرح لنجاح ماجد بدونها بعد وعوده لها ان تكون بجواره.. شريكته في النجاح.. يتشرف بها.. تدير اعماله.. تساعده في تنظيم مواعيده.. غذاءه.. تدريباته.. لقاءاته الصحفية وغير كل هذا.. أم تحزن ان تسمع وتعلم عن خبر نجاحه وتألقه من مروة.. فلم يهاتفها ولو مرة واحدة.. سألت نورا مروة من اين اتت بتلك الاخبار.. فأجابتها من الجرائد.. هل معك جرائد الآن.. فأجابتها نورا بالنفي.. فعرضت مروة أن تقابلها نورا في النادي وتعطيها

الجرائد بصورة زوجها داخلها.. "صورته رائعة والأكثر روعة تلك الفتاة التي بصحبته في جميع الصور.. فهي رائعة الجمال.. جمال أوروبي"..

لا تعلم نورا كيف ارتدت ملابسها وماذا اختارت لترتديه ولأول مرة في حياتها أن تغادر نورا بلا الوقوف طويلًا، النظر في المرآة.. المرآة صديقة كل انثى.. فعادة نورا دائمًا أن تنظر في المرآة مرات عديدة على فترات متقطعة عندما تستعد للخروج و مرة طويلة قبل اختيار ملابسها.. ومرة بعد اختيارها ووضعها على جسدها من الخارج لترى تناسق الألوان والذوق ومرة أخرى قبل دخول الحمام حيث تنظر إلى بشرتها وشعرها ثم يأتي دور مرآة الحمام.. فتنظر إليها طول الوقت عن غسل اسنانها وغسل وجهها وتفحص كل تفاصيل الوجه.. ثم تعود مرة أخرى إلى مرآة حجرة ارتداء الملابس وتطيل النظر بعد ارتداء ملابسها قطعة قطعة لتتأكد انها منمقة.. وبعدها يأتي دور النظر بغرض وضع الماكياج وتطيل الوقت فيه وترسم كل تفاصيل وجهها كأعظم فنان إيطالي وهي خريجة الفنون الجميلة فلها ذوقها الخاص في وضع الألوان حول العين والشفاه وباقي الوجه باعتناء شديد وذوق رفيع.. غير ذلك تأتي مرحلة تصفيف الشعر التي لا تقل عن كل ما سبق بل ربما تزيد لكن في تلك اللحظة الفارقة في حياة نورا لم تعد عيناها قادرة على ملاحظة أن في حجرتها مرآة، وإنها تمتلك أفضل أنواع أدوات الماكياج وأن لديها شعر مربوط من الخلف «ذيل حصان» وأنها بعد دقائق سوف تكون في الشارع للذهاب إلى النادي وهناك تقابل العديد من أصدقائها لم تهتم بكل هذا.. كل ما مر بخيالها ليس ماجد أو مروة أو تلك الصور في الجرائد أو تلك الفتاة الأوروبية التي تدعي مروة إنها

بصحبة ماجد.. لكن كل ما كان يتراقص أمام خيالها هي صورة سيادة العميد فؤاد.. الأب الحكيم الحنون.. كم هو حكيمًا ولديه بُعد نظر و يستطيع أن يرى الأمور من بواطنها وليس الظاهر فقط..

كيف حدث لي كل هذا وبهذه السرعة المذهلة.. اتحول من فتاة مدللة في بيت أبويها إلى زوجة بلا زوج حاضر.. أعيش مع امرأة من اسوأ ما يمكن أن تكون عليه النساء ومن المفترض أن أناديها ماما.. لأنها ام زوجي وفي مكانة امي.. أكل إنسان اتخذ قرارًا بمفرده، ولم يستمع أو يلتزم بنصائح من يكبره سنًا وحكمة يعاقب بمثل ما اعاقب به ؟؟؟؟.. وكيف يستطيع إنسان أن يكون مخادعًا إلى هذه الدرجة.. أن يتلاعب بثقتي فيه التي منحتها إياه منذ معرفتي به؟

كنت أظنه يحبني حقًا.. كنت أظنه يتذكر كم من تنازلات قدمت.. وأنا التي إذا اشارت بطرف إصبعها لتهافت عليها العديد من الرجال.. رجال صادقون مخلصون.. بدون «نعمات» أو فتاة أوروبية.. كم احتقر نفسي واحتقر براءتي.. لا بل سذاجتي.. الحمقى فقط هم من يختلقون الأعذار ويبدؤون في تغيير الأسماء وتبديلها فيسمون الغباء.. براءة.. ويطلقون على أخطائهم.. سذاجتهم..

دار كل هذا في رأس نورا وهي في طريقها إلى النادي.. وما أن اقتربت من الحديقة الكبيرة التقطتها مروة بعينيها المتشفيتان.. الحاقدتان فلطالما كانت تغار وتحقد على نورا لأنها الأجمل.. الناجحة.. المحبوبة من الجميع ..القاطنة بحي سكني راقي.. ولها أب ذو مكانة مرموقة والجميع يكن له احترامًا.. وحانت

اللحظة.. لحظة أن تنظر مروة إلى رد فعل نورا بعد أن تشاهد صور زوجها وبصحبته الفتاة الأوروبية.. وتتفحص الانفعالات المرسومة على قسمات وجهها..

فتحت نورا الجرائد إلى أن وصلت للصفحة المخصصة لأخبار الرياضة.. وقعت عيناها عليه.. نعم.. هو.. إنه ماجد زوجها.. الذي لم يحادثها عبر الهاتف ولو مرة واحدة.. ماجد زوجها الذي تركها خادمة.. فريسة.. عبدة لأمه.. التي لا مثيل لها في الوجود..

ماجد زوجها.. الذي وعدها بمصاحبته والسفر معه.. يدًا بيد.. قد نسيها ووجه دفته لشقراء.. حسناء.. أوروبية..

نظرت إلى الصور بإمعان.. ماجد يشبك أصابعه بين أصابع تلك الفتاة وهي ملتصقة بجسده.. ما هذا الذي اراه..

ارتمت نورا على أقرب مقعد وهي في حالة ذهول.. ماجد بكلامه المعسول وحبه الجارف يتركني هكذا وبلا أدنى ذنب مني أو إبداء أي أسباب.. كم اتمنى لو عاد بي الزمن إلى الوراء أربعة أشهر.. لما كنت سمحت لهذا الماجد أن يتحدث معي حتى مجرد الحديث.. ولما كنت تنازلت عن أي حق من حقوقي وأولهم طول مدة الخطوبة والتعارف الجيد وقربي منه ومن والدته نقمات «نعمات»..

مسكينة نورا.. زهرة جميلة.. ذبلت في وقت قصير.. ذبحها ماجد حينما كذب عليها في مشاعره.. كذبه في إخفاء طباع والدته.. كذبه في وعوده بالسفر معه وكذبه إنه سوف يحادثها يوميًا..

دارت الدنيا بها وشعرت إنها في حالة إعياء شديدة.. حالة دوار.. حالة غثيان.. سارت في الطرقات بعد أن خرجت من بوابة النادي.. سارت ببطء شديد وهي لا تعلم ولا تهتدي إلى أين ذاهبة.. وبدون أن تشعر وجدت نفسها أمام البيت القديم.. البيت الجميل.. أبويها.. الصدق.. احترام الآخر.. الطريق المستقيم.. لا يصح إلا الصحيح..

رفعت نورا عينيها إلى الأعلى.. إلى الشرفة علها تجد اباها العميد فؤاد جالسًا يحتسي قهوته كالعادة.. كانت الشرفة خاوية إلا من نبات الصبار.. الصبار الصابر على الحر وقلة المياه.. يحيا في الصحراء.. كم يذكرني هذا النبات بنفسي اصبحت صبارًا.. يصبر على كذّاب.. خدّاع.. خيانة ماجد.. يصبر على اهانات والدته.. صبارًا يحيا في صحراء بيت ماجد وأمه.. بيتا أشد عليّ قساوة من صحراء جرداء.. بلا ظل أو رشفة ماء.. وهذا الثعبان القابع في الصحراء الذي بدّل الرحمة بالحلوى.. والعطف بالمكسرات.. والحب.. بالمعجنات..

وزوجي.. نعم أنا زوجة.. أنا لي زوج.. أين هو؟ مع من؟.. ماذا يفعل.. كيف يقضي يومه.. هل يذكرني.. هل يذكر أن له زوجة؟.. تحيا بصبر في صحراءه.. أين دموعي.. تحجرت داخلي كما تتحجر الصخور في الصحراء..

يارب.. انقذني مما أنا فيه واعدني إلى تلك الشرفة وهذا البيت الحنون إلى احضان أبي وأمي وأخي وزوجته الجميلة.. تركت الخير.. فعاقبني الله..

استدارت نورا عائدة إلى الصحراء القاحلة حيث ثعبان الصحراء تنتظرها باحثة عنها.. ليس عشقًا ولا حبًا في نورا.. لكن تفتقد خادمتها..

لم يكن العميد فؤاد وهو منهمك في استكمال كتابة مذكراته.. يدرك أنه منذ لحظات كانت نورا حبيبته قرة عينيه.. تقف وحيدة.. خائفة.. مهانة تحت شرفة بيته.. تبحث عنه ربما يطل ويدعوها للصعود.. لم يكن يعلم إنها خجلى منه.. لدرجة ان يمنعها خجلها عن الصعود اليه والاستقواء به وطلب النجاة.. نورا الجميلة.. اتخذت الصبار مثلًا تسير على دربه.. عادت إلى الصحراء القاحلة..

ظهرت نتيجة تحليل العينة العشوائية لتحليل الكشف عن تعاطي المنشطات التي أخذت من ماجد في اليوم الأول للبطولة والتي اذهل فيها جميع الحضور وحصل على أعلى تقدير في هذا اليوم.. النتيجة سلبية..

في اليوم الثاني للبطولة.. وبعد ان قضى ماجد ليلة في سهر مع «سامانتا» وتلقى تحذيرات من مدربه أن عليه الالتزام بالتدريبات والنظام الغذائي.. والنوم مبكرًا.. صعد ماجد إلى منصة العرض.. أبلى بلاء حسنًا لكن ليس بنفس قوة وإبهار اليوم الأول.. وكانت صديقته الجديدة "سامانتا" تجلس في الصفوف الأمامية لا تتوقف عن تشجيعه.. كان من المفترض ان يكون هذا المكان لنورا.. زوجته.. حبيبته كما كان يدّعي..

بعد انتهاء العرض.. لم يتوجه ماجد إلى فندق الإقامة وإنما خرج مع «سامانثا» لقضاء بقية اليوم معها.. والسهر إلى وقت متأخر من الليل.. عاد إلى الفندق مع بدايات الفجر.. وبالطبع كان من المفترض ان يستيقظ مبكرًا لتناول الافطار ثم التوجه إلى الجيم لأداء التدريبات تحت إشراف مدربه الذي بدأ يشعر أنه يخسر ويفقد أهم لاعبيه الذي عول عليه كثيرًا في الحصول علي الميدالية الذهبية ورفع علم مصر.. مع سماع النشيد الوطني بعد ان يحقق المركز

الأول.. لكن كيف له من تحقيق أي مركز وهو نائم كجثة هامدة.. وركضه وراء تلك الفتاة التي لا تدرك أهمية تمثيل الوطن والحصول على المركز الأول..

في اليوم الثالث للبطولة.. أدى ماجد أداءً سيئًا للغاية وبدا عليه الإرهاق وظهور هالات سوداء تحت عينيه من قلة عدد ساعات نومه.. وبدأت الصحافة في اعادة النظر في تقييمها لمستواه وتلقى نقدًا لاذعًا من الجميع وأنه لم يعد الحصان الاسود كما ظنوا جميعًا وكما بدا عليه في اليوم الافتتاحي للبطولة وبعد العرض..

كان ماجد حزينًا للغاية وبدا عصبيًا ولا يريد التحدث لأحدث ولا يتحمل ان يسمع نقدًا أو تأنيبًا من مدربه.. وإذا «بسمانتا» تدخل عليه مبتسمة ومشجعة له قائلة: «لا تحزن لديّ حل رائع لمساعدتك في استعادة مستواك.. يقف الآن بالباب أحد خبراء التغذية الرياضية.. ففي يده المفتاح وكلمة السر في العودة لنفس مستوى اليوم الأول.. وربما افضل بكثير.. وتصبح مرة اخرى الحصان الأسود وحديث النقاد»..

فتح ماجد عيناه دهشة مما يسمع.. فرحًا.. نهض من مكانه وقبّل "سامانتا" وضمها إلى ذراعيه واصفًا إياها بالمنقذ.. وكم هي رائعة وتهتم بشئونه بدرجة مذهلة.. ثم اضاف محدثا نفسه.. أين فتيات مصر.. يرون كيف تكون معاملة الرجل وكيف يكون الاهتمام والدفع به للأمام إلى طريق النجاح.. إلى منصة التتويج علي الفور..

دخل خبير التغذية وفتح حقيبة واعطي ماجد بعض علب الدواء قائلًا إنها عقاقير ومقويات وفيتامينات.. تعوضه عن نقس البروتين الذي لا يحصل

عليه ماجد بشكل كافي للمساعدة في بروز وتشكيل العضلات.. وكذلك بعض الأدوية التي سوف تساعده على التركيز والانتباه جيدًا.. تعويضًا عن قلة عدد ساعات النوم..

فرح ماجد بتلك العقاقير وبدأ على الفور في تعاطيها.. ثم استعد للخروج للتنزه مع «سامانتا» غير عابئ بالتدريبات.. حيث اصبح لديه من العقاقير والمكملات ما يكفيه ليستغني عن الذهاب إلى الجيم او مراقبة نظامه الغذائي.. فله ان يأكل ما يشتهي وينام قرب الفجر والاستيقاظ عصرًا.. فسحر "سامانتا" ليس فقط في جمالها ولكن في الاهتمام به وإيجاد حلولًا لجميع مشكلاته بخلاف إمتاعه بالخروج والتنزه معها والذهاب لأماكن كان يصعب عليه اكتشافها بمفرده..

جاء اليوم الرابع للبطولة.. استيقظ ماجد بصعوبة بالغة في الصباح.. حيث لم يحصل على نصيب من النوم إلا ساعتين فقط.. ثم تناول بعضًا من تلك العقاقير التي سوف تساعد على التركيز وعقاقير أخرى لمساعدته في انتفاخ عضلاته.. صعد إلى منصة العرض.. أدى العروض بصعوبة فلم يكن يدري ماذا يفعل تحديدًا ولم يلتزم بالترتيب في عرض عضلاته.. وبعد العرض طُلب منه الذهاب للمعمل لأخذ عينة.. حيث وقع عليه الاختيار وبعض الرياضيين الأخرين لإجراء اختبارات تحليل المنشطات..

كانت «سامانتا» في انتظاره.. حاول الاعتذار عن الخروج معها لتعبه الشديد وحاجته الملحة للحصول علي قسط من الراحة والخلود للنوم.. لكنه فشل أمام رقتها وإغراءاتها له بأنه سوف يقضي وقتًا لن ينساه طيلة حياته

وسوف يذهب إلى مكان جديد تمامًا حيث لا تخلو متعة والا يجدها حاضرة أمامه.. ونقلت اليه تعليقات الحاضرين للعرض وهو فوق المنصة انه أدي أداءً جيدًا للغاية وأن عضلاته كانت في حالة مميزة ومنتفخة للغاية.. رضخ ماجد لإلحاحها وذهب لقضاء اليوم معها..

***

قضى شريف ومايا أجمل أيام حياتهما في طرقات وشوارع چنوة لعدة أيام بعدها ذهبا في نزهة لعدة أيام في روما العاصمة حيث الفنون والإبداع وهو ما كانت تحلم به مايا دائمًا أن تزور التاريخ والمتاحف والكنائس.. فن التصوير والنحت.. إبداعات مايكل انجلو.. دافنشي.. وأخرين.. وحضور عروض الأوبرا.. زيارة برج بيزا المائل.. والمسرح الأوليمبي..

تناولا الطعام الإيطالي الشهي حيث استهلا يومهما بتذوق القهوة الايطالية في الصباح مع بعض شطائر البيتزا في الغداء.. وتوقفت مايا بصحبة شريف طويلًا أمام رسامين يفترشون الأرض في الميادين ويقومون برسم لوحاتهم أو وجوه بعض المارة مقابل مبلغ زهيد من المال.. مستخدمين القلم الفحم.. أو مشاهدة بعض عازفي الجيتار وهم يعزفون المقطوعات الشهيرة.. كانت مايا في قمة سعادتها.. وسعادتها بشريف كانت أكبر حيث كان لها بمثابة هدية السماء اليها.. وكانت تحادث اباها د. كامل يوميًا وصوتها يرقص من شدة الفرح..

باقي بضعة ايام على التحاق شريف بالمركب المتجهة إلى المغرب في اولي رحلاته العملية كضابط بحري تجاري.. وأكثر ما كان يؤرقه هي مايا كيف يتركها لمدة اسبوعين يكون هو في رحلة.. الذهاب والعودة.. في تلك الأثناء

ألتقى شريف ومايا ببعض الأصدقاء والجيران وبدأت تتكون لهما صداقات تساعدهما علي الاندماج في المجتمع الإيطالي.. الذي يشبه إلى حد كبير المجتمع السكندري الذي نشأت فيه مايا وقضى شريف جزء كبير من حياته بها..

اقترح شريف على مايا ان تلتحق بإحدى المدارس لتعلم اللغة الإيطالية.. وأيضًا كي لا تشعر بالملل في غيابه وربما يصبح لها أصدقاء.. يؤنسون وحدتها لحين عودته.. وكانت تلك فكرة جيدة للغاية.. حيث استفادت منها مايا لأقصى مدى..

تعلمت اللغة الإيطالية واستطاعت ان تكون بعض جمل وكلمات تساعدها على الحياة وقضاء مصالحها وأيضًا أصبح لها عدد لا بأس به من جنسيات مختلفة ممن يدرسون معها اللغة الإيطالية، وكذلك بعض من الجيران الإيطاليين ..وبتبادل الحديث معهم زاد اتقانها للغة أكثر وأكثر..

***

استطاعت مروة إقناع نادل يعمل بالكافيتريا الرئيسية بالنادي وبأغرائه بالكثير من المال أن يكون ذراعها اليمنى في النادي وإن كل من يريد شراء الكوكايين سوف يأتيه بكلمة سر متفق عليها.. فيقدم له الجرعة بجانب المشروب الذي يطلبه حين جلوسه بالكافيتريا.. وبدأ النادل عمله بإتقان شديد وكان له زبائن من الرجال والنساء ..

ثم استطاعت مروة من إقناع رجلًا آخر يعمل في مراقبة حمام السباحة ومن يرتاده وبمجرد حصوله على مبلغ كبير من المال أبدى انصياعه الشديد واستعداده التام لعمل ما يطلب منه مقابل استمرار تدفق المال عليه حيث كما علمت مروة إنه على علاقة بفتاة تقدم لخطبتها منذ ثلاث سنوات ولا يستطيع اتمام زواجه لضيق ذات اليد وضعف راتبه..

علاء يعمل في متجر الملابس نهارًا ويقوم بالتوزيع ليلًا مع بعض أعوانه.. وفي إحدى المرات جاءه أحد الرجال الموردين لشحنات المخدرات له ولمروة زوجته أخبره فيها أن العمل تطور لديهما وإنهما ابتدعوا طرقًا جديدة للتهريب وعليه ان يتدرب عليها حيث يتم إخفاء الكوكايين في نعول الأحذية الرياضية وداخل بعض الملابس، وبما إنه لديه متجر للملابس الجاهزة فمن الطبيعي

والمنطقي أن يقوم باستيراد بعضًا من تلك الملابس بشكل طبيعي وتدخل البلاد دون لفت الانتباه..

لكن المشكلة لديهم أن تلك الملابس المحشوة بالكوكايين يتم تجهيزها في المغرب.. والمغرب أصبحت محط انتباه رجال الجمارك ورجال مكتب مكافحة المخدرات.. فيجب نقلها إلى بلد آخر بشكل شخصي وليس عن طريق الشحن.. ومن ثم يعاد شحنها من تلك البلد إلى مصر ..

ثم استطرد قائلا.. "وقد علمنا أن لمروة صديقة لها اخ يعمل ضابطا بحريا في ايطاليا وإن رحلات المركب التي يعمل عليها تتجه إلى المغرب وعلمنا أيضًا أن هذا الرجل كان صديقًا لك في يوم من الأيام.. فكل ما هو مطلوب منك اعادة هذه الصداقة وأحيائها مرة أخرى.. عن طريق الاتصال به وتهنئته بالزواج وإنك لا تريد أن تخسره كصديق وامنياتك بعودة صداقتكما من جديد ونسيان ما حدث من قبل»..

"وتستطيع يا علاء أن تحصل على رقم هاتفهم في إيطاليا والبريد الالكتروني الخاص به من زوجتك مروة حيث هي تتواصل مع اخته نورا ويمكن ان تسألها بسهولة عن كل تلك المعلومات بغرض الخير وعقد الصلح بين علاء وشريف»..

أطال علاء النظر للرجل فاتحًا فاه غير مصدق ما يسمعه.. كيف لهم بمعرفة كل هذه المعلومات بتفاصيلها.. صديقه السابق وما حدث بينهما.. عمله في إيطاليا.. صداقة زوجتي مروة بأخته نورا.. من هؤلاء الناس كيف عرفوا كل

تلك المعلومات.. لكن الفكرة اعجبته.. وأكثر ما أعجبه فيها ان يشرك شريف صاحب المبادئ.. ولا يصح إلا الصحيح.. في تهريب الكوكايين..

وبدأ الرجل في شرح خطة العمل لعلاء بكل التفاصيل.. كيف يوطد علاقته بشريف وكيف يطلب منه أن يقابل أحد رجالهم في المغرب والحصول منه على بعض الملابس في حقيبة لتساعد علاء في متجره ونجاح مشروع الملابس الجاهزة فيكون عمل خير ومساعدة صديق بدون كذب كما طلب منه علاء في السابق وكان هذا سبب القطيعة بينهما..

عندما عادت مروة من النادي حيث أصبحت تتواجد هناك بشكل يومي للاهتمام ومتابعة السوق الجديد للتوزيع التي قامت بتكوينه داخل النادي وأعضائه جلست مع علاء جلسة مطولة.. شرح لها فيها ما دار بينه وبين ذلك الرجل وما هو دورها بالتحديد وأن عليها تنفيذ جميع التعليمات بكل دقة واتقان..

زاد حماس رجال مكافحة المخدرات وزاد معه صبرهم على علاء ومروة الاستطاع بإيقاع أكبر عدد من المتاجرين بتلك السموم وأيضًا معرفة أفراد الشبكة الدولية بالمغرب ولبنان.. ومتابعة ملاحقتهم بالتعاون مع البوليس الدولي..

***

تلقت نورا اتصالًا من العميد فؤاد والدها ووالدتها.. يطمئنان عليها وإنهما يفتقدانها ويتمنيان لها السعادة.. كانت نورا تسمعهما ودموعها تنهمر بلا توقف ولكن بدون همهمات أو أي صوت.. وأخبرتهم انها بخير وسعادة وطلبت منهما الدعاء لها..

بعدها تلقت نورا أعنف انواع التوبيخ من الحاجة نعمات تلومها على تركها بلا طعام افطار وانشغالها بالهاتف طوال الوقت وأن عليها تجهيز طعام الغداء بعد ذلك بالإضافة إلى الأعمال المنزلية الأخرى.. وبينما هي تستمر في وصلات اللوم والعتاب الذي يصل في بعض الاوقات إلى درجة السباب.. دق هاتف نورا مرة أخرى فاستشاطت الحاجة نعمات غضبًا قائلة.. تاني.. تليفونك الملعون ده تاني.. لن اتناول أفطاري بسببك أنت ومكالماتك.. ربنا يأخذك انت واللي بيتصل بيكَ..

انزوت نورا جانبًا.. لترد على مروة حيث ظهر اسمها على الهاتف.. كي لا تسمع ما يجرح أذناها.. ولكي لا تعرف مدى الشقاء والبؤس الذي تعيشه نورا مع تلك السيدة الملقبة بالحاجة نعمات.. كيف تكون حاجة ويصدر منها كل هذه الافعال والكلمات القبيحة..

تحدثت نورا طويلًا مع مروة.. حيث طلبت مروة من نورا أن تقابلها في أمر هام فاعتذرت نورا متعللة بأنها لا تستطيع ان تترك والدة ماجد وحدها.. فهي تحتاج إلى وجودي بجانبها.. فلم تكن نورا تكذب حيث كان هذا هو السبب الحقيقي الظاهر.. لكن كان هناك سببًا آخر خفي.. منع نورا عن مقابلة مروة هي خشيتها ان تقدم اليها مروة مجموعة أخرى من الجرائد التي بها اخبار ماجد مع الحسناء الأوروبية وهم في وضع أكثر حميمية.. فلربما تنهار أو تموت حسرة ليست على ماجد ولكن على نفسها وكمّ الاهانات التي تتعرض لها من كل الجوانب..

شيء ما داخلها كان يشعرها أن مروة تريد التشفي فيها.. وأنها سعيدة بأخبار ماجد وصوره وليس كما تظهر من تأثر.. بأن الرجال كلهم خائنين..

فبعد اعتذار نورا ورفضها الخروج إلى النادي للقاء مروة اضطرت مروة ان تفصح لها عن طلبها عبر الهاتف اخبرتها أن علاء يفتقد صديقه شريف ويحزن كثيرًا لقطع العلاقات بينهما وهو يريد أن يستعيد صداقته مرة أخرى، وخاصة بعد علمه بخبر زواجه بالإسكندرية فهو يريد رقم هاتفهم بإيطاليا وكذلك عنوان البريد الإلكتروني الخاص بشريف.. فهو عمل خير ويجب أنا وأنتِ يا نورا أن نشترك فيه.. الصلح بين زوجي وأخيك..

بالطبع لم تدرِ نورا ما يدور في الخفاء وراء كل جمل ومكالمات مروة المغلفة بالعسل الخارج من فم افعي فكيف لأفعي أن تدر عسلًا.. فبالتأكيد هو السم الناقع في قارورة لحفظ العسل..

فرحت نورا بالاشتراك في الصلح بين أخيها وصديقه القديم والذي هو في نفس الوقت زوج صديقتها.. وعلى الفور أرسلت لها رسالة بها رقم الهاتف في إيطاليا وكذلك البريد الإلكتروني..

***

حضر اليوم الخامس في بطولة كمال الأجسام بأوكرانيا.. وماجد في حال اسوأ من ذي قبل ومستواه في تراجع.. لكن ثقته في العقاقير كبيرة إلى حد جعله يهمل التدريبات تمامًا واعتمد فقد على التعويض عن نقص اللياقة والتغذية بالعقاقير.. وكانت «سامانتا» دائمة التشجيع له واقناعه انه في حال افضل وأنه سوف يكون من الأبطال.. وعلى الجانب الآخر لم يتوقف مدربه عن تحذيره له أنه عليه الابتعاد عن تلك الفتاة والتركيز في التدريبات والنوم مبكرًا والاهتمام بالجانب الغذائي.. والبعد عن أي عقاقير حيث هو لا يعلم ما هي تركيبة تلك العقاقير والمواد المستخدمة بها أهي مسموح بها للرياضيين أم ممنوعة..

وبالفعل ما خشي منه مدربه قد حدث حيث ظهرت نتيجة تحاليل العينة التي اخذت من ماجد من قبل وللأسف النتيجة هذه المرة «إيجابية" أي إنها اثبتت تعاطيه للمنشطات وهذا أمر جلل في الأوساط الرياضية.. حيث يعد بمثابة التزوير أو الخداع والتزييف حيث يتعاطى موادًا منشطة تجعله يتفوق على أقرانه المنافسين في البطولة وهو ما يجرمه القانون الدولي للعبة.. وكانت فضيحة مدوية في جميع وسائل الإعلام حيث تحدثت عن تعاطي ماجد للمنشطات المحظورة.. وفور علمه همَّ بالبحث عن «سامانتا» التي اختفت

من جواره ليسألها عن تلك العقاقير ومفعول السحر الذي من المفروض أن يجعله من المنافسين على المراكز الأولي..

اختفت «سامانتا» ووجد ماجد نفسه وحيدًا.. وتعرض للخضوع للتحقيق لحين إصدار قرارًا بحقه.. وبالطبع مُنع من إكمال العروض والاستمرار في المنافسة بالبطولة..

وهنا تظهر مروة مرة أخرى لتستمر في التشفي وإبلاغ نورا بآخر الأخبار وبفضيحة ماجد الأخلاقية وسقوطه المدوي وأصبح لقبه الجديد بدلًا من الحصان الأسود إلى الرياضي الأسوأ.. ولم ترحمه صفحات الجرائد والمجلات التي مجدته في أول يوم.. هي نفسها تحدثت عن تعاطيه المنشطات المحظورة..

بعدها صدر قرارًا من اللجنة المنظمة والاتحاد الدولي بإيقاف ماجد عن ممارسة أي رياضة لمدة أربعة سنوات.. قُضى على ماجد كرياضي..

تلقى شريف مكالمة على هاتفه قبل سفره بيومين حيث كانت من علاء يطلب منه نسيان ما مضى وأن يبدآ صفحة جديدًا وأنه طالما اتخذه صديقًا مقربًا.. ولا يريد التفريط في تلك الصداقة.. ثم هنأه بالزواج والسفر والعمل..

فرح شريف بمكالمة علاء وفرح باستعادة صديقه القديم أحد اعضاء الشلة.. وفرح أكثر بعودة علاء إلى رشده او كما ظن شريف.. وبعدها تظاهر علاء بعدم معرفته عن عمل شريف فحكى له شريف خط سيره وأنه سيبحر إلى المغرب ثم العودة إلى إيطاليا وبعدها يعود مع مايا إلى مصر في أجازة لزيارة الأهل ثم العودة مرة أخرى إلى ايطاليا..

وبعدما استمع علاء اليه باهتمام طلب منه ان كان شريف يستطيع اسداء خدمة إليه تساعده في عمله الجديد في الملابس الجاهزة.. إنه اتفق مع احد التجار الموردين للملابس باستيراد بعض قطع الملابس فإذا كان باستطاعة شريف مقابلته وإحضار حقيبة الملابس منه..

ابدى شريف تعاونا كبيرًا ووافق أن يكون عونا لعلاء في اولي خطواته في متجره الجديد..

التحقت مايا بمدرسة تعليم اللغة الايطالية وكانت سعيدة للغاية واصبح لها اصدقاء من بلدان مختلفة يدرسون الإيطالية مثلها..

جاء يوم سفر شريف.. شعرت مايا منذ صباح ذلك اليوم كأن روحها تغادرها ببطء.. أجمل من في الحياة.. الحياة نفسها.. شريف يغيب أسبوعين.. اسبوعان تحبس فيها الأنفاس وتتوقف الحياة.. نعم بدون شريف لا حياة ولكني عاهدته أن أتفوق في دراسة اللغة وأخرج للتنزه في البلدة.. اكتشف شوارعها.. حدائقها.. وعاهدته أيضًا أن أتقن طبخ بعض الأكلات الإيطالية التي يحبها وأتقن أيضًا عمل قهوة الصباح الذي يفضلها شريف وورث حبها من والده العميد فؤاد..

أبحرت مركب شريف بعيدًا عن الميناء وبدا أول عهده بالعمل تعرف على افراد طاقم السفينة وكون علاقات طيبة معهم.. الجميع أحبه لأدبه الشديد وحسن خلقه بجانب اجتهاده في العمل والالتزام بجميع التعليمات وطاعة رؤساءه وقبطان السفينة.. وما أن وصلت المركب إلى ميناء «طنجة» قبل رحلة العودة فكان يريد شراء الهدايا لمايا وأبيه وأمه ونورا.. وهو في طريقه للخروج

من الميناء واثناء مروره بالجوازات تعرف على أحد العاملين بمنطقة الجوازات والتفتيش.. رجلًا مغربيًا بشوشًا اسمه «سعيد».. وما ان عرف «سعيد» ان شريف الضابط البحري على المركب القادمة من جنوة مصري الجنسية فرح ورحب به أشد الترحيب وحادثه بالعربية إنه ممتن لرؤيته حيث أخو "سعيد" الأصغر يدرس في القاهرة في الأزهر الشريف وأنه زار القاهرة ثلاث مرات وله أصدقاء كثر هناك.. وسأل شريف أن كان يريد أي مساعدة أن يطلب ويلجأ اليه على الفور.. جلسا سويا حوالي الساعتين تبادلا فيها الأحاديث حيث كان سعيد قد انهي عمله فمكث مع شريف في كافيتريا بالميناء قبل الذهاب إلى البيت.. وقام «سعيد» بدعوة شريف إلى الغداء معه وصمم على أن يقبل شريف الدعوة.. وبعدها سوف يصطحبه لأخذه في جولة بالأسواق لشراء ما يحتاجه من هدايا لأسرته.. كان غذاءً مغربيًا رائعًا استمتع به شريف للغاية حيث كان شريف يعشق الاسماك منذ ان كان يقيم بالإسكندرية فوجد ما لذ وطاب من الطعام المغربي الشهي واصناف الاسماك المتنوعة وكذلك الحلوى المغربية الشهيرة.. ثم بعد الغداء بدأت جولتهما في مدينة طنجة الساحلية حيث زار الأسواق وقصبة غيلان.. ثم اختتما الزيارة بسوق الداخل..

كان شريف سعيدًا للغاية بتلك الجولة الرائعة وسعيد أن اكتسب صداقة «سعيد».. حيث شعر أنه يعرفه منذ زمن.. وتمنى شريف لو كانت مايا بصحبته حيث هي تعشق الفسيفساء وما أكثرها في الأماكن العامة وداخل المنازل.. ثم جلسا على إحدى المقاهي واحتسى شريف الشاي المغربي بالنعناع وكان

جو المدينة رائع حيث تقع بين البحر المتوسط والمحيط الأطلنطي على الطرف الغربي لجبل طارق..

وخلال جولته وبعد عدة مكالمات من شريف لمايا ووالده العميد فؤاد وأمه مدام كريمة تلقي شريف مكالمة من علاء من القاهرة وبعد الكثير من السلامات دخل علاء مباشرة في طلبه أن طلب من شريف أن يقابل أحد تجار الملابس الجاهزة التي يتعامل معهم علاء ويتلقى منه شحنة صغيرة من الملابس على احدث صيحات الموضة في داخل حقيبة وعليه أن يعود بها إلى إيطاليا ثم يحضرها معه إلى القاهرة..

أبدى شريف موافقته على الفور حيث كان سعيدا بعودة علاقته بعلاء إلى ما كانت عليه من قوة قبل حدوث الخلاف بينهما..

وبالفعل بعد أقل من ساعة تلقى شريف مكالمة من أحد الأشخاص المغاربة يخبره فيها أن لديه حقيبة له تخص علاء تقابلا في حضور «سعيد» وأخذ شريف الحقيبة وانهى جولته وفي المساء قام سعيد بتوصيله إلى الميناء والدخول معه حتى سلم المركب حيث كان سعيد معروفًا بالميناء لطول فترة عمله هناك وأيضًا لطبيعته المرحة وصداقته مع الجميع..

وكالعادة داخل الميناء لابد أن يعبر بوابات الأمن وأماكن التفتيش والتأمين.. مر سعيد وخلفه شريف ووضع حقائبه وما معه من هدايا على الحزام الخاص بنقل الحقائب للكشف عليها، وإذا بالمراقبين الأمنيين يستوقفون شريف وحقائبه ويطلبون تفتيش جميع الحقائب الخاصة به وخاصة حقيبة الملابس الجاهزة المراد إيصالها إلى علاء..

قام فريق متخصص بتفتيش الحقائب والاستعانة ببعض الكلاب البوليسية المدربة حيث انقض زوج من الكلاب على حقيبة علاء..

اصطحب الفريق الامني شريف والحقيبة وقاموا بتفتيشها جيدًا وكان معه سعيد.. أكياس مستور علاء.. وجد الفريق الأمني أكياس الكوكايين في داخل الملابس في اماكن سرية.. وبالطبع كان شريف هو المسئول عن الحقيبة.. وتدَّخل سعيد ليشرح لهم انه كان شاهد عيان على تلقى شريف للمكالمة من علاء وبعدها تاجر الملابس الجاهزة المغربي والذي تقابل مع شريف بصحبة سعيد حيث لا يعرف شريف ما بداخل الحقيبة ومن فرط أخلاقه وأمانته لم يقم شريف بفتح الحقيبة للتأكد من محتوياتها..

أدرك البوليس المغربي ان الامر ربما يكون مدبرًا لشريف دون علمه حيث يكون ناقلًا للمخدرات دون أن يدري ماذا يحمل.. فهم معتادون على تلك الاساليب من المهربين حيث دائمًا ما يلجؤون إلى وجوه جديدة غير معروفة لدى الشرطة.. وكتم عنهم خبر وحقيقة ما يحملون..

قام البوليس المغربي بعمل اتصالاته بالبوليس المصري والبوليس الدولي.. وجاءت الإجابات والردود في صالح شريف حيث أخبرهم رجال شرطة مكافحة المخدرات إنهم على علم بكل التفاصيل ولديهم تسجيلات تثبت تورط علاء وسذاجة شريف وعدم علمه أو اشتراكه في هذه الأعمال الإجرامية.. وتم التنسيق والاتفاق بين رجال الشرطة في كلا البلدين أن يكملا التمثيلية لكن دون تعريض شريف للخطر.. حيث استبدلوا الحقيبة بأخرى مشابهة وأعطوها لشريف واعتذروا له عن الخطأ.. وكانت الحقيبة البديلة

بها ملابس دون وجود أي مخدرات حيث يستطيع شريف العودة إلى إيطاليا والخروج منها إلى مصر دون مشاكل..

وتم إرسال الحقيبة الأصلية إلى السلطات المصرية حيث تستبدلها عند دخول شريف إلى مطار القاهرة دون أن يشعر وعند مقابلة علاء بالحقيبة يتم القبض عليهم جميعًا في حالة تلبس ويكون اعتبار شريف مجرد شاهد ملك في القضية.. هذا ما اتفق عليه رجال الشرطة في البلدين وبعد موافقة رؤسائهم بالطبع.. وبدأت الخطة وطُلب من سعيد الكتمان وألا يطلع شريف بأي شيء حتى لا يرتبك وتفسد خطتهم..

***

في مطار القاهرة عاد ماجد وحيدًا يجر أذيال الخيبة والعار بعد ثبوت تعاطيه للمنشطات وحرمانه من البطولة وطرده من اوكرانيا ومعاقبته بعدم الاشتراك في أي بطولة محلية أو دولية لمدة أربع سنوات كاملة..

في داخل المطار لم يجد احدًا في انتظاره من إدارة النادي أو أصدقائه حيث أصبح منبوذًا.. وشعر إنه سوف يعامل مثل المزورين والمرتشين وشعر بالندم على انجرافه وراء تلك الحسناء الأوروبية الخبيثة الخائنة.. فهي أول من تركته وتخلت عنه بمجرد أن فقد عرش نجوميته وبسبب لهثه وراءها.. أضاع كل شيء.. بداية الطريق.. ضاع الطريق لماذا لم يستمع لنصائح مدربه؟ لماذا لم يجرب أن يبتعد عنها؟ لماذا رأي فيها أكثر من زوجته أو أي امرأة مصرية.. الشعر الأصفر.. العينان الزرقاوان.. ولكن كم يساوي كل هذا بدون إخلاص.. بدون صدق في المشاعر بدون المساندة والدفع للأمام..

غرق ماجد.. وضاعت كل أحلامه.. لم يعد له شيء.. وظيفته لا تكفي راتبها أن يكون مسئولًا عن بيت.. زوجة وربما أطفال.. وما هو موقف النادي واتحاد اللعبة منه.. في الغالب سوف يتم تحويله للتحقيق ويمنع من دخول النادي.. النادي الذي شهد مقابلة نورا وأحلى أيام حياته وحبه لنورا.. نورا المخلصة المثابرة الصابرة الخادمة لأمه.. ماذا يقول لها وهو لم يحادثها تليفونيًا

ولو مرة واحدة.. كان زوجًا سيئًا وعاملها اسوأ معاملة وبالتأكيد إنها عرفت إخباره وشاهدت صوره مع «سامانتا» في الجرائد بماذا يبرر فعلته.. كم هو ندل خائن.. مهمل.. غير أمين عليها.. رغم أن وصية والدها العميد فؤاد الوحيدة ان يضع نورا في عينيه ويهتم بها ويسعدها ولا يهمل أمرها مطلقًا..

ماذا يقول لسيادة العميد.. لن يجد إلا كل احتقار وإهانة من الجميع.. فاشل.. أنا فاشل.. مطرود من جنة البطولات ومحروم من نعيم التتويج بأي ميدالية..

***

تحركت مركب شريف في طريقها للإبحار عائدة إلى ميناء جنوة الإيطالي.. كم يشتاق لمايا.. وكم ستفرح بالهدايا والصور التي التقطها بهاتفه للأماكن الرائعة والجميلة في مدينة طنجة الساحرة.. وصديقه الجديد "سعيد" كم هو رائع ولم يتركه لحظة واحدة.. إلى أن عاد .. كم يتمني شريف أن يرد إليه المعروف وأن يستضيفه في مصر وأخيه ايضًا.. وماذا عن تلك الحقيبة التي تخص علاء لماذا قامت الشرطة بتفتيشها.. ماذا كانت تشك فيه.. لكن كل شيء سار على أفضل حال.. وبالطبع لم يكن شريف يعلم أن الحقيبة التي في حوزته هي الحقيبة البديلة وأن الأصلية في حوزة الشرطة بميناء طنجة..

طلب أحد أعضاء الشبكة التي يعمل بها علاء ومروة الاجتماع بهما لأمر هام وحدد لهما مكان الاجتماع بأحد الفنادق المطلة على النيل.. وبالفعل حضرا في الموعد و تبادلا الأحاديث العامة ثم تطرقا للحديث عن عملهم في توزيع الكوكايين وكيفية تسيير الأمور.. وبعد ان استمع الرجل لعلاء وما يقوم به وبعده استمع إلى مروة والأسواق الجديدة التي تسعى لفتحها في النادي وغيره اخبرهم ان لهم اعوان في الشرطة لإبلاغهم بأي خطر يحيق بهم وأنه مؤخرًا اتته إخبارية أن شرطة مكافحة المخدرات ورجال مباحث الأموال العامة يجرون تحريات عن علاء ومروة وانهم يحومون حولهما من بعيد..

اخبرهم إنه حتى هذه اللحظة الأمور تبدو جيدة لكن لا يعلم أحد ما سوف يحدث في المستقبل لذلك وجب عليهما الحذر الشديد.. ثم قام بإعطاء بعض التعليمات والنصائح لهما كي تساعدهم في عدم إثارة الشبهات حولهما، وأنهما لابد وأن يكونا بعيدين عن مسرح الأحداث من عملية البيع والتوزيع فهذه المسألة يقوم بها من دونهم من مساعدين كي يبقيا هما في أمان..

أثارت تلك الكلمات مخاوف مروة حيث هي اعتادت علي الحياة الرغدة.. البيت الفخم والسيارة الفارهة وحساب البنك المليء بالأرقام الكبيرة.. وأنها لا تريد العودة لأيام مثل اليوم الذي دخلت فيه إلى المول لتكون فقط متفرجة وأقصى ما استطاعت فعله هو شراء كوب من القهوة بالكراميل التي لا تنسى طعمها حتى الآن.. وبعد أن صارت من الأغنياء فهذه القهوة في تلك الليلة تحديدًا لها مذاق خاص.. فدائمًا المحروم يرى الأشياء ويتذوقها بشكل مختلف تمامًا عمن هو معتاد عليها..

تتذكر أول رشفة.. كم كانت مليئة.. غنية بمذاق قهوة مختلف عن أي قهوة قد تناولتها من قبل.. واللبن يأخذ شكل السحاب فوق قرص الشمس.. وعليها خيوط من صوص الكراميل المتشابك ليصنع مزيجا ونسيجا حلو المذاق بطعم السكر.. ولم تكن تعلم أن القهوة ممكن أن يوضع عليها كراميل ولبن مثل القطن والسحاب.. وتناولت معها قطعة من الكوكيز.. مقرمشة من الخارج.. ناعمة من الداخل.. وبها قطع من الشكولاتة التي لم تذوب فيها لكن تذوب في فمك بمجرد أن تضعها فيه.. ما هذا الطعم.. شعرت أنها في الجنة..

وبعد أن أصبحت من الأغنياء ذهبت ذات مرة إلى المكان ذاته وجلست على نفس الطاولة.. وطلبت نفس نوع القهوة بالكراميل ونفس قطعة الكوكيز.. وبدأت في احتساء القهوة وقضم قطعة من الكوكيز.. لكن المذاق كان مختلفًا تمامًا.. المكان هو المكان.. والقهوة والحلوى .. هي.. هي.. لكن من الواضح أن المعاناة في الحصول على المال وضيق ذات اليد يجعل مذاق كل شيء يستمر لآخر العمر.. كالزوجة الأولى.. دائمًا هي التي تبقى في الذاكرة و لا تنسى.. مهما تزوج الانسان من مرات عديدة..

استفاقت مروة وصوت الرجل الجالس بجوارها وعلاء ..يؤكد عليها أن تأخذ حذرها جيدًا وإلا ضاع كل شيء..

وصلت تلك الجملة إلى مسامع مروة.. «ضاع كل شيء».. فأصابتها في مقتل.. وسهام تلك الكلمات المتراشقة احدث ثقوبًا في جسدها.. ضاع كل شيء.. ما معني هذا أن تعود كما كانت ألا تكون الهانم.. تفقد البيت المريح والخادمة.. لن تقود سيارة فارهة وتكون محط إعجاب وأنظار الجميع.. أن تفقد عضوية النادي وتتسول من يساعدها في ارتياده بدون عضوية وتعود للعيش مع أباها عم زكريا سائق الحافلات ومرتاد سور الأزبكية بكتبه الصفراء القديمة.. يا له من كابوس..

انتفضت مروة عدة مرات.. شعرت بالذعر الشديد.. شعرت بالغثيان كأن كلمات هذا الرجل أصابتها بالحمى في الحال..

***

أدار ماجد مفتاح البيت وعلى وجهه هموم الكون وكآبة الدهر.. فتح الباب وكأنه كان بالأمس ليجد أمه الحاجة نعمات في نفس جلستها والطاولة أمامها مليئة بالحلوى والمكسرات كالعادة.. ولكن الجديد ان وجد بيتًا مرتبًا أنيقًا.. الأثاث.. السجاد. البيت به شيء جمالي مختلف.. صار أجمل.. له لمسة انثوية.. آه.. إنها نورا.. أكيد نورا التي أسأت معاملتها وأهملتها لدرجة أخشى منها ألا تغفر لي جفائي..

ألقي التحية على أمه وقبَّل يدها.. انهالت عليه الحاجة نعمات بالأسئلة عن صحته وعن أيام السفر والبطولة والميداليات والهدايا.. أين هدايا تلك البلد التي كنت فيها.. ألم يكن يبيعون الحلوى.. أين ما وعدتني به من ملابس ومأكولات..

لم يكن ماجد يسمع حرفًا مما قالته أمه.. كانت عيناه تتجولان في أركان وغرف البيت.. وأخيرًا خفت صوت أمه قائلة.. آه.. تبحث عن نورا التي اتعبتني وأهملتني وزادت من ارتفاع ضغطي.. إنها في الشرفة تقوم بتعليق الملابس على الحبل.. تردد ماجد في الذهاب إلى الشرفة.. كان يشعر بخجل وخيبة أمل لم يشعر بها طيلة حياته.. فنورا لا تعلم موعد حضوره.. لا تعلم أن طائرته هبطت أرض المطار وأنه غادر المطار وأنه داخل البيت على بعد

خطوات منها وهي لا تعلم.. أي زوج هذا.. زوجة لا تعلم شيئًا عن زوجها سوى صوره ويده ملتصقة بيد الحسناء الأوروبية ذات العينان الزرقاوان..

سار ببطء إلى الشرفة في اللحظة التي كانت نورا تغادر الشرفة إلى الداخل حيث انتهت من تعليق الملابس.. وجدته أمامها فجأة بجثته الضخمة ووجهه متجهم لا يعرف للابتسامة طريق. قال: زوجتي حبيبتي نورا .. نظرت نورا إليه.. لم تصدق.. أنت هنا.. منذ متى؟

أنا.. أنا.. زوجتك.. حبيبتك نورا.. لا أعلم.. صعب.. صعب.. ثم ارتمت على الأرض مغشيًا عليها..

***

كانت مايا تنتظر شريف في شرفة صغيرة مطلة على الشارع الرئيسي.. وبعد لحظات لمحت سيارة أجرة تقف أسفل المنزل ينزل منها حبيبها.. رفيق دربها صاحبها.. نديمها.. شريف.. شعرت أن الحياة بدأت تعود إليها من جديد وأن الدفء بدأ يعرف طريقه إلى قلبها.. فقد كانت حياتها شبه متوقفة إلى أن يعود مصدر طاقتها.. مصدر سعادتها.. غذاء روحها الحقيقي..

دائمًا يقولون أن الموسيقى هي غذاء الروح.. ولكن مايا كانت تقول دومًا ان شريف هو غذاء الروح..

دخل شريف المنزل حاملًا مجموعة من الحقائب والأكياس البلاستيكية الضخمة وما أن دخل وضع كل شيء على الأرض ووجد مايا تقفز لترتمي بين يديه داخل أضلاعه.. تلمس قلبه بيدها وتعزف على أوتار روحه ومفاتيح قلبه.. عانقها عناقًا طويلًا.. لم يشعرا بالوقت.. زاد حب مايا وتضاعف في قلبه مئات المرات.. ولم يشعر بوجع وألم البعد إلا عندما كان في طريقه إليها..

مايا.. تزاحمت في وجهها دموع وابتسامات.. آهات مع صرخات فرح.. جلسا طويلًا.. قص شريف على مايا كل تفاصيل رحلته منذ ان غادر المنزل إلى رحلة الباخرة عبر البحر المتوسط إلى ميناء طنجة بالمغرب إلى لقاء سعيد والتفتيش الذي تعرض له في ميناء طنجة حتى وصوله اليها.. واتفقا أن يكون

ميعاد عودتهم بعد أربعة أيام إلى القاهرة للقاء الأحباب.. العميد فؤاد ووالدته ونورا اخته بعدها التوجه إلى الاسكندرية للإقامة هناك في الإجازة ولقاء د. كامل والد مايا ولكن قبل الذهاب إلى الإسكندرية على شريف أن يقابل علاء ليعطيه حقيبة الملابس التي احضرها من المغرب إليه..

في تلك الأثناء كثف رجال مباحث مكافحة المخدرات مع الأموال العامة تتبعهم لنشاط علاء ومروة ومراقبة أماكن التوزيع والأشخاص المتعاونين معهم.. وكذلك مراقبة حساباتهم البنكية وهل هي في بنك واحد أم موزعة في أكثر من بنك..

قام الطبيب بحقن نورا حقنة مهدئة تساعدها على النوم والراحة.. كانت نورا نائمة والدمع ينهمر على وجنتيها في مشهد غريب فهي غائبة عن الوعي تمامًا ومع ذلك عيناها لا تكف عن البكاء.. مسكينة نورا.. ظُلمت وتحطمت على صخرة من لا قلب له ومع أمه المنزوعة الرحمة والحنان..

كان العميد فؤاد أشد الناس فرحًا بعد مكالمة شريف ومايا وأنه باقي أيام قلائل على حضورهما للقاهرة.. فكانت لمايا معزَّة خاصة في قلب سيادة العميد ومدام كريمة.. فهما يعدُّونها الابنة الثانية بجانب نورا..

وفي تلك الاثناء كانت الشرطة في مصر تتابع وصول شريف مطار القاهرة لتقوم بتبديل الحقيبة قبل تسليمها لمن يحضر لاستلامها من شريف.. ربما علاء بنفسه أو أحد العاملين لديه لإبعاد علاء عن أي مناطق خطر..

عقد علاء جلسة عمل مع مروة تبادلا فيها الأحاديث عن كل ما يقومان به من توزيع ثم تطرقا إلى حساباتهما في البنوك وافصح علاء لمروة عن رغبته

عن التوقف عن هذا العمل وتلك التجارة نهائيًا.. ويكفى ما قد جمعه من مال فهو كافٍ وزائد عن الحد.. وأنه يستطيع أن يركز مجهوده في متجر الملابس ويريد من مروة أيضًا التفكير في التوقف والتفرغ للبيت.. أو العمل معه في المتجر إذا أرادت.. وأعرب لها عن قلقه مما سمعه من ذاك الرجل عن خبر قيام المباحث بعمل تحريات عنها..

وأضاف قائلًا أنه لا يريد ان يختتم كل ما قام به بحماقة تزج به إلى ما وراء القضبان.. وأنه يفكر في إصلاح حياته الخاوية من أي متعة.. يتمنى أن يصلح علاقته بأبويه والاعتذار لهما وطلب السماح والغفران من أمه تحديدًا ويتمنى أن يصبح أبا وأن تنجب له مروة ولد أو بنت يحمل اسمه ويكون امتدادا له..

استمعت اليه مروة وبدأت تتأثر بكلامه.. ولكنها اشترطت أن تقوم بعملية كبيرة تربح منها الكثير وتكون هي الأخيرة وبعدها تتوقف تمامًا وتتفرغ له وللبيت وتفكر في الإنجاب..

وبالفعل بدأت في تجميع كمية كبيرة من مخدر الكوكايين وتقسيمه إلى جرامات قليلة واعداده ليكون جاهزًا للتوزيع.. اجتمعت بأعوانها وصبيانها بعد أن انهوا عملهم في تقسيم الكمية بعد خلطها وتجهيزها.. وشرحت لهم خطة العمل.. وقسمت الكمية على أربعة أقسام.. سوف يتوجه الأعوان والصبيان بثلاثة أرباع الكمية في التوزيع بالأماكن المخصصة لهم منذ فترة طويلة.. أما الجزء الرابع من الكمية فسوف تأخذه مروة إلى النادي لإعطائه للنادل وعامل حمام السباحة ليقوما بتوزيعه وبيعه داخل النادي..

***

خط سيادة العميد آخر صفحة في مذكراته وأصبحت جاهزة ومعدة للنشر وقتما شاء.. وقد اختار لمذكراته عنوانًا.. "عجائب أكتوبر.. دروس في فنون القتال" تلك المذكرات التي فرغ فيها العميد فؤاد الكثير من ذكرياته مع أحداث حرب الكرامة.. حرب سطر فيها جيشنا أعظم البطولات في قهر عدو ظن دومًا أنه الذي لا يقهر.. كسر وحطم رجالنا هذه المقولة ولقنهم درسًا في فنون الحرب والقتال سيظلون يذكرونه لسنوات طويلة وأثبت أن الذكاء المصري لا يقل بل ربما يزيد عنهم بكثير..

استعد شريف ومايا للسفر إلى مصر واتجها إلى المطار ليستقلا الطائرة التي تقلهم في أول اجازة لهم بعد زفافهم وأول اجازة لشريف بعد تسلمه العمل..

مايا كانت في أوج سعادتها حيث هي تعشق السفر وركوب الطائرات وخاصة مع اكثر من تحب في هذه الحياة.. مع حبيبها شريف..

استفاقت نورا.. وخيالات تدور في رأسها.. تذكر إنها كانت بالشرفة.. ثم فجأة اظلمت الحجرة.. وجسد ماجد كان هو الحاجز والحاجب للضوء.. نعم انها رأته.. يحجب ضوء النهار.. كما حجب عنها الفرحة... أتراها كانت تحلم.. هل هو كابوس؟!

ولكنها تشعر بالضعف والهزال والإعياء الشديد.. ثم نظرت جانبها فوجدت على الطاولة الجانبية بعض العقاقير وكوبًا من الماء.. وبعد دقائق دخل ماجد عليها.. انزعجت.. أما تراها مازالت في ذلك الكابوس.. لم تفرح لرؤية ماجد حيث تلاشي حبه من داخلها وتبدل مكانه شعور غريب بالاشمئزاز مصحوب بالشفقة عليه حيث كان يلهث ورائها قبل الزواج ثم استغلها وباعها وخسرها بسهولة بعد الزواج.. لن تعود كما كانت ولن ترضى بما تقوم به.. فهي كانت تنتظر عودته للرجوع إلى أبيها.. لم تشأ نورا أن تترك أمه وحدها حتى لو كانت الأم القاسية في ثوب ثعبان يلتف حول رقبتها كل يوم وليلة.. ليس كابوسًا.. إنه ماجد قد عاد.. فاشلًا.. خائبًا.. عاد بفضيحة..

اقترب منها ماجد وعلي وجهه علامات الخوف والقلق عليها.. نفس تلك العلامات قد رأتها نورا من قبل في يوم التعارف الأول عندما كانت تمشي وتركض حول التراك وهذا كان سر إعجابها به.. فقد رأت جسم شجرة بلوط بقلب عصفور ووجه زهرة اللوتس.. أحبت فيه حنانه وقلقه واهتمامه بها..

نظرت اليه نورا مرة أخرى نعم إنها نفس النظرات الحانية هل تراني أخدع مرة أخرى.. إنك واهم أيها الماجد.. لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين.. استطعت التلاعب بي وخداعي مرة.. جعلتني خادمة لأمك.. فيك كل الخصال الخبيثة والأن عدت.. فاشلًا.. تجر أذيال الخيبة.. تريد أن تعيد نفس العبارات على مسامعي.. وترى اعجابي بك.. هيهات.. استمر في حماقاتك ولكن بعيدًا عني.. لم أترك أمك لأن أبي رباني وأحسن تربيتي.. ذلك الأب الذي نصحني ألا اتخذك زوجًا.. ذاك الأب الذي أوصاك على ابنته.. عليّ أنا.. أنا نورا يا

ماجد.. نورا.. بنت العميد فؤاد.. الذي يكِّن له الجميع كل الاحترام.. أنت أيها الحقير تزوجت ابنته لتكن ملكة.. جعلتها خادمة.. وخنتها وعرف العالم كله خيانتك.. أهملتها.. لم تحادثها في الهاتف ولو مرة واحدة لكن الله كان عقابه أسرع مما تتخيل.. فالله يمهل.. ولا يهمل..

حاول ماجد التحدث لكنها نهضت من فوق سريرها ودفعت به خارج الغرفة صارخة في وجهه بكل ما أوتيت من قوة.. اتركني وحدي.. ثم انتفضت وارتدت ملابسها واخذت كل الأشياء الهامة وخرجت من المنزل وصوت ماجد في الخلف.. نورا.. نورا.. إلى أين انت ذاهبة.. انتظريني اوصلك..

لم تعره انتباها وسارت في طريقها إلى بيت أباها.. بيتها القديم.. بيت السعادة والراحة.. في كنف امها الحنون.. إلى حجرتها الجميلة وسريرها وشرفتها.. كم اشتاقت إلى كل تلك الأماكن.. ضحت بها من أجل ماجد.. كم أنا غبية.. أتية لك يا أبي لأحتمي بك.. الآن استطيع الاستعانة بك.. لم استطع ان افعلها لوجود الحاجة نعمات وحدها.. وبنت الأصول لا تترك امرأة مريضة طاعنة في السن وحدها وتذهب إلى بيت أبيها ولكن ما أن عاد ماجد.. فأنا آتية اليك.. لتبقيني في أحضانك وتجبر ماجد أن يطلقني بلا رجعة..

نظرت حولها وهي تعبر الشارع وجدت نفسها أمام بوابة النادي.. ذلك النادي الذي شهد قصة تعارف نورا وماجد المحتال.. كنت أوشكت أن اكرهه.. لكن رحمة من عند الله نزلت بعدلها.. فمنع ماجد من دخول النادي بسبب غشه ومنشطاته.. وعاد لي النادي وحدي بدون ذلك الخائن..

وكانت نورا تشعر بالدم يغلي في عروقها وأنفاسا تتلاحق من التفكير المتواصل ففكرت.. إن ذهبت إلى أبي وأنا في هذه الحالة ربما يصاب بشيء أنا أخشى عليه الافضل ان أدخل النادي.. ارتاح من التفكير وأشرب عصيرًا وعندما أشعر أني هدأت وعلى طبيعتي اذهب إلى الأب الحنون..

استعد علاء للقيام بآخر أيام التوزيع ونقل أكياس الكوكايين.. وكان يحمل أكبر كمية منذ ان بدأ هذا العمل الاجرامي.. الكمية كانت كبيرة وتدر دخلا ضخمًا.. وبالفعل اتجه إلى المكان الأول والذي سوف يوزع فيه نصف الكمية تقريبًا وكان في انتظاره من سيقوم بالشراء ومعه مبلغ ضخم من المال وفي أثناء التسليم والتسلم وجد علاء الشرطة تحيط بهم من كل جانب وفي لحظات وهدوء تام كانت الأساور الحديدية ملتفة حول أيدي علاء وكل من معه ممن اشتركوا في التسليم والتسلم.. وتم تصوير عملية القبض عليهم صوت وصورة.. وتم التحفظ على كمية الكوكايين والنقود.. وفي تلك اللحظة كانت هناك قوة أخرى من الشرطة تداهم شقة علاء ومروة لتفتيشها ولسوء الحظ كانت مروة قد غادرت الشقة متجهة إلى النادي بربع كمية الكوكايين فقام رجال المباحث بتتبع أثرها واللحاق بها.. وقوة أخرى قامت بالقبض على أعوان وصبيان مروة وبحوزتهم ثلاثة د أرباع الكمية..

وأثناء قيادة مروة سيارتها هاتفت أباها عم زكريا أن يدخل إلى داخل صالة المطار لمقابلة شريف صديق علاء وشقيق نورا صديقتها والحصول منه على حقيبة فيها ملابس جاهزة تخص المتجر.. والحضور بها إلى شقتها..

هبطت الطائرة القادمة من إيطاليا.. سار شريف ومايا في طرقات المطار.. حادث شريف نورا تليفونيًا يخبرها أنه في مطار القاهرة ومتجه إلى بيت الأب سيادة العميد.. فرحت نورا أشد الفرح بسماع صوت شريف حيث يمنحها القوة وفرحت اكثر لعلمها بعودته وانه في القاهرة.. أخبرته إنها في النادي فطلب منها ان تبقى مكانها سيمر عليها بسيارة ليموزين من المطار فتأتي معهم إلى بيت العائلة..

كانت سيارة رجال مكافحة المخدرات قد استطاعت اللحاق بسيارة مروة وأصبحت خلفها ومروة متجهة إلى النادي.. فانتظر الرجال حيث يريدون ضبطها وهي في حالة تلبس.. دخلت مروة النادي عبرت البوابة..

هاتف شريف أباه بعد أن قابل العم زكريا وأعطاه حقيبة علاء ولكنها الحقيبة الحقيقية المليئة بالمخدرات بعد ان بدلها رجال المباحث بالمطار بالتعاون مع شرطة المطار..

خرج شريف ومايا خارج المطار ليستقلا سيارة ليموزين وبقى عم زكريا جالسًا على كرسي داخل صالة المطار ومعه الحقيبة.. قام ليتحرك بها لإيصالها إلى مروة وعلاء في شقتهم فإذا برجال الشرطة يستوقفونه ويلقون القبض عليه.. ويقومون بفتح الحقيبة أمامه وهي مليئة بالأماكن السرية التي تحوي أكياس الكوكايين الخام..

ذهل العم زكريا.. هذا الرجل الطيب القارئ لكتاب الله.. يحمل تلك السموم وهو لا يدري..

قام رجال الشرطة بتصوير الواقعة بالصوت والصورة..

هاتف شريف أباه قبل أن يدخل السيارة الليموزين أخبره إنه في المطار وسوف يستقل سيارة وإنه في الطريق إلى البيت ولكن قبل ذلك سوف يمر على نورا في النادي يصطحبها معه اليهم..

فرح العميد فؤاد كثيرا بقدوم شريف وعاتبه انه لم يخبره بميعاد حضوره فكان يرغب ان ينتظره في المطار.. فقال له شريف انه أراد ان تكون مفاجأة لهم.. فقال العميد فؤاد إذن انتظر مع نورا في النادي سوف أتى اليكم ونتناول طعام الغداء هناك حيث أن والدتك لم تبدأ تحضير الغداء.. ولن تستطيع الانتهاء في تلك الفترة القصيرة.. وافق شريف على هذا الاقتراح فكلهم يحبون النادي ومطعم النادي..

دخلت مروة إلى النادي وتوجهت إلى الكافيتريا في الحديقة الكبيرة.. وأثناء مرورها في طرقات النادي بعد ان صفت سيارتها الفارهة تلقت مكالمة تليفونية إنه تم القبض على علاء وعلى والدها العم زكريا وأن الشرطة في طريقها اليها فعليها أن تهرب ان استطاعت..

توجهت مروة إلى الكافيتريا وجدت نورا جالسة توجهت إليها وبعد أن ألقت السلام علي نورا أدعت إنها تشعر بصداع شديد وطلبت من نورا إذا استطاعت أن تحضر لها بعضًا من الماء حيث إنها لا تستطيع انتظار قدوم النادل..

تحركت نورا على الفور متجهة إلى داخل الكافيتريا لتحضر الماء فتحت مروة حقيبة يد نورا ووضعت بداخله كيس الكوكايين وهمت بالنهوض.. رأت على مبعدة رجال المباحث داخل النادي يتجهون ناحيتها حاولت الهرب

ركضت بأقصى سرعة صوب سيارتها لكن رجال المباحث كانوا أسرع منها والقوا القبض عليها وعند عودة نورا بالماء كان أحد رجال المباحث يتوجه إليها وعرف انها صديقة مروة ..طلب القيام بتفتيش حقيبة يدها وبمجرد فتحها وجد بداخلها كيس الكوكايين..

أُلقى القبض على نورا وكان كل هذا تم تسجيله بالصوت والصورة.. في تلك الاثناء وصلت سيارة شريف ومايا.. كذلك وصلت سيارة العميد فؤاد ومدام كريمة التقيا على بوابة النادي دخلا إلى الداخل ليشاهدوا جميعهم أقسى وأسوأ مشهد وموقف في حياتهم على الاطلاق.. العديد من رجال المباحث يملؤون جنبات النادي.. مروة والنادل وعامل حمامات السباحة ملقي القبض عليهم ومن خلفهم.. الملاك.. الرقيقة الحالمة نورا والأساور الحديدية تحيط يديها وهي تبكي في حالة انهيار تام وحالة ذهول ولم تفهم بعد.. ماذا يحدث لماذا يلقون القبض عليها.. ولماذا يلقون القبض علي مروة.. وما هذا الكيس الذي بداخله سكر او دقيق.. ما كل هذا.. وما أن رأت شريف وأباها العميد فؤاد حتى سقطت على الأرض في حالة إعياء تام..

في تلك الاثناء.. تحركت فرق عديدة من رجال مباحث الأموال ورجال مكافحة المخدرات وألقت القبض على جميع أفراد الشبكة بالكامل.. ومن ضمنهم الرجلان اللذان طاردا علاء منذ فترة طويلة وأجبروه على توقيع وصل الأمانة..

وبالتنسيق مع رجال الشرطة في المغرب ألقى القبض على الرجل الذي ادعى إنه تاجر ملابس وقابل شريف وأعطاه الحقيبة التي كانت بداخلها كمية كبيرة من المخدرات..

لم يتحمل العميد فؤاد ان يرى نورا متهمة في قضية اتجار في الكوكايين وخاصة إنه يعاني من ضعف في عضلة القلب.. وضع يده علي صدره وشعر بضيق في التنفس وسقط على الأرض.. شريف متحجرًا في مكانه مع مايا في ذهول.. أخته في سيارة الشرطة في طريقها إلى مديرية الأمن وأباه يوضع في سيارة إسعاف في طريقه إلى مستشفى المعادي العسكري.. يا إلهي.. ماذا يحدث لي ولنا.. نورا الجميلة.. وأبي العميد الحنون بطل حرب اكتوبر قاهر الأعداء.. سقطت الدموع من عينيه.. التقفته مايا وضمته إلى صدرها وهي تبكي بشدة.. فكم تحب نورا وأباها.. ولا تنسى كم كانوا بجوارها أيامًا طويلة في أشد محنة وأقسى تجربة مرت بها في حياتها..

جلست نورا مكبلة اليدين على المقعد الخلفي لسيارة الشرطة حيث فقدت السيطرة على أجهزة جسمها.. فلا تدري أيًا منها يعمل وأيًا لا يعمل.. فقدت الشعور بالألم.. هل مات جهازها العصبي.. تشعر أن جلدها ولحمها يتساقط وينفصل عن عظامها.. لم يتبقَ منها إلا عظامًا.. والعظام ليس بها أعصاب.. العظام لا تشعر بالألم.. ماذا يفيد إذا كنت حرة أم مقيدة.. لم تعد لي حياة.. زواج تعيس ثم خادمة ثم مخدوعة.. ثم مهانة مذلولة بعدها خيانة.. تشفي.. والآن مخدرات في حقيبتي.. أخي.. زوجته.. أبي المسكين قلبه لم يتحمل.. اجرمت في حق نفسي واسرتي.. أنا مجرمة.. قاتلة..

ظلت نورا تهذي طوال الطريق إلى مديرية الأمن وكانت موقنة بحق انه لم يعد بها جلدا أو لحمًا.. كانت موقنة إنها هيكل عظمي.. من الأعلى جمجمة

ثم فقرات رقبة تحتها قفص صدري أجوف بلا أعضاء بداخله.. تحتها عظام الحوض والساقين ثم قدمين لا يقويا على الصمود والوقوف..

سارت في طرقات مديرية الأمن منقادة من قبل يد غليظة وأناس بأصوات خشنة ورائحة العطن مختلطة بروائح سجائر رخيصة.. وصوت أقدام أمامها وخلفها يعلو في اماكن ويخفت في أماكن أخرى.. سارت ببطء قبل أن تتوقف أمام أحد المكاتب المغلقة.. سارت ببطء اكثر.. نظرت حولها.. وجدت وجوهًا تعرفها.. نعم أنا رأيت تلك الوجوه من قبل.. وجه يشبه اللعينة «مروة» ووجه آخر يشبه زوجها الأحمق ووجه آخر عليه علامات النبل.. يشبه والد اللعينة مروة.. ووجه ثالث ورابع وجوه كثيرة.. عيناها زائغتان.. لا تستطيع النظر بهما لكن لم تعد لديها القدرة علي اغلاقهما.. تشعر بالتعب.. بالإعياء.. تريد أن تسقط على الأرض تريد أن تتحول إلى ذبابة أو ناموسة.. أفضل لها مما هي فيه.. الحشرات أفضل حالًا منها.. ليتني كنت حشرة.. أنا أسوأ.. أنا مدمرة.. دمرت انوثتي.. جمالي.. براءتي حتى ضحكتي وابتسامتي.. دمرتها.. ثم انتقلت بكل شروري بعد أن تعرفت على ماجد ظننت أني أحبه ولأجله تنازلت.. فرطت.. ضحيت.. قبلت إهانات لا تتحملها أي فتاة مثلي وفي ظروفي.. هل أنا زوجة؟.. وأين زوجي؟! سندي.. رجلي.. بين يدي من أبكى؟! وفي أحضان من أرتمي؟ هل أنا زوجة؟ أنا ضائعة.. زوجة بلا زوج.. وأبي.. يارب أنقذ أبي واشفه.. وضع ما به بي.. هو يحتاج لقلب سليم وصحة.. أما أنا فلا احتاج إلا إلى قلب متوقف.. إلى جسد لا يعمل.. احتاج أن اغادر.. أهرب.. انزوي بعيدًا عن هذا العالم.. أن اختفي.. أتبخر.. أصبح لا إنسان.. لا شيء..

أريد أن أموت.. نعم الموت هو خلاصي.. وهو عقابي في الوقت ذاته.. الموت.. ارتاح.. وكل من حولي يرتاح.. فيارب أؤمر ملائكة الموت أن تحضر.. ارسلهم لقبض روحي والصعود بها إلى.. إلى.. إلى أين؟ لا أعلم هل إلى جنة.. كل ما فعلته وأجرمت فيه ولازلت أذكر الجنة.. الجنة ليست لي.. لا استحقها.. ولا أستحق حتى أن أذكرها.. فلم يتبق إلا الجحيم.. السعير.. يارب هل أسألك الرحمة.. أم ذنوبي أكبر من سؤالي.. هل للقاتلة أن ترحم؟ هل للمذنبة من توبة؟ يارب أشفي أبي واقبل ندمي وحسرتي.. أقبل توبتي.. أحطني بسياج من رحمتك.. عال الأسوار..

لم يتحمل العميد فؤاد ما رآه بأم عينيه.. ولم يستطع الأطباء تأخير إرادة رب العالمين صعدت روحه إلى ربها.. فارق الحياة.. نعم.. رجل بطل حارب وانتصر وكسر كبرياء عدو ظن أنه لا يقهر.. ربَّي.. علَّم.. أحسن.. أحبه الجميع.. واحترمه الجميع كانت آخر كلماته.. النداء.. يا نورا.. نورا..

مرت أيام عصيبة على شريف ومايا.. موت الأب العنيد.. الأب العميد.. محنة نورا ومحاكمتها.. ومايا في بداية شهور حملها..

اضطر شريف للعودة إلى إيطاليا مع مايا وجنينها ذو الثلاثة اشهر في احشائها وذلك بضغط من د. كامل والد مايا.. اقنعه أن كل شيء يسير من سيء إلى اسوأ وليس من الصواب أن يفقد وظيفته.. لا شيء عليه أن يقوم به.. نورا الآن في الحبس الاحتياطي على ذمة القضية ويقوم بالدفاع عنها نخبة من أفضل المحامين.. ووالدته.. تعيش مع أختها «خالته» وهي في أمان تام فلا داعي لوجوده وخسارة كل شيء..

ماجد سمع من أمه الحاجة نعمات ما لا يطيقه بشر.. عن الزوجة نورا بنت الأكابر.. تاجرة المخدرات.. التي طالما ادعت البراءة وذهابها للنادي للمشي.. ولكنها كانت عضوًا في شبكة لتوزيع تلك السموم..

ظلت لساعات تخوض في شرف وعرض وطهارة نورا.. نورا التي كانت لها خادمة.. التي تحملت اذاها وعباراتها الجارحة.. نورا التي رفضت أن تتركها وحيدة عندما سافر ابنها ماجد واختار رفيقة غير زوجته نورا وبخل عليها حتى بمكالمة هاتفية..

استمع ماجد لكلام والدته ووصلت الشحنة الغاضبة بداخله إلى ذروتها فقام على الفور بالاتصال بالمحامي الموكل بالدفاع عن نورا وأخبره أنه يريد اتمام الطلاق من نورا..

نورا بملابس السجن البيضاء لا تتحدث لأحد.. ممتنعة تمامًا عن الكلام.. تذهب في سيارة الترحيلات إلى مبني النيابة للتحقيق.. تظل صامتة.. تسمع عشرات الاسئلة.. المئات من النصائح.. إن السكوت سوف يؤدي بها إلى حكم قاس لا تتحمله واذا تجاوبت مع المحققين أثناء التحقيق فلربما يساعدها في فهم ملابسات وفك لغز ما حدث.. لكن نورا بلا أي استجابة فهي مازالت تطلب العفو من الله ليس من البشر.. أو الموت.. لم تعلم بخبر وفاة اباها للآن.. تدعوا له الله بالشفاء وأن تراه لتقبل يداه وقدماه.. علّه يغفر لها حماقاتها.. وعنادها وعدم اتباع نصائحه..

كانت نورا تعتقد أن اسوأ ما في الوجود هو العيش بجوار الحاجة نعمات وثعبانها القبيح القابع داخل فمها الممتلئ بالحلوى والمكسرات.. ثعبان ينفث

سمه إلى كل من حوله.. وأن الاسوأ منه هو الزواج واقترانها بشخص أناني فاسد.. فاشل.. مثل ماجد.. ولكن وجودها داخل جدران السجن جعلها تشعر ان هناك ما هو الأسوأ على الإطلاق.. السجن وتحديدًا سبب دخول السجن.. الاتهام «حيازة واتجار في المخدرات» يا للعار.. نورا.. زهرة النادي.. الجميلة.. كريمة بطل حرب أكتوبر العظيمة رجل الوطنية.. ابنته متهمة بتجارة وحيازة مواد مخدرة سموم يقتل بها جيل بأكمله..

أتى إلى نورا من يخبرها ان لها زيارة شخصية خاصة.. في مكتب أحد ضباط السجن.. ذهبت إلى المكتب بصحبة الحارسة كانت تظن أن المحامي أتى ليقنعها بضرورة الحديث للدفاع عن نفسها وبالتالي يجد هو ما يقوله ليدافع عنها يوم المحاكمة..

فبعد دراسة المحامي لملف قضيتها جيدًا والنظر فيه من جميع الجوانب وجد ان موقفها في غاية الصعوبة حيث ضبط داخل حقيبة يدها كمية من الكوكايين وكانت إجراءات الضبط سليمة.. اذن النيابة وغيرها من الأمور القانونية فالأمل الوحيد هو أن تتحدث نورا تشرح كيف حدث هذا.. تدافع عن سمعتها وسمعة ابيها سيادة العميد فؤاد.. صمتها يعجل بها إلى سنوات طويلة بالسجن وربما الإعدام.. صمتها يضع حياتها.. شرفها.. ويهبط بها إلى دون مستوى الشبهات.. يعيش الإنسان ويحيا سنوات عمره ثم يموت وكل شيء يذهب إلا السيرة الحسنة.. فهل سيرة نورا وعائلتها ستكون حسنة مع التزامها الصمت.. سيرتها ستزداد تلوثًا وانحطاطًا في اوحال عالم الجريمة.. عالم تجارة محرمة.. غير مشروعة دوليا.. تجارة سموم قاتلة..

صمت نورا من الناحية الشكلية للقانون يعد اعترافًا ضمنيًا بارتكابها الجريمة.. اعترافًا ان براءتها وطهارتها.. تلوثت وتدنست بوجود كيسًا من البلاستيك يحوي مسحوق ابيضا.. من أين أتى؟.. لا تعلم.. كيف وجدوه في حقيبتها.. لا تعلم.. هي لا تعلم اي شيء سوى أن في الموت خلاصها..

دخلت مكتب الضابط لتجد أمامها أمها مدام كريمة.. الأم الحنون الأم الفاضلة.. المضحية.. نظرت نورا إلى أمها طويلًا.. تحرك نهر الدموع داخل عينيها وفاض.. فاض نهر الدمع على وجهها وملابسها.. لا تملك نورا ما تقدمه إلا دموعًا.. تعبِّر بها عما يدور بداخلها.. ارتمت في احضان الأم الحنون.. استغاثت نورا بأمها.. بدون ان تنطق بكلمة.. استغاثت بنظراتها أن اخرجيني من هنا.. خذيني.. اهربي بي بعيدًا إلى آخر بقاع الأرض.. إلى مكان لا وجود للبشر فيه غيرك وأبي الحنون..

ابتعدت نورا خطوة إلى الخلف لتنظر إلى أمها الصامتة أيضًا.. نظرت اليها وتفحصتها جيدًا.. إنها هزيلة.. هزيلة للغاية.. حزينة.. عيناها يملؤهما الدمع.. وما هذه الملابس.. نورا تعرف هذه الملابس جيدًا.. فطالما كانت امها ترتديها عندما تكون ذاهبة لأداء واجب العزاء في عزيز فُقد.. وكانوا يسمون تلك الملابس "هدوم العزا".. وكانت الأم تعلقها في آخر مكان في خزانة ملابسها.. حيث انها نادرًا ما تستخدمها..

ماذا يعني هذا.. لما السواد.. لماذا تلك الملابس.. من مات.. أخيرًا تكلمت نورا.. متسائلة.. "ماما.. ليه الأسود.. مين مات.."؟!

ظلت الأم صامتة لدقائق ثم انفجرت في البكاء.. «بابا مات يا نورا».. لم يتحمل ما حدث.. سيادة العميد فؤاد البطل.. مات يا نورا.. منذ أسبوع.. لم نخبرك.. خوفًا عليك.. لكن يجب أن تعرفي.. آخر كلماته كانت اسمك.. كان ينادي عليك.. كم أحبك.. وأوصاني وصية خاصة بك..

كانت الأم تتكلم ومستمرة في الكلام ولم تشعر بسقوط نورا على الأرض مغشيًا عليها.. وأثناء سقوطها ارتطمت رأسها على حافة المقعد.. شجت رأسها وانهمر منها سيل من الدماء..

الأم مستمرة في حديثها لا تشعر ما حدث لنورا.. إلى ان دخل عليهم الضابط ليخبرهم انه تركهم وقتًا طويلًا أكثر من المعتاد.. وعليهم ان ينصرفوا.. الأم إلى خارج أسوار السجن ونورا تظل قابعة في أسوار السجن إلى زنزانتها..

حضرت سيارة الاسعاف لتوقف نزيف الدم من رأس نورا وتنقلها على الفور إلى مستشفى السجن..

تركت الأم وصية الأب لدي الضابط وأوصته ان يعطيها لنورا فور تعافيها من الإصابة أثر وقوعها على حافة المقعد ثم على الأرض.. أثر سماعها خبر وفاة أجمل وأحن إنسان في الوجود.. إلى من تلجأ اليه وقد الشدائد.. الأب الصامد.. الحكيم.. الصابر على عنادها وقراراتها.. أكثر من آمن بحرية المرأة..

عقل نورا الرقيقة وقلبها الضعيف لم يتحمل ما حدث لها من سجنها والتحقيقات لكن كل هذا في جانب.. وأباها في جانب آخر.. أنه الأب.. الأب..

سافر شريف في رحلة جديدة مع المركب.. بعد ان طلب وضعه على رحلة مغايرة لرحلة جنوة – طنجة.. فتم وضعه على رحلة – جنوة «ايطاليا» إلى ميناء برشلونة «إسبانيا"..

أراد شريف الابتعاد عن كل الاماكن التي لها علاقة بما حدث له ولنورا فقد عرف كل ما مر به وما كان يدبره له علاء وحقيقة حقيبة الملابس المليئة بالسموم وأسباب مكالمات علاء ومحاولة الصلح معه وادعاءه انه صديقه الذي طالما احبه وأراد ان تستمر صداقتهما طوال العمر..

مازال شريف مذهولًا من كل شيء.. نورا.. زواجها السيء والزوج الخائن.. ثم الصديقة المزيفة المجرمة التي لم ترحم صديقتها ولا حتى أباها القابع في السجن بسببها وكانت كل نواياه الطيبة أن يقدم يد العون لها ولزوجها المجرم وان يحمل أي حقائب لأجلهما.. يقابل الغرباء من بقية أفراد الشبكة وهو لا يعلم من يقابل وماذا يحمل.. لقد جعلوا هذا المسكين يحمل بيده التي تقرأ القرآن والحاملة لكتاب الله هذه السموم.. اشركوه معهم بدون علمه..

ونورا.. طالما أدت خدمات إلى اللعينة المجرمة مروة.. ولم تحصل نورا إلا على الحقد والغل والشماتة.. وأخيرًا الصاق تهمة.. الله وحده يعلم انها بريئة تمامًا منها.. مخدرات.. أختي أنا.. أجمل بنات النادي تتاجر في المخدرات.. وأين ؟؟في النادي الذي كان أبي أهم عضو مجلس إدارة به..

وصل إلى الضابط المسئول عن العنبر الذي فيه زنزانة نورا.. بعض الأوراق والخطابات التي تخص السجينات وكان من بينها وثيقة طلاق نورا من ماجد.. مصيبة جديدة تحط على رأس المسكينة نورا الغائبة عن الوعي

في مشفي السجن.. مربوطة الرأس.. لا تعلم عن الحياة إلا كوابيس.. مات أباها.. كل ما تذكره هو نبأ وفاة أباها ولا تعلم ان في انتظارها وثيقة طلاق.. ففي أيام قليلة تحولت نورا إلى نورا المجرمة تاجرة المخدرات.. ثم يتيمة الأب ..والآن نورا المطلقة..

كم تقسوا الحياة أحيانًا علينا.. وخُلقنا لنتحمل ونتسلح بالصبر والايمان لكن الضربات ازدادت على نورا وازدادت آلامها.. فلم تعد تتحمل.. لا عقلها ولا قلبها ولا جسدها الهزيل الذي منعت عنه الطعام بحثًا عن النهاية.. بحثًا عن موت رحيم.. فملائكة الموت التي يخشاها ويهابها الجميع.. هي ملائكة رحمة.. ملائكة خلاص لنورا.. الملائكة المخلصون.. المنقذون..

أصبح شريف لا يقوم بعمل شيء داخل المركب إلا العمل.. حتى في أوقات راحته.. صار يرفض أن يحصل على راحة.. فقد وجد في العمل راحته.. فالعمل يبعده عن شبح التفكير الذي كاد أن يقتله.. لا يصدق ان يفقد أباه وأخته في محنة ليس هناك اشد منها محنة.. وزوجته.. حبيبته مايا بدونه وحيدة وهي تحمل في احشائها طفله أو طفلته الأولي.. الذي طالما كان يمني نفسه بأن يكون أباه جدًا بعد ان ينجب اول حفيد في الأسرة..

مات الأب.. مات جد الطفل دون أن يريا بعضهما.. بلا تلاقي.. سيظل الجد العميد فؤاد ذكرى جميلة..

كان شريف قلقًا على مايا.. لذلك اتفق ان تشغل وقتها في الرسم في البيت ووعدها عند عودته إذا اكملت عددًا من اللوحات سوف يستأجر لها متجرًا

ويحوله إلى جاليري لعرض اعمالها فيه.. فهي موهوبة وتتمتع بحس فني راقي للغاية ولديها افكار جديدة للتعبير بالفن التشكيلي..

وقبل سفره بيوم توجها سويًا لشراء كل مستلزمات الرسم التي تكفيها المدة التي يغيب فيها شريف..

وبالفعل بدأت مايا خطواتها الأولي في وضع ما لديها من أفكار وخيال وتصورات في لوحات منفصلة لكن متصلة الموضوعات.. فقد اختارت لنفسها خطا يكون الرابط للمعني بين جميع لوحاتها.. وهو «معاناة الانسان مع اللاضمير».. وهو موضوع صعب التعبير عنه ومن الصعب فهمه لغير المتخصص في الفن التشكيلي..

عملت بجد وهمة شديدة وكان بداخلها حماس نابع من غضب مما حدث لها بالماضي من رجل بلا ضمير.. ومما حدث لنورا من صديقة وزوج و حماة بلا ضمير ومما حدث لشريف من صديق بلا ضمير.. وما حدث لعم زكريا من ابنة بلا ضمير.. وأخيرًا وفاة اجمل واشجع الرجال من كل هؤلاء الذين سبقوا بلا ضمير.. إنها ارادة الله.. اختبار من الله وعلينا تقبل القدر.. خيره وشره..

لكن ليس معني أن نتقبله هو أن نضغطه في داخلنا ونقوم بكبته.. لابد من اخراج الوحش الصارخ داخلنا.. ليصرخ قائلًا كلمته.. معلنًا رفض لمن هم بلا ضمير ان يقوموا بإيذائنا.. ونقف مكتوفي الايدي لا نحرك ساكنًا ولا نستطيع حتى ان ندافع عن انفسنا.. فالله وهبني اتقان استخدام الفرشاة والألوان.. وهذا هو سلاحي للتعبير عن الغضب الكامن بداخلي واخراجه بآلاتي.. الألوان والفرشاة.. والتصوير بكل تلك المعاني الحزينة الصارخة..

كي يستفيق المجتمع.. ويقف حاجزًا أمام من تخلصوا من ضمائرهم ووجهوا سهامهم وأسلحتهم إلينا.. لتسقط ضحاياهم «نورا.. شريف.. أنا.. عمي فؤاد».. كلنا ضحاياهم.. فلنصرخ قائلين «لا»..

جاءت يوم جلسة المحكمة.. جميع المتهمين حضروا وتجمعوا سويًا في قفص الاتهام قفص ضمهم جميعًا.. الفاجر والحائر.. علاء ومروة مع العم زكريا المذنب البريء كلهم وراء اسلاك القفص الحديدي.. ينتظرون سماع مصيرهم الا واحدة ..إلا نورا.. راقدة في سرير صغير في مشفى السجن وعلى باب حجرتها حراسة.. فاقدة الوعي تمامًا.. هل من اثر ارتطام رأسها أم أن عقلها يهرب بها بعيدًا.. بعيدًا.. عن هذا الجنون.. ما يحدث لها درب من الجنون.. أي انسان يتحمل كل هذا.. وآخر الضربات الموجعة هو موت البطل وعادة عندما يموت البطل تهبط الستائر وتكتب النهاية.. فهل ستائر نورا في طريقها للهبوط.. هل ستكتب النهاية وهي على ذلك السرير الصغير وعلى حجرتها حارس.. مخافة أن تهرب.. أنهم واهمون ان ظنوا إنها باحثة عن حرية.. وأن الهروب هو المخلص لها.. على العكس هي باحثة عن عقاب عن عذاب تكفر به عن جرائمها في حق نفسها ومن حولها ممن أحبوها.. مات البطل..

ظلت نورا تهذي بكلمات وهي نائمة.. غائبة.. هاربة من الحقيقة.. ليست حقيقة سجنها أو حقيقة ظلم قد وقع لها.. إنما حقيقة اشد مرارة واشد على نفسها ايلامًا ولا تتحملها مهما كان لها من الصبر أكوامًا.. حقيقة موت أباها.. عميدها.. موت البطل..

مات بطلها.. فوجدت نفسها وهي نائمة تنعيه بأشعار قد تعلمت كيف تنظمها منه.. من البطل.. العميد فؤاد.. فقالت بصوت يكاد يكون غير مسموع إلا لأذنيها..

مات البطل.. مات البطل دون التفاتة أو اهتماما
مات البطل.. قبل الوداع وقبل إلقاء سلاما
يظل البطل بطلًا.. فهو المهاب.. هو الفارس الهمام
فالهثوا وراء قاتله.. هلموا هلا انتقاما
مالي من عيش بعده فمتع الحياة صارت عداما
مات معلمي .. من علمني الشجاعة ورمي السهاما
فلم يبق لي بعد موته الا شقاءً وآلاما
فيابني البشر اصدقوني القول.. انها أضغاث أحلاما
تأتينا بكابوس.. فننتفض بعد سكينة والناس نياما
فقفوا للبطل العظيم.. وامنحوه كل وقار واحتراما

انهمر الدمع من عيني نورا.. وصاحب نزول دمعاتها آلامًا شديدة في رأسها وعيناها.. لكنها تحملت وشعرت ان دموعها هي ماء الغسل الذي يغتسل به المتوفي.. فصارت تعتصر عيناها أكثر لتغسل جسده الطاهر بدموعها أكثر وأكثر..

انعقدت جلسة المحكمة.. استفاضت النيابة ممثلة في رئيسها.. شرحًا.. مقترنا بأدلة.. عما قامت به تلك الشبكة المحلية والدولية من إدخال السموم للبلاد ثم القيام بتوزيعها وبيعها.. فتدمر شبابًا هم القوة الحقيقية والثروة لأي بلد تسعي لأن تكون بين مصاف الدول القوية..

فكيف لمجتمع ان يكون صناعي.. زراعي.. منتج.. كيف ينتج وهو يتعاطى كل ما يذهب العقل ويوهن البدن..

تحدث ممثل النيابة طويلًا.. إلى ان جاء دور الدفاع عن المتهمين وبعد اوقات طويلة وصبر طويل من قاضي الجلسة تم تأجيلها لسماع شهود ومناقشة أدلة وبراهين أكثر..

كانت مروة قابعة وراء القضبان الحديدية.. صامتة.. تتذكر وتتخيل.. سيارتها الفارهة.. والبيت الحديث.. والخادمة.. وعضوية النادي.. واسمها كما كان يناديها الجميع «الهانم» والأموال الطائلة في البنوك وحقيبة يدها وطعم القهوة من ذاك المقهى الشهير.. المزدانة بالكراميل..

ستقضي ما يتبقى لها من عمر تتذكر طعم لا مثيل له وخاصة إذا دفعت فيه آخر نقود لديها.. فإن مذاقه حتما يكون مختلفًا..

تتذكر مروة كل هذا وعن يسارها يجلس على الأرض العم زكريا.. أباها المسكين افنى عمره في زرع معنى «نعمة الرضا» لكن المعنى لم يثبت في الأرض.. اقتلعته نسمة هواء ضعيفة هبت على المكان.. خسارة يا مروة.. هانت عليك نفسك وهان عليكِ أبوك..

وعلاء علي يمين مروة.. علاء ناظرًا وشاخصًا ببصره إلى ما بين قدميه يستعيد شريط حياته وأحداثها.. ويتساءل هل من خطأ صغير خروجي وتنزهي مع فتاة لا أعرفها يفعل بي كل هذا.. يودي بي إلى سجن إلى عالم سحيق لا أنتمي إليه ولا استطيع أن أكون جزء منه.. أنا علاء ..وحيد أبي وأمي.. عشت عمري مدللًا.. كيف بي أن اعيش هكذا في هذا المكان وأتناول هذا

الطعام.. أين حجرتي.. حمامي.. طاولة السفرة.. أصناف الطعام.. ملابسي المهندمة النظيفة.. سيارتي..

أين اصدقائي.. وشريف صديقي.. ثبت على مبدأه.. هو على صواب دائمًا.. شريف على صواب.. ربما لهذا اخطأت.. أخذت طريقًا عكس طريقه.. عاندت لأثبت لنفسي ولشريف وللجميع انه على خطأ وأنني على صواب وإنه خسرني كصديق وأردت أن أجعله يتذوق طعم الندم.. لكن صار التيار ضدي وكان العكس تمامًا.. شريف هو الناجي وأنا الغارق.. هو على صواب وأنا المجرم المتهم في تجارة محرمة في محاولة تسميم المجتمع.. في التربح بمال عن طريق غير شرعي أو قانوني.. اين أمي التي قاطعتها.. وأبي.. كم تحملني ومنحني فرصًا كثيرة..

إنها مروة.. تلك الفتاة الخبيثة اللعينة.. دخلت حياتنا دون استئذان اقتحمت عالمي.. توددت إلى.. قامت بخدمتي.. كيف لم اكتشف هذا ولم انظر لها على انها مجرد خادمة.. كيف لم تراها عيني.. إنها كانت تأتي للمشفى.. تسهر الليل بطوله على كرسي فقط لتخدمني.. دون ان تعرفني او تربطنا أي علاقة من أي نوع.. استمعت لنصائحها.. صدقت انها تخاف عليّ وتريد أن تراني في مكان أعلى مما أنا فيه.. أحكمت خيوط شباكها حولي.. عزلت أمي عني.. وبدلت الاسماء.. حكمة أبي اسمتها.. التحكم فيّ طوال الوقت وإلغاء لشخصيتي.. وسماعي لنصائح أمي.. أوجدت لها اسمًا آخر «لا يصح أن تكون ابن امك».. وهذا بالطبع اتهام لا يقبله كبرياء أي رجل.. خبيثة.. ماكرة.. هي سبب كل ما أنا فيه.. هي من تحمست لفكرة تجارة المخدرات.. دنيئة..

جائعة.. تبحث عن التربح السريع.. تعشق المال.. ولا تعشق غيره.. هي لم تحبني ولم تحب أباها المسكين الذي لم يسلم من أذاها.. ولم تحب صديقتها الطيبة نورا بل على العكس كانت تمقتها.. تحقد عليها.. تغار منها..

هي السبب في هدمنا جميعًا.. حطمتني وكسرت ظهر أبي.. واضفت الحزن والقهر على قلب أمي.. فتحت لي طريق الشيطان لأسير فيه لا .. ليس طريق الشيطان.. إنه طريقها هي.. أنها الشيطان ذاته..

***

تحرك مايا فرشاتها بألوان متعددة في كل اتجاه في لوحاتها تصور بها ما يتكبده الإنسان من معاناة عندما يلتصق به ويقتحم حياته من لا ضمير له..

فصورت الانسان بلا ضمير كحيوان القنفد.. أشواكه تطال كل من حوله فلا يسلم من لسع أشواكه أحد.. حيث يمتلك اشواكًا كثيرة في كل مكان وكل اتجاه.. فحيثما كنت عن يمينه أو يساره.. فوقه.. أسفله.. سوف تتوجع وتتألم ألمًا شديدًا.. واذا حاولت الخلاص والابتعاد عنه.. يظل يلاحقك بمعسول الكلام.. إلى ان تسمح له بالاقتراب.. فيقترب وتكتوي ألمًا مرة أخرى فأشواكه لن ترحمك وسوف تظل تنغمس في جلدك وتتوغل حتى تصرخ ألما.. وترى جلدك يدمي.. ودماءك تسيل.. عندها فقط يشعر بالسعادة وربما يتنحى جانبًا ويرحل.. وأنت تصبح حطامًا.. بدم مسال..

هكذا صورت مايا هذا المشهد ورسمته في أبدع وأبهى صورة ومن يرى اللوحة فالمعني غير مستتر.. المعنى واضح وجلي.. من الظالم بلا ضمير.. ومن الضحية والفريسة..

انهت مايا العديد من اللوحات.. وبين كل فترة وأخرى كانت تجرى اتصالا بشريف واتصالًا بأبيها في الإسكندرية واتصالًا ثالثًا بوالدة شريف مدام كريمة المقيمة في بيت أختها..

هكذا شعرت مايا بمسئولية تجاه الجميع وكانت تتمني لو استطاعت أن تزور نورا..

مرت عدة أيام على نورا.. تفيق للحظات ثم تستعيد طريق الهروب.. طريق الخلاص الاغماء الذي ربما يؤدي بها إلى الهدف الأسمى.. الخلاص الكبير والنهائي إلى الموت.. وفي إحدى المرات افاقت تنظر حولها.. فوجدت الحجرة مظلمة تمامًا فعرفت ان الوقت مازال ليلًا ولم يحن الفجر بعد.. ثم سمعت اثنان من الاطباء بجوار سريرها يتحدثان بالعربية مع بعض المصطلحات الطبية بالإنجليزية استطاعت أن تفهم إنهم يتحدثون عن حالة مريض أصيب بنزيف حاد في المنطقة المحيطة بالمخ أدى إلى خروج العصب المغذى للعين من الناحيتين وإلى انسداد الأوعية الدموية التي تغذى الشبكية بواسطة جلطة دموية.. ولسوء حظ هذا المريض فآنه أصيب بفقدان للبصر في عينيه وليس عين واحدة كما هو شائع..

استعادت نورا موهبتها في الترجمة الفورية.. «من هذا المسكين الذي يتحدثان عنه الذي فقد البصر في كلتا عينيه ويذكر الطبيبان أيضًا أنه لا علاج لحالته.. سيقضى ما تبقي له من عمر «أعمى».. «كفيف».. الآن أدركت أن مهما كبرت مصيبتي فإن هناك من هو ذائق لابتلاء اكبر.. يارب اشفي كل المرضى.. وساعد هذا الرجل على تعلم ممارسة حياته الجديدة بلا ضوء.. بلا نور.. ساعده على التكيف على فقدان نعمة البصر.. ويارب حقق لي مطلبي.. ارسل ملائكتك ليأخذوا ويقبضوا تلك الروح البائسة.. روحي.. روح امرأة

خذلت أباها وأمها.. ضاعت وسط ظنها ان براءتها تشفع لها من الذئاب والثعابين..

في نفس اليوم زار نورا ثلاثة أطباء طبيب متخصص في المخ والأعصاب وطبيب آخر متخصص في أمراض الرمد والعيون وثالث هو الطبيب العام المسئول عن حالة نورا.. التف حولها الأطباء الثلاثة في جنح الظلام والساعة تشير إلى الثانية بعد الظهر والشمس في منتصف السماء.. لكن الظلام يحيط الحجرة من كل مكان.. قاموا بالحديث اليها وشرح حالتها بالتفصيل واخبروها ان الساعة تدق الثانية.. منتصف النهار.. فتذكرت ما سمعته من قبل عن حالة ذلك المريض الأعمى.. انه أنا.. أنا أصبحت عمياء.. كفيفة.. كنت ادعو لنفسي وأنا أظن أني أدعو لرجل كفيف وأتمني ان يتأقلم على الوضع الجديد.. إنه أنا من يجب أن تتأقلم على الظلام في النهار والليل.. ليس هناك فارق بينهما اني طلبت الموت بعد كل ما مر بي من عذاب.. فيارب بدلًا من الإرسال في طلب وقبض روحي تأخذ بصري.. أي راحة هذه.. فها أنا ذا يزاد على ألقابي لقبًا جديدًا.. نورا العمياء.. نورا الكفيفة.. كنت دومًا اتطلع لأن يأتي أحدًا لفتح النافذة.. الآن.. لا داعي.. نافذة مغلقة أو مفتوحة.. مفتاح نور يعمل أو لا يعمل.. كل الأمور متساوية.. لقد أرخيت ستائر عيني ولن ترتفع أبدًا.. أين النهاية.. هبطت الستائر وأرخيت ومازلت انتظر.. كلمة.. كلمة واحدة.. كلمة "النهاية".. ففيها راحتي.. وفيها انتقام السماء مني.. نهاية بطعم الراحة..

عادت نورا إلى السجن.. عادت بمظهر جديد.. لا تسير وحدها.. وإنما معها من يسحبها ويوجهها..

استدعاها ضابط السجن قال لها بعض كلمات المواساة والرفق بحالها.. ثم اخبرها أنه يحمل لها شيئين مهمين.. الأول من زوجها.. ثم ناولها ورقة كبيرة.. قالت له.. ما هي.. أنا لا استطيع النظر والقراءة هلا تساعدني وتقرأ ما فيها.. بعد ان سكت للحظات ولا يدري ما يقول تشجع قائلًا.. إنها وثيقة طلاقك يا نورا من زوجك المدعو" ماجد محروس" وربت على كتفها.. كغير عادة أي امرأة تتسلم ورقة طلاقها فتحزن وتبكي حتى لو كانت تتمناها من قبل لكن نورا شعرت بالعكس تمامًا.. فكانت تشعر أن ماجد يصعب إبعاده عن حياتها.. وعندما امسكت الوثيقة في يدها رفعتها إلى شفاها وقبلتها قائلة.. لك الحمد يارب على نعمة الخلاص من الكابوس والثعبان.. شعرت بارتياح غريب.. إن لم يعد لها أي صلة بهذا المخلوق وأمه..

ثم استطرد الضابط بعد ان رأي رد فعل نورا الهادئ السعيد فتشجع قائلًا أما الشيء الثاني يا نورا.. فهذه المذكرات تركتها لك والدتك مدام كريمة قائلة إنها آخر وصايا والدك العميد فؤاد رحمة الله عليه.. ان يعطوك أنت مذكراته بخط يده.. وجاءت والدتك لتنفيذ الوصية وعند اصابتك تركتها لك..

امسكت نورا دفتر المذكرات بلهفة وأول ما فعلته هو وضعه على وجهها لتشتم فيه رائحة أباها ظلت تأخذ انفاسًا متلاحقة وتشتم المذكرات من كل جانب ودموعها لا تتوقف.. ثم قالت يارب.. أخذت بصري قبل أن أراها واقرأ حروفها حرفًا حرفًا.. إنه خط أبي.. سيادة العميد.. كنت أمنى نفسي

يارب أن تمهلني بضعة أيام ثم أسحب بصري مرة أخرى.. ثم سألت الضابط هل ممكن ان تقرأ لي عنوان المذكرات.. ماذا سماها أبي..

نظر الضابط إلى الدفتر وأجاب.. «عجائب اكتوبر.. دروس في فنون القتال»..

ابتسمت نورا لأول مرة منذ اسابيع.. فرحة لم تشعر بها منذ زمن بعيد.. فرحة نجاح أباها.. اكتمال المذكرات.. فهو واضح من معنى العنوان.. يتحدث عن اعجب وأغرب ما مر به خلال اشتراكه في الحرب.. وايضًا كيف لقن الجيش المصري العدو درسًا ليجعل من لا يقهر.. يقهر!!

شكرت نورا الضابط وانصرفت.. ولا يشغل تفكيرها أمر طلاقها على الاطلاق وأن كل ما كان يستحوذ على ذهنها هو كيف ستقرأ هذه المذكرات.. من ممكن ان يساعدها في ذلك.. وبينما هي سائرة بصحبة الحارسة التف حولها جمع من السجينات يقدمن لها المواساة والعزاء بعد سماعهن بخبر طلاقها وقد تطوعت بعض منهن بسب ولعن الرجال.. وأنه لا مأمن لامرأة من شرهم..

لم تكن نورا تنصت إليهن.. كل ما كان يدور في رأسها هو من تصلح ان تساعدها في قراءة المذكرات بانتظام دون أن تشعر بملل.. فلم تجد نورا إلا إلى توجيه الطلب بشكل مباشر فأشارت لهن بيديها ان كفوا عن الثرثرة واسمعوني.. انصت الجميع.. رفعت نورا دفتر المذكرات إلى أعلى قائلة.. هذه مذكرات أبي عن حرب اكتوبر وشرح للخطط والتكتيكات العسكرية والتي شارك في وضعها وتنفيذها بنفسه للوصول إلى الهدف المنشود.. تحرير الأرض.

هل لي أن تساعدني احداكن في قراءة تلك المذكرات لي.. فأنتن كما تعلمن.. لا أبصر.. فبالتالي لا أقرأ..

سكت الجميع.. وجاء صوت من بعيد.. «أنا.. أنا لي عظيم الشرف أن اقرأ معك مذكرات رجل عظيم قدم لبلده خدمات جليلة»..

تقدمت الفتاة وقامت بتعريف نفسها لنورا.. اسمي «ايناس» عمي كان محبًا للرئيس السادات وكان دائم الحديث عن ذكاءه وفطنته بجانب ثقافته السياسية والتاريخية وأيضًا الدينية.. اتقانه للإنجليزية والفارسية.. هذا بجانب الشخصية التي تجبر من يتعامل معه على احترامه وتوقيره.. أحببت السادات بسبب روايات عمي عنه وأنا صغيرة.. وعندما كبرت ونضجت شخصيتي قرأت كثيرًا عن فترة حكمه وتحديدًا فترة ما قبل وما بعد حرب أكتوبر العظيمة..

نورا وايناس أصبحتا صديقتان منذ ذلك اليوم.. ظهور ايناس في حياة نورا ازاح عنها التفكير وطلب الموت جانبًا.. ووجود مذكرات سيادة العميد فؤاد جعلت نورا تحب الحياة وتتشبث بها اكثر.. كي تقرأ كل حرف وتقرأ ببصيرتها ما بين السطور..

كانت إيناس قارئة جيدة وكانت مستمتعة بقراءة المذكرات مع نورا..

جاءت ميعاد المحاكمة للنطق بالحكم.. كان قلب نورا يدق بشدة قبل النطق بالحكم.. وقد أبلى المحام الخاص بها بلاءً حسنًا.. حيث اوضح من خلال السيرة الذاتية لنورا والسيرة الذاتية لمروة.. أن نورا بعيدة تمامًا عن شبهة حيازة تلك المواد وانها تركت مروة وبجوارها حقيبة يدها لإحضار الماء

فقامت مروة بإلقاء الكيس في حقيبة نورا.. ومما ساعد في قوة موقف نورا هو شهادة أحد ضباط الضبط والإحضار الذي كان يطارد مروة داخل النادي ورأها تميل على مقعد نورا بعد ان نهضت متجهة إلى داخل الكافتيريا.. وكان واضح إنها تفعل شيئًا ما فوق المقعد.. وعندما هربت طاردها بعض الرجال وتوجه بنظره إلى الطاولة حيث وجد حقيبة نورا على المقعد ففهم أن مروة كانت تفعل شيئًا بالحقيبة وعند عودة نورا بالماء طلب منها ان يفتش حقيبتها وعثر بداخل الحقيبة وعلى سطحها ليس بأسفل الحقيبة على كيس الكوكايين.. ثم أكد رجل آخر من رجال مكافحة المخدرات أقوال زميله حيث قال كلامًا مشابه لذلك.. مما أعطى قناعة للقاضي أن نورا لم تكن إلا ضحية تعيسة وأن مروة هي رأس الشيطان الأكبر..

وأيضًا ملف نورا الطبي والحالة الصحية التي أصبحت عليها وفقدانها البصر.. أدي إلى ان يقوم القاضي بإصدار حكمه بالسجن لمدة عام واحد فقط.. وقد مر منه نصفه تحت السجن الاحتياطي وباقي أشهر معدودة وتخرج نورا من هذا الكابوس..

كانت مدام كريمة حاضرة للجلسة وبعضًا من أفراد اسرة نورا..

وكان هناك رجلًا جالسًا في هدوء في الصف الأخير للقاعة.. وبمجرد النطق بالحكم انطلق في التصفيق والتهليل حيث إنه معروفًا أن الاتجار في المخدرات عقوبتها الاعدام وفي أقل تقدير الحكم بالسجن المؤبد..

من هذا الرجل؟؟.. نظر الجميع إليه.. حتى نورا أدارت رأسها نحو الصوت.. وبالطبع لا تستطيع رؤيته.. فسألت والدتها التي كانت تقف

بجوارها وهي داخل القفص والأم في خارج القفص وبينهما القضبان الحديدية من هذا الرجل يا أمي؟؟.. أني أعرف هذا الصوت لكن لا استطيع التذكر..

نظرت اليه مدام كريمة واجابت نورا قائلة.. إنه أبو الغالية أبو زوجة اخيك.. صاحت نورا فرحة عمي د. كامل..

نعم إنه د. كامل.. حضر من الاسكندرية في كل جلسات محاكمة نورا وهو من أحضر المحامي الخاص للدفاع عنها.. وكان يترك لها أموالًا في الأمانات في السجن.. وقد زارها في مشفى السجن اكثر من مرة للاطمئنان عليها لكن دون ان تدري..

تقدم منها مهنئًا إياها.. "نعم يا نورا انا عمك كامل.. ألف مليون مبروك.. قريبًا جدًا سوف تخرجين».. شكرته نورا بشدة ثم استطردت قائلة.. اخرج فين ولمين.. وأنا بظروفي هذه و بصري الذي ذهب عني.. ماذا عساي أن افعل..

اجاب د. كامل .. نورا لا تقلقي أنا اعددت لك كل شيء وهناك الكثير من المفاجآت في انتظارك.. دعينا فقط ندعوا الله أن تمر أيامك سريعة وتخرجين على خير..

عادت نورا إلى السجن بعد جلسة المحاكمة.. بدأ الشعور بالعدل يزحف إلى قلب نورا شيئًا فشيئًا.. كانت تظن انه لا خلاص من اتهامها بتجارة سموم غير مشروعة.. يعلم الله وحده إنها لم يكن لها ناقة ولا جمل في هذا العمل الشرير.. عادت إلى سجنها إلى زنزانتها.. إلى مذكرات اباها..

جلست مع إيناس لتبدأ القراءة لها في صفحات المذكرات التي طالما تمنت نورا ان ترى اوراقها.. وخط أبيها الجميل.. وطريقة تنظيمه للحروف والاسطر وبينما إيناس تقرأ استوقفتها نورا سائلة ايناس.. ألم تلحظي عليّ شيئًا مختلفًا اليوم؟.. أجابت ايناس.. «نعم».. أرى على وجهك شعور بالسعادة والرضا.. ما سر هذه السعادة يا ترى.. هل بسبب الحكم المخفف الذي حصلتِ عليه أم ماذا؟!

ردت نورا.. نعم الحكم المخفف بالإضافة إلى رؤيتي لأمي الحنون وافراد اسرتي.. كذلك رأيت رجلًا كم أكن له كل تقدير واحترام.. إنه د. كامل والد مايا الجميلة زوجة اخي شريف.. آه.. كم أحبهم.. شريف أخ بمعني الكلمة وزوجته مايا.. أحبها كثيرًا.. طيبة.. حنون.. جميلة.. فنانة موهوبة.. هي متخرجة من كلية الفنون الجميلة مثلي.. كم شعر قلبي بالفرحة عندما رأيت عمي د. كامل وكأنني رأيت شريف ومايا..

عادت إيناس للقراءة من جديد واستمرت في الانتقال بين الصفحات وهي مستمتعة ونورا أيضا في غاية الاستمتاع بكتابة أباها وأسلوبه الشيق والصدق الشديد الذي تشعر به جليا واضحًا.. إلى ان وصلت إيناس عند أحد المواقف التي كان يذكرها العميد فؤاد حيث كتب «الحياة العسكرية داخل الجيش المصري كما يظنها الكثيرون تتسم بالشدة والحزم ولا تعرف إلا الصرامة والعقاب الشديد للمخطئ.. لا.. هناك رجال لها قلب وتعرف الرحمة والتسامح وتقدير الأمور حق قدرها واحيانًا روح الأب تتغلب على روح الرتبة العسكرية الأمرة الناهية.. واستشهد العميد فؤاد لتثبيت هذا المعنى

بأحد المواقف التي مر بها اثناء خدمته في الجيش قبيل حرب اكتوبر العظيمة.. حيث إنه تقدم أحد المجندين إلى قائده المباشر بطلب نزول اجازة سريعة إلى بلدته لرؤية امه حيث اخبره احد المجندين العائد لتوه من الاجازة وهو يقطن بنفس البلدة أن حالة والدته الصحية سيئة للغاية ويقول الاطباء انها في أيامها الأخيرة وهي تنطق وتصيح باسم ولدها المجند طوال وقت افاقتها..

بكى المجند طويلًا على أمه.. وتقدم بالطلب للذهاب في إجازة طوارئ لرؤية أمه لكن قائده قام بالتأشير على طلبه «بالرفض» قائلًا أننا نحتاج إلى جميع الافراد للتدريبات ولن يسمح بأي اجازة مهما كان الموقف.. رفض القائد المباشر..

أنهار المجند وانخرط في البكاء ولم يستطع التركيز في أي عمل يوكل اليه.. وفي جنح الليل استطاع التسلل عبر أسلاك المعسكر.. هرب من المعسكر.. وسافر إلى بلدته وظل بجوار أمه ثلاثة أيام كاملة.. وفي اليوم الرابع.. ماتت الأم وهي تدعو لولدها راضية عنه.. قام بدفنها وعمل جميع الإجراءات اللازمة وفي المساء أتى جمع غفير إلى داره للتعزية.. وعند بداية خيوط الفجر الأولي توجه المجند عائدًا إلى وحدته.. وبمجرد دخوله تم إلقاء القبض عليه حيث انه سُجل هاربًا من اليوم الأول لمغادرته المعسكر.. ووضع في أحد زنازين السجن الحربي.. وعندما رُفع الطلب إلى قائد الكتيبة للتأشير لتوقيع الجزاء على المجند الهارب وكنت أنا قائد الكتيبة.. قبل التأشير أردت العمل بالعدل كما قال الله تعالي في كتابه العزيز «إن الله يأمر بالعدل والإحسان» فطلبت مذكرة تفصيلية بواقعة الهروب وملابساتها وعند قراءة المذكرة علمت

ان المجند اتبع التعليمات والاجراءات وقام بتقديم الطلب لإجازة الطوارئ إلى قائده المباشر والذي رفض الموافقة على طلبه.. بعدها هرب المجند لابد في الأمر شيء.. أريد سماعه قبل التأشير بالعقاب..

حضر المجند من زنزانته إلى مكتبي.. دعيته للجلوس وأحضرت له كوبًا من الشاي الثقيل واشعرته أني لم احضره لسؤاله أو محاكمته.. بل لمشاركته اسباب الهروب وعليه ان يحكي ويشرح وهو في امان تام.. وأي سر يقوله لن يذاع مهما كانت الأسباب.. هكذا يتعامل الرجال..

بدأ المجند في شرح الموقف من وجهة نظره وكيف انه كاد يجن وفقد تركيزه في التدريبات وكل شيء.. خوفًا على أمه وفقدانها.. وإن كان لله حكمة في موت أمه ولا اعتراض فعلى الأقل.. يراها.. ويسترها بالدفن الشرعي بنفسه حيث هو الابن الوحيد على ثلاث شقيقات.. والأب متوفي منذ زمن.. والأن بعد وفاتها اصبح هو العائل الوحيد للأسرة.. بجانب الرعاية على استيحاء من الاقارب..

اقترب موعد الغداء.. أمرتُ بإحضار عدد 2 غداء لي وللمجند المسكين الذي اصبح يتيم الأب والأم.. وحمل مسئولية ثلاثة فتيات وهو في الجيش ومقبل على حرب لا يعلم أحدًا إلا الله وحده إن كان سيعود سليمًا معافي إلى شقيقاته أم يستشهد أم يصاب.. لا أحد يعلم..

هكذا تعلمنا أن لأي رواية وجهة نظر أخرى.. وإن للعدالة وجوه كثيرة.. وليس من العدل السماع من طرف واحد والتحيز التام لهذا الرأي

دون اعطاء الفرصة للطرف الآخر لعرض قضيته وشرح وجهة نظره.. فكما تعلمنا.. للعدالة اكثر من رواية..

بعد الغداء.. أصدرت أوامري.. أولًا.. يذاع في طابور الصباح إقامة مجلس عزاء في إحدى صالات الاجتماعات وقيام افراد الكتيبة بتعزية المجند..

ثانيًا: التبرع بمبلغ واحد جنيه وهذا اختياري لمراعاة ظروف المجند وأسرته..

ثالثًا: إصدار العفو عنه في عقوبة الهرب واستبدال العقوبة المنصوصة بأمره تنظيف العنابر لمدة ثلاثة أيام..

فرح المجند عند سماعي القاء تلك الأوامر على المساعد الخاص بي.. لكتابتها وابلاغها للجميع وقام بعناقي والدموع تنهمر من عينيه.. ثم قال لي.. يا فندم أنا أعلم ان الرجال لا تبكي.. وعند موت أمي لم أبكِ حيث كنت متوقعًا موتها بين لحظة وأخرى ولكن ما فعلته معي اليوم.. نزع حاجز الدمع من عيني فوجدتني لا اتمالك نفسي وابكي بشدة.. لقد هربت وتغيبت اربعة ايام.. اوقفت عقابي واستدعيتني لمكتب حضرتك الذي أدخله لأول مرة واحضرت لي الشاي واستمعت لي باهتمام رغم علمي بحجم انشغالك في اعمال القيادة.. وأحضرت لي نفس الغداء الذي تأكله وأوليتي شرف تناول الغداء مع قائد الكتيبة وبعدها تعفوا عني وتطلب من الجميع التبرع بالمساعدة المالية.. كم أنت أب رحيم.. كم انت عادل حكيم..

بعد ان استمعت اليه ودموعه لا تتوقف عن الهطول وهو في شدة التأثر.. أخبرته ان القيادة ليست فقط حزم وعقاب وأوامر.. إنما عقل.. وحكمة.. ورحمة»..

انتهت ايناس من قراءة تلك الفقرة من رواية العميد فؤاد قائد الكتيبة وحكايته مع أحد المجندين وان الرحمة تسبق العقاب والعدل يسبق الشدة كانت ايناس اثناء قراءتها تشعر بتسارع في انفاسها ولم تشعر بالدمع يسقط من عيناها.. كانت تقرأ لنورا ولنفسها وخيالات تتحرك أمامها بشكل متسارع واصوات وأحداث كثيرة مرت عليها لها عامل مشترك مما قرأته في مذكرات العميد فؤاد..

شعرت نورا بصوت بكاء إيناس واستمر الصوت في ازدياد إلى ان اجهشت ايناس بصوت عالٍ مسموع ممتلئ بالآهات والزفرات.. والقت برأسها على صدر نورا.. لم تستطع نورا فعل أي شيء إلا أن تقوم بدور الأم الحانية على فتاتها.. التي من الواضح إنها تمر بأزمة نفسية عنيفة وتعيش حالة من الحزن والتخبط مصحوبة بصمت خالص.. إلى ان حانت اللحظة.. لحظة استثارة أخرجت فيها إيناس كل ما بداخلها من ضغط وكبت ومن الواضح ان الموقف الذي رواه العميد فؤاد في مذكراته.. كان هو القشة التي قسمت ظهر ذكريات مؤلمة مضت داخل إيناس..

بعد ان هدأت .. سألتها نورا حيث كانت في غاية القلق عليها.. تريد أن تعرف ماذا حدث.. هل هي لها علاقة بهذا المجند.. فهذه الرواية حدثت من عشرات السنين ربما يكون أباها.. جدها.. أحد اقرباءها.. لا أعلم.. لابد أن

افهم.. ما دخل مذكرات ابي في انهيار ايناس.. يا لهذا العالم الضيق.. كأن هناك خيوطًا ترتبط ما بين الناس جميعًا.. أو ربما أكون مخطئة وليس لهذه الرواية أي علاقة بينها و وبين كل ما حدث من انهيار داخلي لإيناس.. لابد ان تتكلم..

قالت نورا.. «ايناس.. ارتاحي واهدأي.. كل مشكلة ولها حل.. انظري إليّ.. كنت باحثة عن الموت.. الآن أنا مشتاقة للحرية للخروج خارج تلك الاسوار رغم فقدان بصري وأني لم أعد أرى إلا ظلامًا.. لكن لدي طاقات كثيرة لأكمل مسيرتي ومسيرة أبي..

أجابت ايناس: «حسنًا سأتكلم.. لأنك نورا من أنارت لي طريقي رغم فقدانك للنور.. لكن اشعر بالنور يخرج من داخلك لينير كل ما حولك.. اني احبك يا نورا.. احب صداقتك.. فأنا ليس لي أصدقاء.. وأخيرًا وجدتك سأحكي لك قصتي وستفهمين من كلامي الرابط بين قصتي وقصة المجند في مذكرات سيادة العميد فؤاد.. والدك رحمة الله عليه..

أنا اسمي «ايناس عبد الرحيم» من أسرة أقل من متوسطة الحال.. أقرب إلى الاسرة الفقيرة.. أنا واختي «لمياء».. وأمي الموظفة بإحدى المحاكم.. قسم الارشيف.. توفي والدي وأنا في المرحلة الاعدادية.. كنت دائمة متفوقة في دراستي وكان مشهود لي بالذكاء والقدرة على التحصيل الدراسي والحفظ السريع.. ولم أكن احتاج إلى الاستعانة بمدرس خصوصي كما كانت تفعل كل التلميذات الأخريات في المدرسة الحكومية حيث كما تعلمين مستوى جودة المدارس المتدني وعدد التلميذات الكثير للغاية يجعل عملية التحصيل غير ذات قيمة.. بالإضافة إلى عوامل اخرى كثيرة أدت إلى سوء مستوى التعليم

الحكومي.. وليس كما كنت أسمع من جدي أن على أيامه كانت المدارس الحكومية هي في قمة المدارس ولا يلجأ إلى التعليم الخاص إلا من فشل في النجاح والتفوق في المدارس الحكومية.. والتي تخَّرج فيها عظماء الأمة والساسة والعلماء ورجال القانون.. الوزراء.. وكل من ساهم في تأسيس وتثبيت دعائم قيام دولة قوية يكِّن لها الجميع آنذاك كل احترام..

أختي «لمياء» تكبرني بثلاث سنوات.. أكملت دراستها الثانوية بصعوبة شديدة حيث لم تكن «لمياء» تفهم معظم الدروس وكانت بحاجة إلى أخذ الدروس الخصوصية المساعدة وبالطبع كان ذلك في غاية الصعوبة على ميزانية الأسرة.. حيث كان راتب امي بالكاد يكفي للاحتياجات الاساسية من المعيشة..

حصلت لمياء على الثانوية العامة لكن بمجموع ضعيف.. لم تجد أي كلية مما كانت ترغب فيهم.. والاختيارات كانت محدودة فالتحقت بالمعهد الفني التجاري.. زادت طلبات لمياء حيث كانت تريد الذهاب إلى المعهد يوميًا بملابس لائقة.. وللأسف رسبت لمياء في السنة الأولي للمعهد.. وأصبحت أنا في الصف الثاني الثانوي.. ولم احتاج إلى اخذ دروس خصوصية وكانت أمي تفخر بي أني لا اكلفها الكثير وليس لي طلبات تقريبًا ولا اهتم بالماكياج والعطور.. فكانت رأسي تمتلئ بالنظريات الهندسية والدوائر الكهربائية ودائمًا اتطلع لأعرف كيف تعمل الأجهزة سواء التلفاز.. المكواة.. السخان وكل ما تقع عليه عيني من أجهزة كهربائية والكترونية..

نجحت لمياء في عامها الأول مكرر في المعهد وانتقلت أنا إلى الصف الثالث الثانوي أصعب وأهم سنة في تاريخ أي متعلم.. اجتهدت للغاية حيث كان وقتي مقسمًا بين المدرسة في الصباح ومساعدة أمي في الأعمال المنزلية بعد عودتي.. ثم استذكار دروسي الممتعة في المساء وجزء من الليل.. انتهت السنة وأديت الاختبارات النهائية.. وكان هدفي الأسمى هو الالتحاق بكلية الهندسة.. تحدثت مع أمي في الأمر.. فأخبرتني أنها تتمني لي كل خير.. لكن هي تعلم أن هذه الكلية تحتاج بعض المصروفات الزائدة عن أي كلية نظرية أخرى ومن الصعب عليها تدبير اللازم لي.. إذا كان مجموع درجاتي يؤهلني لدخول كلية الهندسة.. فطرأت لي فكرة.. هي العمل.. لابد أن أعمل وأدخر بعض المال ليعينني على مصروفات الكلية ولا أتخلى عن حلمي.. فكرت أين أعمل وماذا استطيع القيام به..

يوجد في الشارع الخلفي لبيتنا محلًا لإصلاح الأجهزة الكهربائية مثل الخلاط -المكواة -الراديو.. مكنسة.. وخلافه.. فكرت لما لا أعمل هناك إذا احتاجوا المساعدة فأنا أعشق التعامل مع الأجهزة وفهمها واصلاحها.. نعم غدًا اذهب إليهم ولا ضير من التجربة.. فأنا أعلم ان صاحب تلك الورشة هو رجل طيب اسمه عم «راغب» حسن السمعة.. والجميع في حيينا يلجأ إليه لإصلاح أي عيوب تطرأ على أجهزتهم المنزلية..

في الصباح توجهت إلى ورشة عم راغب.. كان موجودًا وحده.. ظننت أن هناك أناسًا كثيرون وعمالًا يعملون في تلك الورشة.. لكنها كانت ورشة

صغيرة مليئة بالأجهزة القديمة وقطع غيار عديدة ومسامير وأدوات إصلاح اعرف بعضها والبعض لا أعرفه..

سألته إن كنت أستطيع العمل عنده للمساعدة في إصلاح الأجهزة.. نظر إلى عم راغب نظرة أب حنون.. وضحك قائلًا.. "يابنتي.. مصنع الخياطة في آخر الشارع.. احنا هنا ورشة إصلاح اجهزة كهربائية»..

ابتسمت له قائلة.. «أعلم يا عم راغب.. أنا آتية للعمل عندك أنت في إصلاح الأجهزة المنزلية.. وليس لي اهتمامات بالملابس وحياكتها»..

نظر إلىّ عم راغب.. فحصني جيدًا وترك ما في يده قائلًا .. "وماذا تستطيع فتاة مثلك مع الاجهزة المنزلية".. أجبته.. "إني أقوم بإصلاح أجهزة منزلنا عندما تتوقف عن العمل واستطعت فهم معظم الأجهزة وكيفية عملها والأعطال الشائعة التي تحدث لها".. رفع عم راغب حاجبيه مستغربًا حديثي للغاية.. فتاة نحيلة.. لم تتعدى الثامنة عشرة من عمرها تدعي انها تقوم بإصلاح أعطال الأجهزة.. ما هذا الجنون انها حقًا مضيعة للوقت..

نظرت إلى عم راغب واستنبطت ما يفكر فيه فقلت له «ليس هناك ما تخسره يا عم راغب.. اعطني شيئًا مما امامكم اصلحه لك وترى بنفسك»..

استحسن عم راغب الفكرة وقال «لما لا .. تعالى.. ادخلي.. اجلسي على هذا المقعد.. خدي هذه المكواة.. إن اصحابها يقولون إنها كانت تعمل بصورة جيدة وفجأة توقفت عن العمل.. سأضع أمامك بعض المفكات والأدوات الأخرى التي ربما تحتاجينها.. وقال: انني لا أصدق أنني فعلت هذا معك.. أن اسمح لك بالعبث في أجهزة زبائني لكن أمام إصرارك وكي توقني انه أمر

صعب للغاية.. سمحت لك.. وإذا فشلت في إصلاحها وهذا المتوقع طبعًا أرجو أن تنصرفي بهدوء دون اهدار وقتي بالكلام.. سوف اذهب إلى هذه المقهى القريبة لإحضار القهوة وسأحضر لك كوبًا من الشاي.. هل تشربين الشاي.. أجبته بالنفي.. بأنني لا أريد شيئًا.. فقط العمل..

ذهب عم راغب إلى المقهى وبدأت في تفحص المكواة.. وضعتها في الكباس الكهربائي.. من المفروض أن أرى ضوء أحمر.. لم يكن هناك ضوء..

قمت بفتحها من الجانب الخلف بعد أن نزعت المسامير.. اختبرت كل الأجزاء وأخيرًا اكتشفت أن السلك الموصل للكهرباء به عطل.. به تآكل وقطع فلا تصل الكهرباء إلى السلك الحراري داخل المكواة..

قمت بإصلاح القطع وتوصيل السلك ببعضه بإحكام ووضع شريط أسود لاصق في طبقات فوق بعضها.. وجربت.. انها تعمل.. حمدت الله كثيرًا وقمت بإعادة المسامير وإغلاق المكواة من الجزء الخلفي وقمت أيضًا بتنظيفها من بعض الأتربة والإتساخ العالق بها ووضعتها في كيسًا من البلاستيك كان موجودًا أمامي.

عاد عم راغب يحمل صينية عليها فنجان القهوة وكوبًا من الماء المثلج.. جلس وقال لي.. لماذا لم تبدي في إصلاحها.. أكيد الموضوع صعب عليكِ.. اذهبي يا بنتي وحاولي في مصنع الخياطة.. ربما يحتاجون إلى عاملات هناك..

ابتسمت له قائلة.. «المكواة تم إصلاحها خلاص يا عم راغب.. يمكنك أن تختبرها بنفسك وقمت ايضًا بتنظيفها فصارت مثل الجديدة تمامًا"..

فتح عم راغب فمه مندهشًا.. كيف فعلت هذا بهذه السرعة.. أنا لم أتأخر مجرد انتظرت العامل في المقهى لصنع قهوتي ثم عدت آتيًا إليك.. وماذا أيضًا تستطيعين إصلاحه.. فأجبته.. تقريبًا جميع الأجهزة.. فأنا قرأت عنها جميعًا..

فرح عم راغب اشد فرحًا وأبدى اعجابه انني قمت بتنظيف المكواة واعادتها كالجديدة وقال.. عارفة يا إيناس يابنتي انا عمري ما اهتميت بتنظيف الأجهزة قبل إعادتها للزبون.. اصلحها واقبض اجرتي فقط.. لكن مسألة التنظيف هذه مهمة للغاية.. فالمكواة بجانب إنها تعمل لكن شكلها اختلف تمامًا عن الصورة التي احضروها لي لإصلاحها.. أنا موافق أن تعملي عندي وبالنسبة للأجر.. أنا لا استطيع أن ادفع لك راتب شهري لكن من الممكن ان نتشارك في كل جهاز تقومين بإصلاحه.. تأخذي نصف اجرة اصلاحه وأنا النصف الآخر.. اتفقنا.. راضية..

طبعًا فرحت جدًا أنه قبلني لأقوم بالعمل الذي أحبه وأجد نفسي فيه.. وأيضًا أنه كلما زادت الأجهزة المعطلة.. زاد راتبي وأيضًا حلم دخول كلية الهندسة لن يضيع ولن اضع على كاهل أمي المزيد من الأعباء.. يكفي ما تكبدها لها لمياء من أعباء مادية كثيرة..

بدأت عملي بجد واجتهاد مع عم راغب وهو رجل طيب حقًا.. وكنت في منتهي السعادة وكانت الزبائن في ازدياد وتحديدًا بعد ظهور الخدمة الجديدة أن الزبون يتسلم جهازه يعمل وموضوع داخل كيس وبحالة المصنع.. وأيضًا أصبحنا نعطي ضمانًا من المحل لمدة شهر في حالة ان الاصلاح لم يكن جيدًا.. وبعد فترة اكتسبت خبرة طويلة وشهرة واسعة واصبحت الورشة أو المحل

يأتيه زبائن من أماكن بعيدة للغاية بناءً على السمعة الطيبة.. الالتزام بمواعيد التسليم والجودة والضمان..

ظهرت نتيجة الثانوية العامة.. وكان ترتيبي الثانية على محافظة القاهرة وقام السيد المحافظ ووزير التعليم بتكريمي أنا وجميع المتفوقين والمتفوقات وحصلت علي شهادة تقدير مع مبلغًا من المال.. وضعته في حساب توفير بالبريد كي يدر لي ربحًا شهريًا ولو بسيطًا يعينني على مصروفات الدراسة وربما لا أضع أي أعباء على كاهل أمي المكافحة المسكينة..

التحقت بكلية الهندسة.. وكنت في أشد أيامي سعادة.. جو الكلية يختلف تمامًا عن المدرسة الثانوية.. عالم جديد تمامًا.. قاعات المحاضرات.. الدكاترة.. الطلبة والطالبات.. كافيتريا الكلية.. المسجد.. اشياء كثيرة مختلفة.. جو جديد تمامًا..

كنت أذهب للجامعة في الصباح ثم أعود إلى البيت للغداء والنوم لمدة ساعة وبعدها الذهاب إلى الورشة مع عم راغب.. في ذلك الوقت تخرجت لمياء من المعهد الفني التجاري واستطاعت أن تجد عملًا في إحدى شركات التسويق العقاري.. عمل شاق لكنه كان مربح بعض الشيء..

اصبح وضعي في الورشة محرج لي بعض الشيء.. حيث بدأت اتعرض للمعاكسات من بعض الزبائن وكان عم راغب يقوم بالدفاع عني وحمايتي لكن زادت الأمور بصورة أصبح من الصعب معها ان استمر في هذا المكان..

افصحت لعم راغب عن استيائي مما يحدث وأنه من الصعب الاستمرار في هذا الوضع.. نظر إلى عم راغب قائلًا.. "أنا اتعودت على وجودك معي..

وبمهارتك أصبحت الورشة تعمل بمعدل عشرة اضعاف على ما كانت عليه من قبل مجيئك؟.. لكن أنتِ مثل ابنتي ولا أرضى لك الشعور بالإهانة.. أنا لدي اقتراح.. إصلاحك للأجهزة لا يتطلب وجودك هنا في الشارع والتعرض لحماقات الزبائن.. أنا اتعامل مع الزبائن.. أرسل لك الاجهزة المعطلة إلى بيتك واعطيك الادوات اللازمة للإصلاح. قومي بالإصلاح في بيتك ثم أرسل لك آخذهم من البيت.. وبهذا لا تتركيني ونضمن لك البعد عن مضايقات الزبائن والمعاكسات من الرجال.. ما رأيك يابنتي"..

شعرت فعلًا بعد سماعي لاقتراح عم راغب ان أبي لم يمت.. حيث عوضني عم راغب كثيرًا بحكمته واحترامه عن غياب الأب.. كان اقتراحه رائعًا يضمن لي الربح المالي واستمرار اكتساب الخبرة والتعامل مع الأجهزة المعطلة.. وفي نفس الوقت اكون في بيتي بجوار أمي.. وعندما أفرغ من الاصلاح استطيع استذكار دروسي..

وبالفعل صارت الأمور معي بشكل أكثر من ممتاز.. ومرت السنوات داخل الكلية وأنا في تفوق وفي نفس الوقت أقوم بالإنفاق على نفسي وكنت أمينة مع عم راغب إلى أبعد حد.. حيث كان هناك بعض الزبائن من الجيران يحضرون أجهزتهم المعطلة التي تحتاج إلى اصلاح إلى بيتنا.. فاعتذر لهم ولا اقبلها واقول لهم ان يذهبوا إلى الورشة إلى عم راغب وهو سوف يقوم باللازم.. فلم أعمل من وراء ظهره مطلقًا.. وأنا في السنة الأخيرة في الكلية .. جاء عريس لأختي لمياء.. وكم كانت فرحة بهذا للغاية.. هو زميل لها في العمل.. أحواله المادية تشبه أحوالنا تقريبًا وكان مدخرًا بعض النقود لعمل

الخطبة وخلافه.. وكانت أمي أشد فرحًا منا جميعًا فهي أم العروسة.. وبعد الاتفاق على كل شيء واتمام الخطبة كانت أمي مطالبة أن تؤدي الجزء المادي عليها من تجهيز ابنتها العروسة لمياء حيث تحتاج إلى أجهزة منزلية مثل ثلاجة.. غسالة.. تلفاز وجميع ما تحتاجه أي فتاة مقبلة على تجهيز منزل الزوجية..

لم يكن لدي أمي أي مدخرات وكانت في ورطة حقيقية خاصة أمام أهل العريس.. فأشارت عليها إحدى الجارات ان الحل الوحيد الذي يلجأ اليه الكثيرون في مثل هذه الأمور هو ان تشترى كل ما تحتاجه العروس وتقوم بالسداد بالتقسيط بالطبع بعد اضافة قيمة الفوائد التي عادة ما تكون باهظة فينتقل السعر الاساسي لأي سلعة إلى رقم اكبر بكثير بعد اضافة الفوائد..

سلكت أمي هذا الطريق وتبنت هذا الحل وبالفعل توجهت إلى احد المتاجر الشهيرة لشراء احتياجات لمياء.. وبالطبع ذهبت معها لمياء لاختيار اجهزتها.. وطلبت مني أمي أن اذهب معها حيث لدي خبرة كبيرة من عملي في إصلاح الأجهزة بالإضافة أني عن قريب أصبح مهندسة فتستعين بخبرتي في اختيار الجيد من الماركات التي تتحمل العمل الشاق دون ان تتعرض للتلف سريعًا.. وبالفعل ذهبنا وبعد الفحص والاختيار وقع اختيارنا على جميع الأجهزة المطلوبة.. ثم جاء وقت التحدث مع صاحب المتجر عن الاسعار والأمور المادية.. دعانا للجلوس إلى مكتبه في أحد أركان المتجر..

أوضح لنا الأسعار بعد الفائدة وكيفية السداد وكم شهرًا يستغرق السداد والتحذير القانوني المعتاد.. أنه إذا لم يتم السداد فلسوف يتخذ إجراءات

قانونية ضد أمي وسحب واسترداد الاجهزة وربما يتطور الأمر إلى اللجوء إلى المحكمة..

وافقت أمي على كل الشروط والأمور القانونية.. رغمًا عنها كي تتم زواج لمياء..

طلب صاحب المتجر منها بطاقة الرقم القومي لعمل الاجراءات.. عندما نظر إلى المهنة في البطاقة ردها مرة ثانية إلى أمي قائلًا.. أنها لا تصلح لإعطائها أي شيء بالتقسيط.. سألته عن السبب.. أجاب.. أنها تعمل في المحكمة.. وهو بحكم خبرته لا يحب التعامل مع بعض الفئات والمهن.. منهم من يعملون في المحكمة حيث أن له تجارب معهم ولم يسددوا ولم يستطع فعل شيء معهم وكما يقولون.. لم آخذ منهم حق ولا باطل.. عرفوا كيف تكون المماطلة وأن تظل قضايا التسديد تستمر لسنوات طويلة..

نظرت إليه أمي.. بعد أن نهضت من مكانها وقالت.. «إذن أضعنا وقتك ووقتنا بلا أي استفادة.. وكادت تنصرف.. لولا ان صاحب المتجر استطرد في كلامه قائلًا.. انه يوجد حل آخر وهو أن تقوم ابنتك بالتوقيع على الشيكات وأوراق الاستلام بدلًا منك وأن يكون القرض والفوائد باسمها..

نظرنا ثلاثتنا إلى بعضنا وقالت لمياء.. لا بأس.. سأقوم أنا بالتوقيع وتحمل المسئولية كاملة.. فلا وقت لدينا.. لابد من استكمال فرش الشقة وتحديد ميعاد الزفاف.. أخرجت لمياء بطاقة رقمها القومي.. نظر فيها صاحب المتجر ولم يبدي أي رد فعل.. ثم طلب أن يرى بطاقتي أنا.. مددت يدي له بها نظر إلى المهنة.. «طالبة بكلية الهندسة».. ثم سألني في أي سنة أنت في الكلية.. أجبته

«في السنة الأخيرة ويتبقى شهرين على تخرجي».. ابتسم وتوجه لأمي بالكلام قائلًا وهو يشير إلى.. "بنتك دي هي اللي تصلح أن نكتب الاوراق باسمها".. ردت أمي لماذا إيناس تحديدًا..

قال.. أطلعك على سر.. في مثل هذه الأمور.. أمور التقسيط وكتابة الشيكات نحن نبحث عن من هم أصحاب المهن المرموقة.. حيث إنهم يخافون على سمعتهم للغاية.. فيقومون بالسداد.. دون الدخول في إجراءات قانونية والاستعانة بالمحامي الذي يكلفني أموالًا.. وبذلك يزيد الضرر عليّ.. لذلك إذا أردت اتمام كل شيء في عشر دقائق.. على الآنسة إيناس أن تكون هي الضامن ويكون كل الأوراق صادرة باسمها»..

نظرت لمياء إلى وكذلك أمي.. ينتظران مني الإجابة بالقبول أو الرفض.. حبي الشديد للمياء أختي واشفاقي على أمي.. جعلني أوافق على الفور..

قمت بالتوقيع على جميع الأوراق.. ومن ضمن هذه الأوراق.. عدد أربع شيكات بدون المبلغ.. شيكات على بياض..

استلمت لمياء الأجهزة ونقلتها إلى شقتها.. وسارت جميع الأمور بخير.. وتم زفاف لمياء.. وبقيت أنا وأمي بعد تخرجي في الكلية والتحقت بالعمل بأحد مصانع الالكترونيات.. وبعد ثلاثة أشهر ماتت أمي إثر حادث سيارة وهي في طريق عودتها بعد خروجها من العمل.. ماتت أمي.. اصبحت وحيدة..

وكانت أحوال لمياء سيئة تمامًا من الناحية المادية.. حيث فقد زوجها وظيفته واصبحا يعيشان على راتب لمياء الذي قارب على التوقف حيث كانت لمياء في شهور حملها الأخيرة ونصحها الأطباء أن ظروف حملها ليست على ما

يرام ويتطلب منها الراحة التامة.. فانقطع راتبها هي الأخرى.. مازال زوجها يبحث عن العمل في أي مكان.. مرتبي كان ضعيفًا لأني في بداية التعيين.. فكان لا يكفي لسداد اقساط الاجهزة بالإضافة إلى الفائدة الباهظة.. تراكمت عليّ الاقساط والديون وجاءني أول انذار من محامي متجر الأجهزة.. وتعددت الانذارات إلى ان تم القبض عليّ حيث حصل صاحب المتجر على حكم غيابي بسجني لثلاث سنوات.. حاولت استئناف الحكم لكن قاضي الاستئناف أيد الحكم.. والأن أنا في شهري السابع وأمامي سنتان وخمسة شهور.. وقد ضاع مستقبلي ولا أعلم اين اذهب وكيف لي ايجاد عمل وأنا لي سابقة سجن..

كنت أتمني ان يتصرف صاحب المتجر.. كما تصرف والدك العميد فؤاد مع المجند أن نجد سويًا حلًا آخر غير عقوبة السجن.. لكن روح القانون أحيانًا تكون حبرًا على الورق وليس لها أي محلًا للإعراب على أرض الواقع.. المال يتحدث ويسيطروا أصحاب المال دائمًا هو الفائزون.. فأنا في نظر الدين والشرع أعد من الغارمات.. بمعني اني استحق الزكاة وواحدة من الثماني أصناف من الناس التي وجب على المجتمع مساعدتهم.. ومحاولة مساعدتهم في السداد.. لكن الرحمة نزعت من قلوب الجميع.. حتى القضاة.. رموز العدل..

عندما بكيت بشدة.. بكيت لأني وجدت من يؤمن بنفس وجهة نظري ان الرحمة والعدل قبل العقاب وتنفيذ اللوائح وهذا ما تعلمناه من مواقف مشابهة مر بها الفاروق عمر بن الخطاب قبل زمن خلافته واثناء الخلافة وهو أمير المؤمنين تعلمنا منه ان التنازل عن العقاب أحيانًا ليس يعد كسرًا ولا خرقًا للقانون وإنما دفع ضرر أكبر قد يحدث إذا تم تنفيذ القانون..

فأنا يتيمة الأب والأم وابدأ حياتي بديون ثقيلة ثم السجن.. في شيء لم أستفد منه وجرم لم ارتكبه..

أهذا هو العدل.. كنت متفوقة في الكلية ومشهود لي من اساتذتي والدكاترة جميعهم والآن ينتهي بي الحال إلى سجن مع المهربين والقتلة..

انتهت ايناس من سرد روايتها والاجابة على سؤال نورا.. ما هي تهمتك وما أتى بك إلى السجن.. نظرت إلى نورا وجدتها غارقة في دموعها.. لحظات صمت مرت بينهما وهما لا يتوقفان عن البكاء..

حتى قالت نورا.. كم نحن مساكين.. معشر النساء.. دائمًا ما ندفع ثمن اخطاء غيرنا.. لكن لا تقلقي يا إيناس.. أنا أحببتك ولن أنسى فضلك عليّ في مساعدتي بعد فقدي البصر.. وقراءة مذكرات أبي.. لن اتركك وسنجد حلًا إن شاء الله.. اذكري الله دائمًا فهو الرحيم.. أليس اسمك.. إيناس عبد الرحيم.. فلنأخذ حظًا من اسمك.. وندعو الله الرحيم.. أن يرحمنا ويخرجنا من هذا المكان.. فهو أعلم اننا قد ظلمنا ولم نرتكب شيئًا نعاقب عليه.. بل على العكس.. نحن نحتاج التكريم والعطف والحنو من المجتمع.. ليس العقاب..

توجهت نورا إلى مكتب الضابط في السجن وطلبت الاتصال بالدكتور كامل وأنها تريده أن يزورها لأمر هام.. ثم عادت إلى الزنزانة مرة أخرى وطلبت من إيناس أن تكتب كل ما روته لها على الورق لأنها تحتاج إلى وجود قصتها وما حدث لها مدونة علي الورق لأمر هام..

لم تفهم إيناس هذا الطلب الغريب من نورا ولكنها قامت بالتنفيذ لثقتها الكبيرة في نورا..

تعجبت نورا من قصة إيناس.. تتحمل اخطاء وكوارث ارتكبها من لا قلب ولا ضمير لهم.. ألم نأتي على خاطرهم بعد فعلتهم.. كيف نواجه الحياة والمجتمع ويقضون الناس أيام الأعياد والعطلات في مرح وخروج إلى المتنزهات.. ونحن بدون أي ذنب نشقى ونعذب بين جدران وداخل أسوار.. نُحبس.. نُعاقب.. نُهان.. ونُحرم من كل ما يدعو إلى الفرح وكل ما يدخل السرور على قلب إنسان.. فالفرح والسرور ليس لنا.. نحن المعاقبون بفعل لم نرتكبه واثم لم نأته ندفع اثمانًا باهظة من لحظات عمرنا.. سارق يسرق السعادة من العين ولا يوجد في أي قانون من قوانين ودساتير العالم أي بند أو فقرة ترد لنا كبريائنا وكرامتنا التي تحولت إلى أساور حديدية نقيد بها وتحولت إلى قضبان حديدية نحبس بداخلها..

أنا.. إيناس.. عم زكريا.. شريف.. أبي.. وغيرنا كثيرون ضحايا لأفعال شياطين يعيشون بيننا وللأسف نحبهم وهم يوهمونا أنهم يبادلوننا حبًا بحب.. لكنهم.. يبادلوننا حبًا بكوارث.. انتقام.. خراب وتدمير لحياة كنا نحلم ونرسم خيوطها إلى ان تتقطع تلك الخيوط وتتحول إلى فتات ثم إلى تراب يهب عليه الريح فينثره بعيدا ولم يعد حتى يُرى بالعين.. نهيم بأحلامنا وأمنياتنا عن المستقبل.. ثم يأتي هذا التراب المنثور.. المدفوع برياح قوية.. تزج به بعيدًا.. فيصفع تلك الاحلام والامنيات ملقيا بها في بئر سحيق..

طلبت من إيناس أن تكتب على ورقة وتضيفها إلى أوراق قصتها وأن تكون هذه الورقة بمثابة الغلاف.. اكتبي عليها.. إيناس عبد الرحيم.. غارمة من آلاف الغارمات.. نستحق العدل في مجتمع ظالم..

حضر عمي د. كامل إلى الزيارة الخاصة وكانت في نفس مكتب الضابط الرحيم الحنون الذي انقذني عندما سقطت وشُجت رأسي.. والذي أعطاني مذكرات أبي مع وثيقة حريتي من ماجد.. وهو الذي طلبت منه الاتصال بالدكتور كامل فقام بإجراء المكالمة من تليفونه الشخصي.. كم هو لطيف.. ودود.

نهض الضابط من مكانه عندما احضروني وهم بالخروج.. لكني طلبت منه أن يبقى ليستمع لما أريد أن اقوله لعمي د. كامل.. حيث أن لوجوده أهمية.. شرحت لهما موقف إيناس بشكل مختصر وأخبرتهم أن تفاصيل قصتها مكتوبة في تلك الورقات.. عندما فرغت.. ربت على كتفي عمي د. كامل وأثنى على محاولتي مساعدة سجينة.. قائلًا.. يا نورا.. قلبك الرحيم يسع الجميع حتى المسجونات.. اطمئني.. سوف أكلف المحامي الخاص بي بالأمر ونحاول أن نرد المبلغ إلى التاجر وتنتهي القضية وتخرج إيناس.. عندها تدخل الضابط قائلًا.. إن بعض زملائه من الضباط أقاموا جمعية خيرية لمساعدة الغارمات وتسديد ديونهم والمساعدة في الاجراءات القانونية حتى يتم الافراج عنهم..

قلت لهم.. ولهذا أردت أن تبقى معنا يا حضرة الضابط لعلمي إنك تحب عمل الخير وربما يكون لديك افكار واقتراحات للمساعدة..

قام الضابط على الفور بالاتصال بصديق له متطوع للعمل لمساعدة الغارمات وشرح له الموقف وأخبره أنه سوف يرسل له تفاصيل وملابسات ما حدث لإيناس..

انتهت الجلسة وبدأ الضابط في ارسال الأوراق إلى صديقه وانصرف عمي د. كامل للذهاب للمحامي في مكتبه لاطلاعه على الأمر وعمل اللازم..

ما أجمل أن تقدم يد العون وأنت نفسك في أمس الحاجة إليها..

الايثار.. يمنحك شعور بلذة غريبة.. ان تعطي من يحتاج وتتجاهل احتياجاتك أنت.. أن تخرج إيناس المظلومة إلى النور..

***

اقترب موعد عودة شريف من رحلته من برشلونة..

ازداد اشتياقه لمايا وخوفه عليها وعلى حملها.. ولم يتوقف طوال رحلته عن التفكير في نورا أخته.. وما مرت به وما اصابها وهي كالنسمة لم تقترف أي ذنب..

انتهت مايا من آخر لوحة كانت تضع الوانها وتجرى بالفرشاة عليها.. أتمت ثلاثون لوحة.. عن نفس الموضوع «الإنسان واللاضمير».. ثم بدأت في العمل في لوحة جديدة بأبعاد أكبر واسلوب مختلف.. وهو البورترية.. مكثت طوال اليوم بلا توقف.. ترسم كل تفاصيلها وكانت تنتظر إلى هاتفها حيث كانت ترسم صورة مسجلة على هاتفها في ملف الصور..

دق هاتفها.. إذا به شريف يخبرها انه وصل إلى ميناء جنوة بالفعل وأنه سوف يستقل سيارة أجرة إلى المنزل.. وبينما هي تسمعه كانت باليد الأخرى تخط آخر خط في اللوحة الحادية والثلاثون.. ثم قامت بوضع قطعة كبيرة من القماش عليها دون أن تلامس الألوان التي لم تجف بعد..

***

قام الثلاثة بالتنسيق فيما بينهم.. د. كامل والمحامي مع الضابط.. وقطعوا شوطًا كبيرًا في انهاء إجراءات خروج ايناس بعد تسديد ديونها مع التاجر الذي أبدى ترحيبا بالتنازل عن الفوائد وجزء آخر مقابل حصوله على المال دفعة واحدة.. وبالفعل قام بالتوقيع على تسلم النقود ثم أكمل المحامي الاجراءات إلى أن تحدد يوم خروج إيناس من السجن..

في تلك الاثناء كانت نورا قد أكملت ثلاثة أرباع مدة حبسها وتقدم الضابط لها بطلب إفراج لحسن السير والسلوك..

***

ما أن دخل شريف من باب البيت حتى قفزت عليه مايا دون أن تدري إنها حامل ولا يجب ان تقوم بحركة مفاجئة كهذه لكن من شدة اشتياقها لحبيبها لم تدرِ ما فعلت.. كان لقاءً حارًا.. عناقًا طويلًا.. طويلًا.. طويلًا..

ما أجمل مشاعر اللقاء بعد طول غياب.. اشتياق مغلف بحب جارف ينسى المرء معه من وأين هو.. وما أن أفاقا.. قال شريف لمايا.. تعالي شوفي أن جايب ايه ليكي وكمان الطفل القادم.. اشياء كثيرة للغاية..

فرحت مايا بالهدايا وعانقته وقالت له.. وقبل ان أكمل مشاهدة الهدايا أود أن أريك هديتي لك أو لنا جميعًا.. جذبته من ذراعه ببطء إلى أن وصلت به إلى حجرة الرسم التي فيها أدواتها ولوحاتها..

نظر.. وجد عدد كبير من اللوحات على أرض الغرفة مستندًا على الحائط وبها تعبير غريب عن صرخات انسان واستغاثة من أشخاص يسقطون واشخاص أخرين يغرقون.. مع بعض الشرح منها.. فهم شريف أنها صرخة رفض لكل من يعيش بيننا بلا ضمير.. ثم نظر فوجد في منتصف الغرفة حامل خشبي عليه لوحة كبيرة ومغطاة بملاءة.. سأل مايا عنها فقالت انها المفاجأة ثم نزعت الغطاء بحرص شديد حيث أن الألوان لم تجف بعد..

انطلقت صرخة.. صرخة فرح.. مع تساقط بعض الدموع من عيني شريف.. أنها.. إنها.. إنها صورة نورا.. نورا.. نعم هي.. كيف فعلت هذا.. انتِ عظيمة يا مايا.. صورة نورا طبق الأصل بابتسامتها وعينيها الساحرتين..

كانت صورة لنورا.. قلدتها مايا من الصورة التي على هاتفها ولكن أضافت عليها بروزًا فجعلتها مجسمة وكأنها تمثال على لوحة..

نظر شريف إلى الصورة البارزة.. تمثال مصغر من نورا.. آه كم هي جميلة.. ظُلمت كثيرًا.. لكنني يا مايا لدي شعور قوي إن الله عز وجل سوف يرعاها لصبرها على البلاء والأذى.. والمصيبة الأخيرة.. فقدان البصر..

كم أود أن تحضر إلى ايطاليا للعيش معنا هنا.. فرحت مايا عند سماعها اقتراح شريف وقالت.. كنت أريد ان اقترح عليك ذلك للغاية فكم أحب نورا واتمنى أن تكون معنا ويكون لي اختًا مثلها ولا تنسى أنها فنانة مثلي.. وسوف يكون بيننا تفاهم كبير.. وأنا لا أنسى كم كانت بجواري أيام محنتي.. هي وعمي فؤاد رحمة الله عليه..

***

أرسل ضابط السجن في طلب ايناس إلى مكتبه.. عندما حضرت قام الضابط يزف خبر خروجها من السجن بعد ثلاثة أيام.. لم تفهم إيناس شيئًا.. تلألأت عيناها من شدة الفرح.. لكن الفضول الذي بداخلها كان أقوى من الخبر نفسه.. قالت.. أنا.. حضرتك تقصدني أنا.. إيناس عبد الرحيم..

ابتسم الضابط قائلًا.. نعم أنت.. فقالت كيف هذا.. مستحيل أن التاجر فجأة سوف يغير شهادته أو يتنازل عن حقه.. أو أن القاضي يعفو عني بدون مسببات.. كيف هذا..

أخرج الضابط الأوراق التي كتبتها ايناس بخط يدها.. تحكي فيها قصتها بشكل مختصر.. أشار بالأوراق قائلًا... السر يا إيناس في هذه الأوراق..

قالت ايناس.. هذه الأوراق التي طلبت مني نورا أن اكتبها..

أجاب الضابط.. نعم والسر أيضًا لدى نورا.. نورا هي من قامت بكل شيء.. انها ملاك في صورة انسان يمشى على الأرض وهي تحبك كثيرًا.. هي من قامت بالتنسيق بيني وبين جمعية مساعدة الغارمات التابعة لوزارة الداخلية وأيضا عمها د. كامل والمحامي الخاص به.. كل هذه الأطراف ساهمت لك ولحالات أخرى كثيرة مشابهة.. أن نرفع العبء عن كاهلهن ونقوم بالسداد وبذلك يتم التصالح ويسقط الحكم..

فالفضل بعد الله عز وجل لنورا.. هي صاحبة المبادرة وهي وراء كل هذا التنسيق ولدي خبر مفرح أيضًا للغاية ولكن اترك لك إبلاغه إلى نورا..

لقد قُبل الالتماس المقدم لنورا.. بأن تخرج في ثلاثة ارباع المدة وايضًا لمراعاة ظروف فقدانها للبصر.. فتمت الموافقة على خروجها هي الأخرى وجارى عمل اللازم من الإجراءات وسنحاول ان يكون توقيت مغادرتكما للسجن واحد.. اذهبي إلى نورا وبشريها بهذا الخبر..

ركضت ايناس بأقصى سرعة لديها باحثة عن نورا وجدتها جالسة بجوار النافذة تستنشق هواء الصباح.. علها تشعر معه بنسمات الحرية عبر النافذة والقضبان من خلفها..

صاحت إيناس بأعلى صوت لها.. نورا.. نورا.. افراج.. سوف تخرجين..

التفتت نورا إلى الصوت القادم من خلفها.. إنه صوت إيناس.. تقول إفراج.. تجمعت بعض الفتيات حول نورا وايناس.. وحكت لهن إيناس ما سمعته من الضابط وكم كان لنورا الفضل الاساسي في مساعدة ايناس للخروج.. ولولا تحركاتها بوعي وذكاء لما كانت إيناس وجدت من يمد لها يد العون..

انقضت ايناس على نورا تمطرها بالقبلات والأحضان والدموع تنهمر من عيناها غير مصدقة انها سوف تعود المهندسة ايناس بدلًا من السجينة.. وأيضًا نورا شعرت ان الله استجاب لها ولدعائها في دقائق معدودة.. فعندما كانت تستنشق الهواء النقي وعليل الصباح تحدثت إلى الله سبحانه وتعالي.. حديثًا من قلبها.. لم يكن في صورة كلمات الدعاء المعروفة والمأثورة.. ولكنه

كان حديثًا من العبد للخالق.. إنها ظُلمت وأن الله هو العدل.. وأنه يمهل ولكن لا يهمل ابدًا وأنها تمنت الموت من قبل لكن الله اراد لها الحياة لحكمة ما.. ثم اخذ واسترد وديعة من ودائعه.. البصر.. لكنها راضية وصابرة لكن يارب انا سُجنت ظلمًا ولم أؤذي أحدًا في حياتي.. فبحق أي عمل خير قمت به يارب سهل لي خروجي من هذا المكان..

وبينما هي تحادث المولي عز وجل.. سمعت صياح إيناس ونبأ الافراج عنها وخروجها في غضون يومان أو ثلاثة على الأكثر..

مر ثلاثة أيام.. وفي صباح اليوم الرابع فتح باب السجن الخشبي القديم محدثًا صريرًا عاليًا مدويًا.. كأنها صرخة مارد.. تخيف من بداخل السجن ومن يسير أمامه..

نورا وايناس متشابكتان الأيدي.. خرجتا سويًا.. ببطء.. وإذا بالدكتور كامل في انتظارهما بسيارته الفارهة.. تقدم نحو نورا وعانقها وهنأها على الخروج وكذلك ايناس.. وانطلقوا جميعًا إلى الإسكندرية..

طلبت نورا من إيناس أن تظل معها أينما تكون.. فهي تعودت عليها ولا تستطيع فراقها وخاصة ان ايناس لم يعد لها أحدًا إلا أختها التي سافرت مع زوجها وابنها إلى إحدى الدول المجاورة للعمل فأصبحت إيناس وحيدة تمامًا..

في الطريق إلى الاسكندرية توقفوا للاستراحة قليلًا وتناول الطعام مع القهوة التي كانت نورا تتمنى أن تتذوقها كما كان أباها يحبها..

وبينما هم جالسون على طاولة في المطعم.. بدأ د. كامل حديثه إلى نورا وفي وجود إيناس.. "هل تتذكري يا نورا عندما اخبرتك في إحدى المرات ان هناك مفاجأة في انتظارك.. اومأت نورا برأسها قائلة «نعم اتذكر..»

استطرد د. كامل نحن الآن ذاهبون لأريك تلك المفاجأة وأنا سعيد للغاية ان المهندسة ايناس معنا تشاركنا ذلك الحديث.. قالت ايناس.. هل من الممكن ان اشعر اني واحدة منكم.. ناديني ايناس فقط واسمح لي ألقبك كما تفعل نورا.. عمي.. شعر د. كامل بالسعادة لسماعه ذلك.. وابدي فرحه الشديد..

ابتسمت نورا قائلة «الآن اشعر ان لديّ أسرة.. لكن يا عمي كامل لديّ سؤال وأرجو المعذرة ولا تغضب من سؤالي.. قال «تفضلي»..

قالت.. «تأتي إلى القاهرة لزيارتي كثيرًا وتكليف المحامي الخاص بك للدفاع عني ومساعدة إيناس دون ان تقابلها ولو مرة واحدة لمجرد أني طلبت ذلك ثم تسعي لمساعدتي في الافراج المبكر عني.. لما تفعل كل هذا.. ليس معقولًا لمجرد انك والد مايا زوجة أخي شريف..؟!!

ابتسم د. كامل قائلًا.. "آه.. بمناسبة شريف ومايا فقد قطعت لهم عهدًا أن نهاتفهم بمجرد خروجك.. لكن سأجيب على استفسارك أولًا وبعدها نقوم بالاتصال بهم للاطمئنان عليك»..

اسمعيني جيدًا يا نورا وأنتِ أيضًا يا ايناس اسمعي وانصتي لما أقوله.. أنا لي ابنة وحيدة هي مايا.. توفيت والدتها وهي في سن صغير.. فحُرمت حنان الأم.. فقمت أنا بدور الأب والأم لكي أعوضها عن غياب أمها ولكن بالطبع لم أنجح في هذه المهمة إلا بنسبة ضئيلة حيث ان غياب الأم لا يُعوض وإن كان

لها ألف أب.. لكنني حاولت.. أقللت من ساعات عملي وكنت اصطحبها معي في كل الأماكن.. ولم أفكر في الزواج إطلاقًا بعد زوجتي والدة مايا وفاءً واخلاصًا لها.. وأيضًا لا أتحمل ان تقوم امرأة أخرى أيا ما كانت ان تلعب دور الأم لمايا..

أحببت ابنتي مايا بجنون وهي كذلك.. كنت لها الأب.. الأخ.. الصديق.. كل شيء.. إلى أن أتمت تعليمها.. وبدأت حياتها العملية كمهندسة ديكور واستمرت حياتنا في سعادة وهناء.. إلى ان تعرفت على شريف في القطار واخبرتني يومها بكل التفاصيل.. وتوطدت علاقتها به إلى ان تحول حبًا جارفًا عميقًا بينهما.. وكنت انتظر اليوم الذي يأتي فيه شريف مع عائلته للتعارف والتقدم لخطبتها.. حيث اخبرتني مايا كم هو مهذب وجاد في علاقته بها.. صرح لها شريف أنه ينتظر ان يتخرج من الأكاديمية كي يكون جديرًا بطلب يدها.. حيث هناك فرقًا أن يكون طالبًا أو متخرجًا من الجامعة وعلى وشك تسلم العمل وخاصة إنه لن يلتحق بالخدمة العسكرية حيث إنه أخًا وحيدًا لأخت بنت..

فرحت عند سماع هذا الكلام حيث كان تفكير شريف منطقيًا للغاية وأنه باقي شهور على تخرجه ولا ضير من الانتظار..

ثم في يوم أسود.. أغبر.. حدث ما حدث لمايا.. ومن الطبيعي أن أي شاب مثل شريف ان يفكر أو يتراجع في قرار اتخاذ مايا زوجة له.. حيث هي لم تعد بكرًا.. ومرت بتجربة نفسية وجسدية قاسية للغاية ولا يعلم إلا الله وحده هل ستجتاز تلك المحنة أم سوف تترك لديها اثرًا يستمر معها طيلة حياتها..

وربما تلجأ إلى وسائل للنسيان أو الهروب من التفكير وتخيل صور ما حدث لها ..مثل الخلاص من الحياة بالانتحار.. أو ادمان المسكنات..

ولكن ما حدث من شريف ووالدك.. سيادة العميد الجليل رحمة الله عليه ابهرني ورفع رأسي لعنان السماء.. لم يتركا مايا ولو لحظة واحدة وفوق كل هذا أنه بمجرد أن اطمئن من الطبيب أن مايا تستجيب للعلاج وهي مستمرة في اغمائها وعدم شعورها عما يحدث حولها.. تقدم شريف ومعه والده يطلب يد مايا مني وهي طريحة الفراش..

فأخبروني بالله عليكم.. ماذا اشعر أمام هذا الشهم البطل شريف ووالده المربي الفاضل.. الرحمة والإخلاص والرجولة.. معاني قدمها لنا شريف في صورة طلب يد مايا مني..

بعدها أخذت عهدًا على نفسي أن أكون لكم.. لعائلة شريف خادمًا مخلصًا أمينًا لعلي أرد ولو جزء صغير من جميله عليّ أنا ومايا..

والآن مايا حامل في طفلها الأول وسعيدة للغاية.. ولا يؤرقها غير أزمتك أنت يا نورا.. والآن حمدا لله أنك تنعمين بالحرية وسوف نبدأ معًا حياة جديدة ..اعتبريني أبا لك..

هل بذلك أجبت لك عن استفساراتك وأزلت الغموض الذي بداخلك.. ومع ذلك لن افصح عن المفاجأة إلا في الاسكندرية.. هيا بنا نمضي لنصل قبل ان يحل الظلام..

طوال الطريق ونورا تفكر فيما سمعته من د. كامل وكم هناك أناس قلوبهم مليئة بأغلى وأنفس المعادن.. وصون الجميل ورده مازال في أدبياتهم..

كنت قد فقدت ثقتي في كل الناس تقريبًا بعدما مررت به في محنتي لكن أناس مثل عمي كامل وضابط السجن وشريف.. أعادوا لي اتزاني وثقتي أن الدنيا مازال بها الكثير من الخير..

كم أشعر بالراحة والأمان في ظل عمي كامل الذي أعاد لي صورة والدي الحكيم العادل..

حمدا لك يا رب.. ألقيت بي في النار وقبل ان احترق انتشلتني إلى احضان هذا الأب الحنون..

وصلوا إلى الاسكندرية وتوجهت بهم السيارة إلى منطقة الشاطبي.. حيث نزلوا ودخلوا عمارة وفي الدور الأرضي كانت هناك مساحة شاسعة.. دخلت نورا ممسكة بذراع إيناس. استوقفهما د. كامل وبدأ يشرح لهما المكان قائلًا.. "هذه هي المفاجأة يا نورا.. إنها جمعية خيرية وثقتها في وزارة التضامن وهي جمعية مخصصة لخدمة المكفوفين.. تقدم لهم كل ما يحتاجونه من خدمات ولدينا مجموعة من المتخصصين لتدريب المكفوفين على تعلم كيفية القراءة بطريقة برايل وايضًا نقوم بإمدادهم بالأدوات التي يحتاجونها مثل العصا والنظارة وخلافه والمساهمة في علاج الإبصار أن إذا كانت لهم أي فرصة لذلك..

لم تصدق نورا ما تسمعه قالت.. «وهل فعلت كل هذا لأجلي»..

أجاب د. كامل.. «نعم إنه جزء صغير من رد الجميل لشريف ولك ولأبيكِ العظيم.. والمفاجأة الأهم هي آتية الآن.. ثم صاح.. اتفضلي يا مدام كريمة..

فإذا بوالدة نورا تظهر من إحدى الغرف لترتمي نورا في احضانها.. «أمي.. امي.. اشتقت لك.. وكنت لتوي سوف أطلب من عمي كامل أن احادثك وأذهب اليك في الصباح الباكر..»

تدخل كامل في الحديث قائلًا.. لا يانورا.. مدام كريمة نقلت كل ما يخصها وسوف تقيم معك أنت وإيناس في شقة في الدور الثاني في نفس المبني..

كم هو عظيم عمي كامل.. مفاجآته لا تنتهي.. أنه هدية من السماء.. رسول رحمة وعدل..

حادثتُ شريف ومايا هاتفيًا.. فرحنا كثيرًا.. وبكينا كثيرًا.. وضحكنا كثيرًا.. وأذ بشريف يعرض على أن يقوم بعمل إجراءات سفري إليه والإقامة في ايطاليا حيث لا يستطيع ان يتركني وحيدة وكذلك أمي..

أجبته أن عرضه ممتاز وفكرت فيه أنني حال خروجي سأسافر إليك.. لكن بعد كل المفاجآت التي قدمها لي عمي كامل.. فاعتقد أن الحياة هنا أصبحت مريحة ورائعة وأشعر بالكثير من الأمان والود والحب بين أصدقائي وأحبائي.. وأن يكون لي دور في ادارة الجمعية والعمل على إسعاد الغير ممن هم في حاجة إلى المساعدة.. فهذا أمر عظيم..

قامت مايا بتصوير لوحاتها وتوجهت بصحبة شريف إلى مبني أكاديمية الفنون وتقابلت مع بعض المسئولين تطلب اتاحة الفرصة لها لعمل أول معرض لها بمدينة جنوة.. ثم قامت بعرض صور للوحات التي أعجب بها كل من شاهدها من المسئولين ثم اخبروها أن هناك لجنة سوف تشكل للبت في طلبها والرد عليها في غضون أسبوع..

دخل د. كامل على نورا اثناء تدريبها لبعض الفتيات الكفيفات.. للقيام بعمل بعض الأشغال الفنية.. وطلب أن يتحدث إليها وايناس في أمر هام..

بدأ د. كامل حديثه أن هناك مفاجأة أخرى لديه لهما..

قالت نورا ضاحكة.. «لقد أصبحت يا عمي.. رجل المفاجآت.. وكلها مفاجآت سعيدة ومفرحة»..

استطرد كامل «لقد استطعت ان اشترك لكما في مسابقة للمكفوفين.. فكرة المسابقة مبنية علي القيام باختراع يخدم المكفوفين.. تُعقد المسابقة في مدينة روما الإيطالية.. بعد ثلاثة أشهر من الآن.. وسوف يتنافس معنا متسابقين من أكثر من ستين دولة وقد قمت بطباعة شروط الاشتراك وكذلك تفاصيل الاختراع من حيث اهدافه النبيلة لمساعدة ذوي الاحتياجات الخاصة لفاقدي البصر..

شعرت نورا بالفرحة والسرور وبالخوف في آن واحد حيث هي مسئولية ثقيلة ملقاة على عاتقها فقالت هل من الممكن الاستعانة بأي شخص مبصر.. فأجاب كامل.. نعم لكن من يقدم ويستعرض المشروع بالشرح يجب ان يكون من المكفوفين..

ارتاحت نورا لهذه الاجابة حيث كانت تريد إشراك إيناس معها في هذا المشروع.. وبالفعل كانت في رأس نورا فكرة عندما كانت في السجن وتمنت لو استطاعت تحقيقها..

طلبت نورا عقد جلسة مع إيناس تعرض عليها فكرتها وتتبادل النقاش فيها.. جلسا سويًا لساعات طويلة حيث بدأت نورا حديثها أن من

اهم احتياجات الانسان الكفيف هو القدرة علي ممارسة حياته بشكل مشابه للمبصر.. ومن أهم تلك الأمور هو السير في الطرقات وتحديد اتجاهاته وخط سيره بدون المساعدة من انسان مرافق له.. سوف يكون الاعتماد فقط على التكنولوجيا..

استمعت إيناس جيدا.. ثم سألت نورا.. هذا موضوع يبدو جيد لكن أنا لم أفهم.. ما هي فكرتك.. لابد من تفاصيل.. ماذا يدور في رأسك.. اشرحي لي كل التفاصيل..

ردت نورا ..شوفي يا سيدتي.. أنا أريد أن يكون مثبت علي كل مبني في البلدة والحي وكذلك اشارات المرور قطعة معدنية لاصقة عليها «باركود» رقم تسلسلي وهذا الكود يمكن للشخص الكفيف ان يكون حاملًا جهاز مزود بسماعة يضغط على زر فينطق الجهاز بصوت مسموع يخبره بكل المعلومات والبيانات المدونة في الكود المطبوع على القطعة اللاصقة المثبتة علي المباني وبالطبع تكون مقاومة للحرارة والامطار.. فمثلًا يقف أمام مبني كلية الطب فيضغط على الزر.. تأتيه الاجابة.. «إنك أمام مبني كلية الطب.. شارع... رقم...»..

ويشير مرة أخرى إلى اشارات المرور «فتصله المعلومات انت امام اشارة مرور خضراء او حمراء.. وهي بشارع كذا» وهكذا..

فما رأيك في هذا الفكرة يا إيناس وهل من الناحية التقنية يمكن تحقيقها ام إنه أمر مستحيل..

أجابتها إيناس إنها معجبة بالفكرة أشد الاعجاب وتعتقد أنه من الممكن تحقيقها ولكن سوف نحتاج إلى فريق كامل من مبرمجين لأجهزة الحاسب وكذلك متخصصين في الالكترونيات وأنا منهم وبعد ذلك بعض العمال ممن يضعون اللاصقات على المباني واشارات المرور وبالتأكيد بعد أخذ موافقة رئيس الحي.. طلبت نورا ان يشترك معهما عم كامل في المناقشة.. عرضت عليه الفكرة وما يحتاجونه.. أجاب.. إنها فكرة جديدة وممتازة ولم يسمع بها من قبل ويمكن تسجيلها كبراءة اختراع باسم نورا.. ووعد أنه سوف يساهم معهما بكل امكاناته.. فسوف يقوم بجلب أحد المتخصصين في برمجة الكمبيوتر وكذلك الكهرباء والالكترونيات.. وكذلك سوف يبدأ في الاجراءات مع رئاسة الحي.. كي يحصل على موافقتهم لوضع الملصقات الصغيرة..

وما عليهم إلا ان يقوموا بتشكيل فريق للعمل تحت رئاسة المهندسة ايناس وبإشراف من نورا.. ونبدأ العمل على بركة الله..

***

جاء بريدًا إلكترونيًا إلى مايا من موظف بأكاديمية الفنون يخبرها فيه أنه قد تحدد لها موعدًا لعرض لوحاتها في معرض يستغرق أسبوعيًا من العرض حيث أعجبت اللجنة بأعمالها وقررت التعاون معها واعطاءها الفرصة كاملة لعرض إبداعاتها وسوف يقام المعرض في تاريخ ما بين شهرين إلى ثلاثة شهور من الآن وأنهم سوف يرسلون اليها بريدًا آخر فيه الميعاد المحدد وعنوان القاعة..

عقد الفريق التقني ونورا.. عشرات الجلسات وقاموا بوضع تصور كامل لكل تفاصيل هذا المشروع.. ووقع اختيارهم ان الجهاز الناطق الذي سوف يحمله الكفيف.. سيكون في شكل ساعة يد ذكية.. حيث أن بها سماعة خارجية أو تعمل على سماعة «بلوتوث» يمكنها نطق الوقت والتاريخ وبها زر آخر لقراءة البيانات من الملصق.. «الباركود» المثبت على احد المباني على اشارة المرور أو أي متنزه أو معلم اثري..

استعانوا بفريق آخر يقوم بجمع البيانات عن أسماء المباني واسماء الشوارع حيث سوف تقرن بأرقام تطبع في صورة «باركود» فتستطيع الساعة قراءتها والنطق بها للكفيف فتساعده أن يعلم مكانه تحديدا..

مرت أيام وأسابيع والجميع منهك في العمل إلى ان حانت اللحظة الحاسمة هي إعلان انتهاء المشروع.. والقيام بإجراء أول تجربة له عملية في

الشارع.. فتوجهوا جميعًا إلى الشارع الخلفي للعمارة ومعهم د. كامل واختاروا نورا ان تكون هي أول من يختبر الساعة الناطقة حيث انها هي صاحبة فكرة الاختراع..

وبالفعل سارت نورا وحدها وضغطت على الزر.. فقامت الساعة بالنطق أنها أمام مدرسة.. وبعدها أنها امام اشارة مرور حمراء.. وهكذا نجحت التجربة.. وصار الجميع يهللون فرحًا أن سهرهم وتعبهم لم يضع سدى.. وإذا بالدكتور كامل يقطع عليهم فرحتهم ويجعلهم يتجمدون في اماكنهم ساكنين.. قائلًا.. هذه الساعة ناطقة باللغة العربية وأنتم سوف تعرضون اختراعكم هذا أمام لجنة دولية في روما.. فلابد على الأقل أن تكون اللغة الناطقة هي الانجليزية حيث هي اللغة الأولى عالميًا..

تنبه الجميع لهذه النقطة الهامة.. فاستمروا في اجتماعاتهم وعملهم وقاموا بتغيير لغة الجهاز إلى النطق بالإنجليزية.. وأعادوا تجربته مرة أخرى مع نورا أيضًا.. وتمت التجربة بنجاح وكان كامل أشد الناس فخرًا بهم.. فطلب منهم عمل ملف كامل مدعم بالرسومات والتصميمات وتوجه به إلى المكان المخصص لتسجيل براءات الاختراع وقام بتسجيله باسم نورا فؤاد..

توجه د. كامل إلى نورا لإخبارها إنه تم تسجيل براءة الاختراع باسمها فوجدها تبكي بشدة وهي تحتضن مذكرات أباها سيادة العميد فؤاد..

طرق الباب كي تشعر بوجوده.. دعته للدخول وقالت.. «جئت في الوقت المناسب يا عمي كامل.. سوف أطلب منك آخر طلب.. أو رجاء.. تؤديه لي.. واعلم انك سوف تسعدني كثيرًا إن فعلت..

أجاب أنه على استعداد لعمل أي شيء لها ولأي فرد من افراد اسرتها..

جففت دموعها وهي تشكره.. قائلة.. «خذ هذه المذكرات.. إنها مذكرات أبي.. أريد أن اطبعها في كتاب وتباع في المكتبات.. فهي ليست مجرد مذكرات أو سيرة ذاتية.. يحكي فيها أحداث مرت من حياته.. لا.. أنها دروس وعبر موجهة إلى القارئ العادي الوطني وكذلك كل من له اهتمام بالعلوم العسكرية والخطط والتكتيكات.. عصارة وخبرة سنوات طوال.. عشق فيها جيش بلاده وآمن بالقضية.. قضية تحرير أرض أُحتلت بالقوة ولم تسترد إلا بالقوة..

بعد صمت.. قال د. كامل كم أنا مشتاق إلى جلسة من جلسات العميد فؤاد والدك.. كان أخًا.. صديقًا.. رجل ذو مواقف تتسم بالاستقامة الشديدة يعلم متي يكون حازمًا ومتى يملأ الأرض حبًا وحنانًا.. رحمة الله عليه وعزائنا الوحيد يا نورا.. هي تلك المذكرات.. هل تسمحين لي بقراءتها..

اتركي لي هذا الأمر.. فإن في رأسي بعض افكار لإخراج هذه المذكرات في أبهى صورة تليق بكاتبها.. فهذه المذكرات كتبت عن حرب خاضها جيش مصر.. فلابد من اشراك جيش مصر في إخراجها إلى النور.. سوف أجرى اتصالات بإدارة الشئون المعنوية بالقوات المسلحة وأنا على يقين إنهم سوف يقدمون كل الدعم والمساندة.. فما قيل عن تلك الحرب العظيمة هو الفتات أقل بكثير مما كانت عليه قبل الحرب وفي أثناءها وما بعدها..

***

ذهبت مايا إلى القاعة التي خصصت لها لعرض لوحاتها وكتابة شهادة ميلاد لأول معرض لها.. وقامت بمراجعة طريقة عرض اللوحات مع القائمين على ادارة المعرض.. وقد استحضرت داخلها روح مصممة الديكور.. حيث بدأت في وضع لمساتها على شكل وطريقة وضع اللوحات.. وعندما عرضت افكارها على الإدارة لاقت كل ترحيب..

أنهى فريق عمل مشروع نورا وضع اللمسات النهائية لاختراعهم والقيام بتجربته أكثر من مرة وفي أكثر من موقع.. وفي أجواء مختلفة.. وخاصة عند هطول الأمطار حيث قاموا باستخدام بعض خراطيم المياه ذات الدفع القوي وتوجيهها إلى أحد الأعمدة التي تحمل عليها ملصق «الباركود» وقام أحدهم بضغط الزر في الساعة.. فقامت بالوظيفة كاملة ونطق المعلومات الخاصة بهذا المكان..

قدم د. كامل المشروع إلى إدارة المسابقة في روما عبر البريد الخاص بعد أن وضع اسمًا للمشروع كما طلبت الإدارة المشرفة على المسابقة أن على جميع المتسابقين القيام بتسمية مشاريعهم المقدمة باسم يعبر عن اتجاه الاختراع.. فاجتمع د. كامل بفريق عمل المشروع ومعهم نورا بالطبع قبل ارسال أوراق المشروع النهائية إلى الإدارة في روما وأخبرهم أن هذا الاجتماع مخصص

لاختيار اسم لاختراعهم يعبر عنه.. فقام البعض باقتراح أكثر من اسم وكان د. كامل يدون تلك الاسماء في ورقة أمامه.. إلى أن فرغ الجميع.. ثم سألت نورا.. عمي كامل.. اشعر ان لديك اسم للمشروع ولكنك تنتظر حتى نفرغ جميعًا من الاقتراحات..

ابتسم كامل قائلًا.. "كم أنتِ ذكية للغاية يا نورا.. بالفعل لدي اسم لهذا الاختراع ولكم كل الحق في ان توافقني عليه أو تعترضوا»..

أنتم جميعًا تعلمون ان هذه الجمعية الخيرية الخاصة برعاية المكفوفين اسمها «جمعية بصيرتي».. وتعلمون أيضًا أن صاحب فكرة هذا الاختراع والمسجلة باسمها هي نورا.. لذا اقترح أن اطلق اسم «بصيرتي ونورا» على هذا الاختراع..

ابتسم الجميع وهم ينظرون إلى بعضهم البعض.. بينما انهمرت دموع نورا وانخرطت في البكاء.. لاقى الاسم استحسان الجميع وقامت ايناس باحتضان نورا بشدة.. وتكلمت نورا قائلة.. اعذروا لي دموعي.. فكم كنت أتمني ان يكون ابي معي في هذا اليوم.. لكن اسأل الله أن يعطيني القدرة على اخراج كتابه في أفضل صورة حتى وإن لم أكن قادرة على رؤية الكتاب ولا الغلاف الخارجي الذي كنت اتمني ان أقوم بتصميمه بنفسي.. لكن هي ارادة الله..

وضع د. كامل الأوراق وكتب عليها من الخارج اسم المشروع المقدم إلى المسابقة الرسمية.. **Basirati and Noura** .

***

تلقى كل من د. كامل.. نورا.. إيناس.. دعوة للحضور إلى جنوة في ايطاليا لحضور حفل افتتاح معرض مايا الأول.. تحت عنوان «الانسان واللاضمير»..

كانت تلك هي المرة الأولي لإيناس ان تخوض تجربة السفر إلى خارج البلاد.. وكانت بصحبة نورا دائمًا ومعهم د. كامل.. فرح شريف بقدومهم للغاية.. واستعد الجميع لحفل الافتتاح في المساء.. اشترى شريف لنورا وايناس ملابس جديدة للسهرة ..

بدأ الحفل وعند دخولهم فوجئ الجميع ان في منتصف القاعة وضع حامل خشبي ضخم.. محفور خشبه بنقوش الورد الرائعة.. حفر يدوي.. ووضع على الحامل الخشبي لوحة الافتتاح.. وعند قص الشريط من قبل حاكم مدينة جنوة وممثل الثقافة في المدينة ورئيس أكاديمية الفنون.. تعمدت مايا أن تأخذ نورا إلى جوارها وهي تشرح لها شكل القاعة وفكرة التصميمات الداخلية.. وبعد قص شريط الدخول.. مع عزف موسيقي وتريات.. رائعة..

وقف الجميع أمام الحامل الخشبي وكان يخفيه ستارًا.. أزيح الستار.. فإذا بها لوحة مجسمة لوجه نورا.. وجه جميل رقيق الملامح يحمل براءة الطفولة..

تقدمت مايا بصحبة نورا ووقفا بجوار الحامل واللوحة.. فقام الجميع بإطلاق الآهات.. إن هذه الفتاة هي صاحبة اللوحة الرائعة..

تحدثت اليهم مايا بلغة ايطالية سليمة شارحة كم هي تحب نورا وانها تهدي إليها هذا المعرض المقام على شرفها..

التقطت عدسات الكاميرا صورًا للوحة وبجوارها صاحبة اللوحة .. نورا.. والفنانة المنفذة للوحة.. وكتب تحتها «وتستمر البراءة.. نورا»..

ذاع صيت اسم نورا وصورها الحقيقية بجانب صورًا للوحة الرائعة من عمل الفنانة مايا كامل..

تعجبت نورا من دورة الزمن والقدر التي لا تتوقف.. فكانت تحلم في يوم من الأيام أن تلاحقها عدسات المصورين وهي بصحبة ماجد.. الذي كان زوجها في يوم من الأيام والتي ظنت أن ما تشعر به تجاهه هو حبًا..

لا.. لم يكن يومًا حبًا.. حيث الحب لابد أن يوجه إلى من يستحقه ويقدره حق تقديره.. لم يكن حبًا.. وإن ظننته حبًا..

والآن بعد كل ما مر بي من أحداث.. تأتي إلى عدسات الكاميرات دون أن أطلبها أو أسعى إليها.. اصبحت نورا في الصحف الإيطالية والأوروبية.. ايقونة للبراءة.. رمزًا للوداعة لدرجة أن امرأة ايطاليا كانت في حالة وضع مولودة جديدة.. اسمتها «نورا».. وكانت نورا شاهدة على نجاح مايا في أولى معارضها.. حيث بيعت معظم لوحاتها بثمن باهظ.. ووضعت مايا أولى أقدامها على أعتاب النجاح والفن والإبداع.. وعرفت طريق الشهرة كفنانة مصرية معاصرة في بلد الفن إيطاليا.. وكان شريف و د. كامل وإيناس أشد سعادة بالجميع..

استمر الثلاثة في إيطاليا.. نورا.. ايناس.. د. كامل ضيوفًا على شريف ومايا.. وبدأ العد التنازلي لبدء المسابقة الدولية لأفضل اختراع يخدم الانسان.. توجه د. كامل بمفرده إلى روما للإشراف على وضع اللمسات الأخيرة والتنسيق مع ادارة المسابقة للخروج بالمشروع المصري في أبهى صورة..

توجه الجميع إلى روما.. العاصمة الايطالية.. قبل العرض بثلاثة أيام حيث قاموا بجولات عديدة لبعض المتاحف والمتنزهات والأماكن التاريخية.. وكانت إيناس دومًا بصحبة نورا تشرح لها ما هو مكتوب على الكتيب السياحي الذي تحمله عن معالم المدينة..

جاء يوم الحسم.. يوم المسابقة والتي تقدم لها متسابقين من اثنان وستون دولة.. وقامت الوفود من كل دولة بعرض اختراعاتهم وتشغيلها مع الشرح الوافي لكيفية عملها وما تأثيرها على مساعدة الإنسان..

إلى أن جاء دور مصر.. فتقدم الفريق المصاحب للمشروع بعرض فكرته وتشغيله وتحدثت نورا بالإنجليزية.. ولاحظ الحضور أن نورا غير مبصرة وأثناء الشرح وعرض فكرة الاختراع وأنه لمساعدة المكفوفين في الأحياء والشوارع وتقديم نموذج الساعة الناطقة بعدة لغات..

لاقى الاختراع استحسان الجميع والتصفيق لنورا طويلًا.. وقامت اللجنة المنظمة بالتصفية بين العارضين لاختيار افضل عشرة اختراعات.. إلى ان تقوم لجنة اخرى بتصفيتهم مرة أخرى لتحديد صاحب المركز الأول.. والذي سوف يحصل على كأسًا ومبلغ مالي ضخم بالإضافة إلى تبني إحدى الشركات الاختراع بتنفيذه وطرحه في الاسواق..

وضع الجميع ايديهم على قلوبهم قبل لحظة النطق بالنتيجة النهائية لتحديد الفريق الفائز بالمركز الأول..

بعد حديث مطول ومقدمة عن أهمية المسابقة تحدث رئيس اللجنة المنظمة وفي يده مظروف مغلق.. بداخله اسم الفريق الفائز..

الجميع يحبسون انفاسهم وتكاد قلوبهم تتوقف.. ونورا صامتة لكنها تتمتم بالدعاء.. أن يكون النصر من حليف مصر.. كما كان دائمًا يردد العميد فؤاد «النصر لمصر»..

أخيرًا فُتح المظروف.. الفائز بالجائزة الأولي هو مشروع «Basirati & Noura»

من مصر عن اختراع يخدم المكفوفين لتسهيل تحديد أماكنهم ومعرفة المعلومات المطلوبة في الأحياء والشوارع وعلامات المرور من خلال ساعة ناطقة بعدة لغات توضع في معصم اليد ويمكن ايصالها بسماعة أذن..

قفز الجميع من مكانه.. شاكرين لله تعالى.. تعانقوا بين فرح ودموع بالفوز.. وكانت نورا وإيناس ومعهم د. كامل أكثرهم فرحًا وسعادة.. وللمرة الثانية تسعى الأقدار وتبتسم لنورا دون أن تسأل أو تطلب.. تلاحقها عدسات المصورين والمتخصصين في المجلات العلمية والتكنولوجية لتوضع صورة غلاف على إحدى المجلات الشهيرة في عالم الاختراعات والتكنولوجيا وتصبح نورا أشهر شخصية في إيطاليا في هذا العام وأيقونة للشباب المبصرين والمكفوفين أن يحذوا حذوها وتحديدًا بعد نشر إحدى المجلات قصتها وما مرت به من ظلم ومعاناة منذ زواجها من ماجد وخدمة أمه نعمات إلى صداقة مزيفة من مروة إلى تهم بالاتجار في المخدرات.. موت الأب الحنون..

ثم السجن.. بعدها تخلي زوجها عنها تمامًا وتطليقها.. وأخيرًا فقدها لنعمة البصر..

يا لها من مأساة.. لكن النهاية سعيدة فدائمًا في نهاية النفق المظلم.. مهما طال.. نور.. ونورا هي الضوء المنير لطريق الكثير من الشباب كي يحذوا حذوها.. الصبر ثم العمل..

تم تكريم نورا في محافل دولية كثيرة.. وتم تبني تصنيع الساعة مع الباركود وطرحها في الأسواق تحت مسمى «Noura Smart Watch»

عادت نورا إلى مطار القاهرة بصحبة عائلتها الجميلة.. شريف.. مايا.. كامل.. إيناس.. فوجئت باستقبال حافل من آلاف الشباب يتقدمهم وزير الثقافة ومحافظ القاهرة لتحيتها وتكريمها على تشريف ورفع اسم مصر عاليًا..

تقدم إليها وزير الثقافة وقدم لها هدية داخل علبة وقال لها.. افتحيها يا نورا.. قامت نورا بفتحها بمساعدة إيناس فإذا بها أول انتاج من الساعة التي كانت هي صاحبة الفكرة.. وصنع منها نوعان.. واحدة للرجال باللون الأزرق الداكن وأخرى للنساء باللون الوردي..

وكانت ساعة نورا باللون الوردي وناطقة باللغة العربية.. وضعها الوزير في يدها وطلب منها أن تقوم بتجربتها.. فإذا بها تنطق «مطار القاهرة أكبر وأعرق مطارات إفريقيا والشرق الأوسط».. ثم ضغطت على الزر الثاني.. «الساعة الآن تشير إلى الحادية عشرة صباحًا بتوقيت القاهرة»..

انهمرت دموع نورا وهي ترى نتاج تعبها هي وفريق العمل و د. كامل وللمرة الثالثة دون طلب أو سؤال.. كانت هناك عدسات للمصورين وبث

مباشر لاستقبال نورا في المطار.. ثم تقدم رجلًا مرتديًا زي القوات المسلحة برتبة عقيد.. صافح نورا بشدة وقدم نفسه أنه مندوبًا من وزارة الدفاع وقد حضر خصيصًا لاستقبالها وتوجيه الدعوة لها لحضور حفل في الغد في دار القوات المسلحة المصرية.. وسوف يأتي مندوب من وزارة الدفاع بسيارة خاصة إلى منزلها في الساعة السابعة مساء لينقلها إلى الحفل.. ولها أن تدعوا من تشاء من الأسرة والأصدقاء..

شكرته نورا وقالت انها ستكون جاهزة في الميعاد.. ثم شعرت نورا بيد تربت على كتفها.. عرفتها من لمستها أنها أمها مدام كريمة.. ارتمت نورا في أحضانها وتعانقا عناقا طويلًا..

في اليوم التالي.. ذهبت نورا للحفل وهي في أبهى صورة.. وصعدت إلى المنصة بجوار كبار قادة الجيش لتكريمها.. وطلبوا منها أن تلقي كلمة.. وبعدها قام رئيس أركان القوات المسلحة بتسليمها هدية وطلب أن تقوم نورا بفتحها وساعدها على ذلك.. تحسست بيدها.. أنه كتاب.. دق قلبها بشدة.. شعرت أن روحًا طيبة حانية تحوم حولها.. هي لا ترى.. لكن تشعر بوجودها بمجرد أن فتحت الهدية.. طلب منها أن تحسس بيدها غلاف الكتاب.. فعلت.. فإذا هو عليه نقاط بارزة على طريقة برايل..

يا إلهي.. استمرت نورا في اللمس والتحسس بأصابعها فقرأت..

"عجائب أكتوبر.. دروس في فنون القتال"..

مذكرات من شاهد عيان على الحرب.. بقلم اللواء: فؤاد صادق..

اغرورقت عينا نورا بالدموع.. وبكت بشدة وهي تضحك وقامت باحتضان رئيس الأركان ولم تشعر بما تفعله من شدة الفرح.. مذكرات أباها العميد فؤاد خرجت للنور.. صارت كتابًا وطبع ايضًا بطريقة برايل كم هي عظيمة ووفية القوات المسلحة المصرية لأبنائها.. فالعطاء متبادل ولكن.. ما هذا.. مكتوب جملة خطأ.. همست نورا في اذن الضابط أن هناك خطأ في طباعة غلاف الكتاب.. سألها.. ما هو؟!

قالت.. مكتوب اللواء فؤاد.. إنه عميد.. أبي كان حتى وفاته برتبة عميد..

ابتسم الضابط وربت على كتفها قائلًا.. كان عميدًا وتمت ترقيته إلى رتبة لواء.. هو يستحقها ومن ينجب فتاة مثلك رفعت اسم مصر عاليًا في المحافل الدولية.. يستحق أكثر من ذلك بكثير..

يا إلهي يا لها من مفاجآت سعيدة..

عاشت نورا أجمل أيام حياتها..

وضعت مايا مولودها الأول بحضور شريف.. ولدًا جميلًا..

ولم يستغرق الوقت طويلاً لاختيار اسم للوافد الجديد.. المولود الجميل.. حيث اتفقا عليه الأب شريف.. والأم الجميلة مايا.. فؤاد...فؤاد الصغير.

***

ومرت سنوات طويلة.. فقدت فيها نورا أمها حيث توفت بين يديها وهي تدعو لها وبعد عام واحد توفي د. كامل.. وترك لنورا مفاجأة.. فهو رجل المفاجآت.. حيًا أو ميتًا.. حيث قام بنقل ملكية "دار بصيرتي" باسم نورا.. فهي اصبحت مالكة للدار والشقة التي تعلوها في حي الشاطبي بالإسكندرية.. ومازالت نورا تعيش فيها حتى الآن إلى أن تخطت الخامسة والستين من العمر وهي تحتفظ بأجمل الذكريات.. مجلات كثيرة بالإيطالية والانجليزية.. تحمل صورتها ومقالات كثيرة عنها وعن قصة حياتها.. وأيضًا مازالت ترتدي في معصمها ساعتها الوردية الناطقة..

براءة الاختراع المسجلة باسمها..

وكذلك على الطاولة الجانبية لسريرها الصغير.. موضع كتاب اللواء فؤاد صادق.. "عجائب أكتوبر.. دروس في فنون القتال"

تمت

* * *

بقلم : مروان منير
Marwan Monir
Marwan92966@Gmail.com
00966554903742

سما للنشر والتوزيع